LAMPS FOR THE WAY

by

IGNATIUS ZAKKA I IWAS

Patriarch of Antioch and All the East
Supreme Head of the Universal Syrian Orthodox Church

Damascus - Syria
1984

مطابع ألف باء الأديب
دمشق

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܡܬܐ ܒܝܬ ܡܩܕ̈ܫܐ
ܘܢܘܟܪܝܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܥܕܬܐ ܘܫܒܪܐ ܕܢܫܘ ܢܦܠ ܥܠܝ
ܥܡ ܠܗ ܫܒܪܐ ܠܐ ܢܫܘ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܪܐ ܥܡ
ܒܚܝ̈ܘܗܝ ܥܕܡܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

مصابيح على الطريق

ܠܡ̈ܦܐܕܐ ܕܥܠ ܐܘܪܚܐ

تأليف

مار اغناطيوس زكا الأول عيواص

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

للسريان الأرثوذكس

ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܙܟܐ ܩܕܡܝܐ

ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ

دمشق ـ ١٩٨٤

جميـع الحقـوق محفوظـة

★ ★ ★

١٥٠٠ نسخة/٦/١٩٨٤

الطبعـة الأولـى

مطابع ألف باء ـ الأديب ـ دمشق

الناشر : بطريركية السـريان الأرثوذكس ـ دمشق

تصميم الغلاف : أكرم أفـدار

[illegible]

ܠܐܠܗܐ ܗܢܐ ܟܠܢ ܡܫܒܚܝܢ ܘܡܘܕܝܢ، ܥܡ ܐܦܪܝܡ

ܕܒܢܝܬܐ ܗܠܝܢ، ܕܡܠܦܢܐ: ܡܫܒܚܝܢ ܐܢܘܢ ܥܡ ܡܫܠܡܢܐ
ܦܫܝܩܐܝܬ، ܘܒܝܕ ܡܫܘܕܥ ܐܢܘܢ ܘܦܫܝܩܝܢ ܘܠܡܫܬܡܥܢܘܬܐ
ܘܠܬܪܒܝܬܐ ܕܗܝܡܢܘܬܐ ܘܡܫܝܚܝܘܬܐ ܘܫܦܝܪܘܬܐ ܠܐܢܫܝܢ،
ܘܡܫܪܝܢ ܠܟܪܝܐ ܦܫܝܩܐ ܡܡܪܐ. ܐܝܟܢܐ ܕܗܠܝܢ ܕܠܐܠܗܐ
ܠܫܘܒܚܗ ܐܝܟ ܕܟܬܝܒ ܒܗ: ܕܫܒܚܘܗܝ ܠܡܪܝܐ، ܡܫܡܫܝܢ
ܒܐܝܟ ܚܝܠܐ ܕܠܐܠܗ، ܡܫܘ ܡܫܝܚܐ، ܘܠܡܫܝܚܘܬܗ ܕܠܐܠܗܐ
ܚܕܐ، ܘܠܡܫܬܐܠܘ ܕܒܗܘܢ ܐܢܫܝܢ، ܘܠܟܬܒܐ ܩܕܝܫܐ ܕܟܬܝܒܝܢ،
ܘܠܡܪܝܐ ܠܡܫܝܚܐ ܕܚܝܐ ܘܡܢܐ ܕܠܐܠܗܐ: ܒܥܠܡ. ܘܡܝܬܐ ܒܗ ܟܠ
ܗܘ ܕܠܐܠܗܐ ܒܫܡܐ « ܠܡܫܝܚܐ ܕܠܐ ܐܝܬ » ܬܫܒܘܚܬܐ.

ܠܡܫܝܚܐ ܕܝܢ ܗܟܝܠ، ܠܗܘ ܕܗܘܐ ܥܡ ܡܫܡܫܢܐ ܕܐܝܬܘܗܝ
— ܡܫܘ ܡܫܝܚܐ ܗܘ - ܡܫܒܚܝܢ. ܘܥܡ ܗܢܐ ܕܒܫܘܒܚܗ ܠܟܬܒܐ، ܦܫܝܩܐ
ܘܚܕܐ ܠܟܘܢ ܘܠܝܠܗ ܕܟܠܗܘܢ.

ܡܫܒܚ ܕܝܢ ܗܘܐ، ܕܡܫܡܫܢܘܬܐ ܗܘܐ، ܟܠܢ ܕܒܪܐ، ܠܗܘܢܐ
ܕܠܐ ܕܟܝܪ، ܚܕܐ. ܐܝܟܢܐ ܕܡܙܡܪܢܐ ܠܐܠܗܐ ܐܡܪ: « ܫܪܓܐ ܗܘ ܠܪܓܠܝ
ܡܠܬܟ ܘܢܘܗܪܐ ܠܫܒܝܠܝ. ܡܙܡ 119 : 105 ».
ܗܐ ܟܠܗܘܢ ܗܠܝܢ، ܕܡܫܡܠܝܢ ܟܬܒܐ، ܘܡܫܡܫܢܘܬܗ
ܕܐܝܟ ܟܠܗܝܢ ܠܟܠ ܚܕ، ܕܡܫܡܫܝܢ ܘܢܗܘܐ ܠܐܘܪܚܐ ܕܦܘܪܩܢܐ: ܢܬܟܬܒܘܢ.

ܐܦ ܠܡܠܟܐ ܐܠܗܐ ܡܫܝܚ، ܘܗܘܝܐ ܢܗܘܐ. ܟܕ ܒܥܠܬܐ ܡܕܝܢܬܐ
ܘܫܢܬܐ ܡܥܠܝܐ ܢܦܩܐ ܟܘܪܗܢܐ. ܘܟܕ ܥܠ ܕܢܣܒ ܘܢܬܒ، ܠܡܬܒܝܬܐ
ܦܬܝܚܐ ܗܘܐ ܠܗ ܐܝܟ ܒܪܘܟ ܕܒܝܬܐ ܕܐܠܗܐ: ܥܠܡܐ ܕܫܪܝܐ، ܥܣܪܐ،
ܡܢ ܬܡܢ ܚܝܠܐ ܘܬܘܕܝܬܐ ܡܫܡܫܐ ܠܐܢܫܐ.

ܥܕܡܐ ܕܗܫܐ، ܢܦܠܐ ܘܢܦܩܝ ܠܡܦܩܐ، ܥܠܝܗܘܢ، ܡܫܪܝܢ ܠܗܘܢ
ܠܡܫܡܫ ܡܢ ܦܘܡܐ ܠܐܝܠܝܢ. ܘܗܘ ܡܢ ܕܒܗ ܐܚܪܢܐ ܘܟܕ ܗܘܐ ܡܫܟܚ ܐܢܐ ܩܠܝܠ
ܦܪܘܫ، ܠܐ ܐܬܐ ܠܗ ܡܢ ܘܠܟܠܗ ܗܘܐ. ܘܟܕ ܗܘܐ، ܥܠ ܡܢܝܢܐ، ܡܫܡܫܐ
ܥܡ ܟܠܗܘܢ، ܠܡܠܦܘ ܠܕܪܫܐ ܕܫܢܝ. ܘܕܢܫܠܡ ܠܥܡܪ ܥܡܐ ܠܗ ܡܘܒܠܘ
ܠܠܥܘܙܐ ܘܒܠܠܘܥܐ ܚܕܝܢܘܢ ܘܐܬܟܢܫ ܠܗ...

ܘܡܫܡܫܝܢ ܠܥܠ ܡܫܬܡܫ ܒܢܘܗܪܐ، ܘܠܡܫܘܬܦܘ ܘܠܡܫܘܬܦܘ
ܠܐܘܪܚܐ، ܒܠܠܥܘܙܐ ܗܘܐ ܡܦܩ، ܘܬܠܡܝܕܐ ܠܡܫܪܝܢ ܘܡܫܡܫܢܐ
ܠܡܫܪܝܐ ܢܗܘܘܢ. ܥܠܝܗܘܢ ܥܠܡܐ ܕܬܠܡܝܕܘܬܐ ܘܕܥܠܡܐ ܗܘܐ... ܟܕ ܠܐ ܬܟܠܐ
ܘܡܫܠܡ ܠܐܢܫܝܢ، ܐܝܟ ܢܫܐ. ܘܡܫܪܐ ܕܠܐ ܢܛܪ ܥܡܐ ܕܠܐ ܠܗܘܢ،
ܠܗܘܠܐ، ܚܝܐ.

ܕܡܫܡܫܢ: ܟܠ ܕܝܫܘܥ ܐ̈ܕܪ 1984. ܡܫܡܫܢܐ

توطئـــــة ..

بعد حمد الله تعالى وشكره نقول :

هذه مجموعة أبحاث نشرناها على صفحات مجلتنا البطريركية ، وتحدثنا فيها للقراء الأعزاء عن موضوعات شتى ، تضمنت حقائق لاهوتيــة وعقائدية وتاريخيــة وأدبية بأسلوب سهل ، محاولين فيه ايصال كلمة الله الى طالبيها ، ومستمدين العون من الرب يسوع المسيح الذي أرسل تلاميذه الى العالم مشاعل نور تبدد غياهب الظلام وتقود الانسان الى مينــاء الأمان والأبدية السعيــدة . فهذه المصابيح انما تقتبس نورها من شمس البر ـ المسيح يسوع ـ وتغرف زيتها من بحر النعمة الالهية ...

نأمل في أن يجد القارئ الكــريم في هــذه المجموعة المتواضعة ، النور الذي لا ينطفئ كقول صاحب المزامير : «سراج لرجليَّ كلامك ونور لسبيلي» (مز ١١٩ : ١٠٥) .

وما أجمل أن يتسنَّن المؤمــن بنقوديموس الــذي جاء ليلاً الى الرب يسوع ليستمع الى حديثه ، فأنــاره الرب بنوره الوهَّاج ودلَّه على طريق الخــلاص ، وأن يقتدي أيضاً بمريم العــذراء والدة الالـه التي كانت

تحفظ الكلام المقدس في قلبها ، وفي الوقت المناسب أعلنته الى رسل الرب ، لأن كلمة الله اذا عمرت قلبَ الانسان تفيض فرحاً وبركة للآخرين ٠ هكذا كانت الكنيسة المقدسة وما تزال ، سبب نعمة للناس بتقديمها السيد المسيح كلمة الله مخلصاً للبشر ، فكان تاريخها صفحات مشرقة في تاريخ العالم ، وهو يسجل لنا بأحرف من نور سعي المؤمن للحصول على ملكوت الله ، وانتظار المسيح يسوع آتياً ثانية من السماء ليغيِّر شكل جسدنا الترابي الى شكل جسد مجده غير الزائل ، الذي فيه تجلَّى على جبل ٠٠٠٠

نتضرّع اليه تعالى أن يسكب على هذه الأبحاث نعمة من روحه القدوس لتكون بلسماً لجروحاتنا في غربة الحياة الدنيا ، وعزاء لأرواحنا في كربة العالم الفاني ، ورجاء لنا لا يخيب بالحياة الأبدية ٠

دمشق في ١٩٨٤/٤/٢١ «المؤلف»

الكتاب المقدّس*

□ تعريفه :

هو كتاب الله الذي كتبه الأنبياء الصادقون ، والرسل القديسون ، مسوقين من الروح القدس · قال الرسول بولس : « كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تي ٣ : ١٦ ـ ١٧) فالكتاب المقدس آثمن كنز تسلمه الانسان من الله ليعرف بوساطته طريق الخلاص المستقيمة المؤدية الى ملكوت الله ·

□ موضوعه :

ففي الكتاب المقدس أعلن الله للبشر ذاته ، وارادته ، وسننه ، وشرائعه ونواميسه · وأوضح الحقائق الالهية التي تفوق ادراك العقل البشري ، والتي على الانسان أن يعرفها ويسلم بصحتها ويؤمن بها · كما بيَّن الله واجبات الانسان نحوه تعالى ونحو القريب ، والأعمال التي يجب على الانسان

★ نشرت في المجلة البطريركية ـ عدد شهر كانون الثاني ١٩٨٢ ·

★ يطيب لنا ونحن نتحدث عن الكتاب المقدس أن نثني جزيل الثناء على جميع المنظمات والحركات المسكونية التي قررت اعتبار عام ١٩٨٢ عام الكتاب المقدس ، ففي ذلك تكريم لكلمة الله الحية ، وسعي لنشرها ، وحض للمؤمنين على درسها لاجتناء الفوائد الروحية ، ونيل الخلاص بوسيلة الخلاص المقدسة ·

أن يفعلها ليكون مرضياً ربَّه ، فيبلغ الكمال • فالكتاب المقدس اذن يعتبر دستور الايمان والأعمال في الكنيسة المسيحية، ووسيلة الخلاص بالمسيح يسوع المخلص الذي هو محور الكتاب ومركز الدائرة فيه ، وحوله يدور الكتاب من ألفه الى يائه ، من تكوينه الى رؤياه •

ففي العهد(١) القديم نرى حكمة الله في خلق الأكوان والانسان الذي أراده الله أن يكون سيداً لسائر المخلوقات ، ونلمس محبة الله للبشر ورحمته بتهيئة خلاصهم ، وما أوحى به من نبوات صادقة واشارات واضحة ورموز لا تحصى • وفي العهد الجديد نرى الاله يظهر بالجسد كقول الرسول بولس « عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » (١ تي ٣ : ١٦) وفيه تمت النبوات وهو يقوم بعمل الخلاص عن طريق الصليب ونراه ميتاً بالجسد وقائماً من بين الأموات منتصراً وصاعداً الى السماء ومرسلاً الروح القدس ليرشد التلاميذ الى الحق ويذكِّرهم بكلامه المقدس وتعاليمه الالهية وهم ينشرون كلمة الله في العالم أجمع وينتظرون مجيئه الثاني • قال أوغسطينوس : « ان العهد القديم ظاهر في الجديد ، والجديد مخفي في القديم ».

صموده :

وان كتب الكتاب المقدس قبل قرون عديدة ، ولكنه يصلح لكل عصر وجيل فهو « كتاب كل العصور » بل كتاب كل الأمم والشعوب ورسالة الله اليهم جميعاً ، وهو ثابت صامد مهما تغيَّرت الأحوال وتبدلت الأجيال وكرت الدهور • وبهذا

---

١ ـ العهد هو الميثاق ، وان الميثاق الذي قطعه الله مع بني اسرائيل بوساطة موسى كليمه يدعى عهدا قديما • والذي قطعه الله مع البشر كافة بوساطة ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح يدعى عهدا جديدا • ومن ثم عرفت أسفار العهد الأول (بالعهد القديم) وأسفار العهد الثاني (بالعهد الجديد) (انظر علم اللاهوت ـ ميخائيل مينا ـ طبعة مصر ١٩٤٨ ج ١ ص ٤٣) •

الصدد قال أحدهم : « ما زال الكتاب المقدس يحتفظ بحيويته وقيمته وسوف يظل كذلك أبداً • وكلما قلب الزمن صفحة جديدة في تاريخه وضحت لنا حقائق الكتاب وتثبتت مبادئه ورسخت أقواله وتعاليمه » • ولا غرو فقد قال السيد المسيح : « السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول » (مت ٢٤ : ٣٥) ويحدثنا التاريخ عن محاولة أعداء الله ابادة أسفار الكتاب المقدس بابادة نسخه بوسائل شتى وتعذيب مقتنيها أو المؤتمنين عليها ، فباد أولئك الأعداء وهلكوا جميعاً ولكن الكتاب المقدس ثابت صامد وسيبقى الى الأبد ، وهو أكثر الكتب انتشاراً في العالم كله ، وهو أول كتاب نشر بالطبع لما اخترع غوتنبرغ الطباعة سنة ١٤٥٠ م ويطبع الآن وينشر ويوزع منه سنوياً نحو ملياري نسخة ، وبلغات ولهجات مختلفة تربو على الألف والمئتين • فهو يقرأ تقريباً في كل لغة ذات شأن في العالم • وكلمة الله تعمل في الناس للخلاص •

☐ مصدره الواحد :

يتألف الكتاب المقدس من ستة وستين سفراً ، كتبها نحو أربعين شخصاً في أزمنة متباينة استغرقت أكثر من ألف وخمسمائة سنة ، ولم يلتقوا جميعاً ليتفقوا علاوة على كونهم من بيئات مختلفة وثقافات متنوعة ، وكان كل منهم يسعى بكتابته الى غاية خاصة ، ويتميز عن الآخر بتصرفاته وطباعه ، ومع هذا كله لا نرى أي تناقض في تعاليم الكتاب المقدس بل على عكس ذلك نرى حقائقه الواضحة يدعم بعضها بعضاً ، ويكمل بعضها بعضاً • ذلك أن مصدره واحد ، وهو الله تعالى الذي ألهم سائر الأنبياء والرسل الذين دوّنوه ، فجاء الكتاب واحداً وحدة فريدة أدبياً وعقدياً وروحياً وتاريخياً ونبوياً • وليس المقصود

من الكتاب المقدس تدريس العلوم والفنون ، ولكن كل اشارة علمية فيه انما هي حقيقة ثابتة ، لا تتناقض والنظريات العلمية الثابتة الصحيحة · ومع هذا فنحن لا نتخذه أساساً لأبحاث علمية ، لأن غايته روحية صرفة ، وقد كتب بأسلوب سهل بحيث يفهمه الحدث الصغير ، ولكنه في الوقت نفسه عميق في معناه بحيث يعجز الفلاسفة الكبار عن سبر غوره وكشف سره · لآنه كتاب الله تعالى الذي لا تدرك أحكامه ·

☐ قانونيته :

القانون لغة ، هو مقياس كل شيء ، وفي السريانية (قنيو) أي قصبة المساحة التي كانت تستعمل كمقياس وطولها أربعة أو ستة أو ثمانية أذرع وأيضاً بالسريانية (قونونو) أي قاعدة وقانون ومقياس · أما بالعربية فهي « القناة » أي العصاة المستقيمة(٢) · وفي علم الكتاب المقدس تعني القواعد والأصول · فقانونية (الأسفار) هي الاعتراف بكونها موحى بها من الله وهي المعتبرة أجزاء من الكتاب المقدس ·

درست الكنيسة الأولى قانونية أسفار الكتاب المقدس ، فقبلت أسفار العهد القديم(٣) التي كانت بين اليهود ككتاب

---

٢ ـ دانيال راوبس : ما هو الكتاب المقدس ؟ تعريب ميخائيل السرجي ـ بيروت ١٩٥٩ ص ٣٩ ·

٣ ـ أسفار العهد القديم هي : التكوين ، الخروج ، اللاويين (أو الأحبار) العدد ، التثنية ، يشوع ، القضاة ، راعوث ، صموئيل الأول ، صموئيل الثاني ، الملوك الأول ، الملوك الثاني ، الأيام الأول ، الأيام الثاني ، عزرا ، نحميا ، طوبيا ، يهوديت ، استير ، أيوب ، المزامير ، الأمثال ، الجامعة ، نشيد الأناشيد ، الحكمة ، يشوع بن سيراخ ، أشعيا ، أرميا ، مراثي ارميا ، حزقيال ، دانيال ، هوشع ، يوئيل ، عاموس ، عوبيديا ، يونان ، ميخا ، نحوم ، حبقوق ، صفنيا ، حجاي ، زكريا ، ملاخي ، المكابين الأول ، المكابين الثاني ·

موحى به من الله ، قال الرسول بطرس « انه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢١) وقال الرسول بولس : « كل الكتاب موحى به من الله » (٢ تي ٣ : ١٦) · واقتبس العهد الجديد آيات من العهد القديم فوردت في الجديد (٤٦٥) آية من آيات القديم · ويكفي أن السيد المسيح ذكر عشرين شخصاً من أشخاص العهد القديم في تسعة عشر سفراً · وذكر من القديم أيضاً حوادث عديدة وأشار اليها بوضوح : كالمن والسلوى والحية النحاسية والخ ·· ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض أقواله الالهية : ــ « ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء أن يفسر لهما (للتلميذين في طريق عماوس) الأمور المختصة به في جميع الكتب » (لو ٢٤ : ٢٧) ولما ظهر بعد قيامته لتلاميذه في العلية « وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنَّه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير · حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب » (لو ٢٤ : ٤٤ و ٤٥) · ولا بد من أن نذكر هنا بأن العهد القديم يشتمل على ٤٦ سفراً مكرمة لدى اليهود ، اعتبر أولاً /٣٩/ سفراً منها قانونية ، وزاد تمسكهم بها في أثناء السبي البابلي لأن كل الذبائح كانت قد توقفت واقتصرت عبادتهم على تلاوة الأسفار المقدسة · وبعد العودة من السبي في القرن الخامس قبل الميلاد ، أضيفت الى الأسفار التسعة والثلاثين الأسفار السبعة الأخرى وأدخلت القائمة الرسمية في القرن الثاني قبل الميلاد · وكان هناك خلاف بين يهود الاسكندرية ويهود فلسطين حول الأسفار السبعة المستحدثة أي (القانونية الثانية) فالاسكندريون دون الفلسطينيين كانوا يقبلون أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروك والمكابين الأول والثاني · وقد تسلمت الكنيسة

المسيحية أسفار العهد القديم من اليهود كما ذكرنا آنفاً ، ومعها تسلمت الخلاف حول بعض الأسفار الذي ظل قائماً حتى بين المسيحيين الى القرن الخامس للميلاد اذ قبلت الكنيسة اللاتينية بمجموعة مدرسة الاسكندرية كلها ثم قبلتها الكنيسة اليونانية وسائر الكنائس ٠

أما قانونية أسفار العهد الجديد التي بين أيدينا اليوم وهي سبعة وعشرون سفراً(٤) فقد أقرتها الكنيسة الأولى في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني وأجمعت على قبولها كأسفار موحى بها من الله كتبها الرسل والتلاميذ الذين اختارهم الرب يسوع وحل عليهم الروح القدس فأرشدهم الى استعمال العبارات اللائقة ، وصانهم من الخطل والزلل فكتبوا ما كتبوه بعبارات واضحة وأثبتوا صدق كلامهم بالمعجزات الباهرات وسيرتهم الفاضلة ، وايمانهم حتى الموت بصدق ما بشروا به وكتبوه ٠ قال الرسول بولس « انه ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما » (غلا ١ : ٩) فلا عجب ان كان لرسالتهم تأثير على عقول الناس وقلوبهم فأذعنت للمسيح وآمنت بدينه ٠

□ لغاته :

كتبت معظم أسفار العهد القديم باللغة العبرية ، ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد أخذت اللغة الآرامية مكان العبرية

---

٤ - أسفار العهد الجديد هي انجيل متى ، انجيل مرقس ، انجيل لوقا ، انجيل يوحنا ، أعمال الرسل ، رسائل الرسول بولس الى : رومية ، كورنثوس الأولى ٠ كورنثوس الثانية ، غلاطية ، افسس ، فيلبي ، كولوسي ، تسالونيكي الأولى ، تسالونيكي الثانية ، تيموثاوس الأولى ، تيموثاوس الثانية ، تيطس ، فليمون ، والرسالة الى العبرانيين ، رسالة يعقوب ، رسالتا بطرس الأولى والثانية ، رسائل يوحنا الأولى والثانية والثالثة ، رسالة يهوذا ، رؤيا يوحنا ٠

في شؤون الحياة اليومية لدى اليهود فكتبت بالآرامية أسفار : طوبيا ويهوديت ، وبعض أجزاء من سفري عزرا ودانيال · وكتبت باليونانية أسفار الحكمة والمكابين الثاني ·

أما أسفار العهد الجديد فكتب أغلبها باللغة اليونانية (الدارجة) وكان هؤلاء الكتّاب ذوي ثقافة آرامية ومطبوعين في تفكيرهم بالطابع الآرامي السرياني · وقد تكلم السيد المسيح ورسله باللغة الآرامية السريانية وبها كتب الرسول متى انجيله وكذلك بها كتبت الرسالة الى العبرانيين ·

☐ أهم ترجماته :

ترجم الكتاب المقدس من لغاته الأصلية الى لغات عديدة بلغت اليوم ما ينوف على ألف ومئتي لغة ولهجة ، وأهم الترجمات القديمة هي :

١ ـ **الترجمة السبعينية** : التي تمت في الاسكندرية بأمر الملك بطليموس فيلادلفيوس نحو سنة (٢٨٢ ق·م) وأطلق عليها اسم السبعينية لأن التقليد يقول انها تمت على آيدي ٧٢ مترجماً من علماء اليهود حبسوا أنفسهم في ٧٢ غرفة حتى انتهوا من عملهم بعد ٧٢ يوماً ، ولما قورنت ترجمة كل منهم بالترجمات الأخرى وجدت جميعها وكأنها عمل شخص واحد · ويريد التقليد بهذه الرواية أن يبرهن على أن الله سبحانه وتعالى يصون كتابه المقدس ، وأن الترجمة جاءت مطابقة للأصل مطابقة تامة ·

وللترجمة السبعينية أهمية كبرى فمنها نقلت أسفار التوراة الى اللغة اللاتينية في منتصف القرن الثاني للميلاد وكذلك عنها نقلت الترجمات : القبطية بين القرن الثالث

والخامس للميلاد والأرمنية في القرن الخامس والحبشية في القرن الرابع للميلاد وغيرها ·

٢ ـ الترجمة السريانية : المعروفة ب (فشيطتا) البسيطة ·

مما لا يختلف فيه اثنان أن معظم فصول سفر دانيال وعزرا ونحميا من أسفار العهد القديم ، وانجيل متى والرسالة الى العبرانيين من العهد الجديد قد كتبت باللغة السريانية · وفي أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني للميلاد ترجم جماعة من العلماء اليهود المتنصرين أسفار العهد القديم عن العبرية الى السريانية في الرها على الأغلب ، وعرفت تلك الترجمة ب (صورات أكثوب) أي صورة الكتاب وسميت في القرن الثامن ب (فشيطتا) أي البسيطة لترك البلاغة في نقلها · وفي نهاية القرن الأول أيضاً أو أوائل القرن الثاني للميلاد نقل السريان أسفار العهد الجديد من اليونانية الى السريانية وهذه الترجمة أيضاً تعرف بالبسيطة · وقد حوت كل أسفار العهد الجديد ما عدا رسالتي مار يوحنا الثانية والثالثة ورسالة مار بطرس الثانية ورسالة مار يهوذا ورؤيا يوحنا · وقد أجمع العلماء على أنها ترجمة صحيحة وأمينة بدون أن تكون حرفية وهي كانت ولا تزال ذات أهمية كبرى وتعد اليوم من المراجع المهمة جداً في دراسة الكتاب المقدس ، وأقدم مخطوطة لها محفوظة في المتحف البريطاني في لندن وترقى الى القرن الرابع للميلاد· وقد أحصى بعضهم(٥) خمساًوخمسين

---

٥ ـ كنيسة أنطاكية سورية للبطريرك يعقوب الثالث دمشق ١٩٧١ ص ٤٠ عن (الملكيون) للخوري اسحق أرملة ص ١٠٤ نقلا عن معجم الكتاب المقدس لفيكورو ص ١٣٢ و ١٣٣ ·

مخطوطة سريانية بالقلم الاسطرنجيلي من الترجمة البسيطة مكتوبة في القرون الخامس والسادس والسابع محفوظة اليوم في مكتبات الشرق والغرب يقابلها (٢٢) نسخة لاتينية وعشر نسخ فقط يونانية ٠

وفي السريانية ترجمات أخرى ، كالترجمة الأنطاكية المعروفة اليوم (بالسينائية) لاكتشاف نسختها في دير طور سينا عام ١٨٩٢ وقد كتبت بخط يوحنا العمودي في دير مار قانون في معرة مصرين(٦) سنة (٦٩٨ م) أو (٧٨٩ م) ونشرتها السيدة لويز عام ١٩١٠ وربما اعتمدها ططيانس في جمع الدياطسرون(٧) أي الانجيل المختلط ٠

والترجمة الفلكسينية التي تمت على يد الخوري فوليقربوس بعناية مار فيلكسينوس مطران منبج عام ٥٠٥ م واقتصرت على ترجمة أسفار العهد الجديد ويظن أنه نقل بعض أسفار العهد القديم أيضاً(٨) ٠ والترجمة الحرقلية التي نقلها عن اليونانية مار توما الحرقلي مطران منبج سنة ٦١٦ م ، والترجمة التي سعى بانجازها مار بولس مطران تل موزلت (٦١٥ ـ ٦١٧ +) من اليونانية لهكسبلة أوريجانس آي المسدسة المصادر وعرفت بالترجمة السبعينية واعتمدها علماء السريان وقد فضلها ابن العبري في كتابه (مخزن الأسرار) على الترجمة البسيطة كما صرح في كتابه الموسوم ب (الأضواء)(٩)٠

---

٦ ـ معرة مصرين بلدة في محافظة ادلب في سورية ٠

٧ ـ اللؤلؤ المنثور للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ٥٢١ ٠

٨ ـ فيه ص ٤٦ و ٢١٥ ـ ٢١٦ ٠

٩ ـ الفصل السادس من الباب الرابع من المقالة الأخيرة من كتاب الأضواء لابن العبري ٠ انظر أيضا اللؤلؤ المنثور ص ٤٤ ٠

٣ ـ الترجمات العربية :

ان أول ترجمة عربية للانجيل المقدس يذكرها تاريخنا السرياني هي الترجمة التي تمت على يد علماء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية العرب من بني طي وتنوخ وعقيل . وقد قاموا بذلك بأمر البطريرك يوحنا أبي السدرات (ت ٦٤٨) استجابة لرغبة عمير بن سعد بن أبي وقاص الأنصاري أمير الجزيرة . وهذه الترجمة مفقودة(١٠) .

وقد اكتشف في دير كاترينا بشبه جزيرة سينا سنة ١٩٥٠ أقدم ترجمة عربية للتوراة عرفت في التاريخ وهي من القرن السابع للميلاد(١١) وان يوحنا أسقف اشبيلة في اسبانيا قام بترجمة أجزاء من الكتاب المقدس الى العربية سنة ٧٥٠ معتمداً على الترجمة اللاتينية لهيرونيموس . كما أن ورقة بن نوفل نقل بعض أجزاء الانجيل المقدس الى العربية(١٢) .

وظهرت ترجمات عديدة لأسفار الكتاب المقدس بالعربية بعد ذلك التاريخ نقلت عن اليونانية أو السريانية . وفي القرن التاسع عشر نقلت أسفار الكتاب المقدس من العبرية واليونانية

١٠ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٧٩ .

١١ـ المنارة المصرية عدد ٣١ يوليو سنة ١٩٥٠ .

١٢ـ في مقال له طبع في بون عام ١٨٦٥ ذكر البروفسور يوانيس كلدر ما يستر بعض المخطوطات العربية للانجيل المقدس منها مخطوطة جامعة لا يبزغ (ألمانيا) المكتوبة سنة ٧٥٠ م أو ٨٥٠ م وقد جاءت من دير السريان في مصر وهي كاملة وقد نقلت عن الترجمة السريانية البسيطة (فشيطتا) ومخطوطة الفاتيكان وهي مقتطفات من الترجمة العربية للانجيل تعود الى القرن التاسع وأخرى الى القرن الحادي عشر .

ولا بد من أن نذكر الترجمة العربية المنسوبة الى عبد الله بن الطيب المسمى بأبي الفرج (ت ١٠٤٣) والترجمة المسجعة لعبد يشوع الصوبادي (ت ١٣١٨).

القديمة الى العربية وطبعت سنة ١٨٦٤ في لبنان وقد أسهم بهذا العمل الدكتور كورنيليوس فانديك بمؤازرة الشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني والشيخ يوسف الأسير.

وفي عام ١٨٧٦ صدرت الترجمة العربية المعروفة بالترجمة اليسوعية لأسفار الكتاب المقدس كاملة (مع الأسفار القانونية الثانية) مترجمة عن العبرية واليونانية ·

☐ ترجمات أخرى :

وفي سنة ٤٠٥ أتم هيرونيموس في بيت لحم ترجمته اللاتينية المعروفة بالفولكاتا ، أي الشائعة ، وذلك عن العبرية واليونانية وهي الترجمة المعتمدة في الكنيسة الرومانية ·

ولا بد من أن نذكر الترجمة الأرمنية لأسفار الكتاب المقدس التي تعاون على انجازها الملفان دانيال السرياني ومسروب الأرمني سنة ٤٠٤ م والترجمة الفارسية التي تمت سنة ١٢٢١ على يد يوحنا ابن القس يوسف السرياني التفليسي · كما أن الربان فيلبس الملباري نقل الكتاب المقدس عن السريانية الى (المليالم) لغة جنوب الهند(١٣) في القرن التاسع عشر ·

☐ الدياطسرون :

في حدود سنة ١٧٢ للميلا جمع ططيانس السرياني(١٤) (ت ١٨٠) الأناجيل الأربعة وصاغها كتاباً واحداً ، مبتدئاً من

١٣ـ المجلة البطريركية الدمشقية السنة الأولى ص ٦٩ ·

١٤ـ ولد وثنيا في حدياب (اربيل في العراق) نحو سنة ١١٠ وتنصر وتبع شيعة الانكراتيت (الأعفة الغلاة) فحرمته الكنيسة · كتب باليونانية مؤلفات شتى ولا يعرف له بالسريانية الا الدياطسرون وكان صديقا ليوستينس الشهيد (انظر اللؤلؤ المنثور ص ٥٢٢) ·

الآية الأولى من انجيل يوحنا « في البدء كان الكلمة » ومتتبعاً بانشاء سهل ممتنع ما انفرد به كل من الأناجيل الأربعة عن الموضوع الواحد ودعا انجيله الموحد هذا ب « الدياطسرون » وهذه كلمة يونانية معناها : (من خلال الأربعة) . وسماه السريان الانجيل المختلط تمييزاً له عن الأناجيل المفروقة ويضم خمسة وخمسين فصلاً . وقد وضعه بالسريانية معتمداً فيه على رأي بعض العلماء وعلى الترجمة التي تعرف اليوم بالسينائية لاكتشاف مخطوطتها في دير كاترينا في شبه جزيرة سيناء ، وعلى الترجمة البسيطة على رأي غيرهم من العلماء . ونقله الى اليونانية(١٥) . وقد أحب السريان (الدياطسرون) وقرؤوه في كنائسهم خاصة في الرها وولايتي الفرات وما بين النهرين حتى ألغى استعماله رابولا مطران الرها في القرن الخامس حرصاً على سلامة الكتاب المنزل وأحلّ محله الأناجيل المفردة ، ولا وجود اليوم لمخطوطة كاملة منه .

وقد فسر مار أفرام السرياني (٣٧٣ +) «الدياطسرون» ونقل تفسيره الى الأرمنية وله مخطوطة بالأرمنية كتبت عام ١١٩٥ نشرها بالطبع (أوشر) مع ترجمتها اللاتينية سنة ١٨٧٦ . كما نُقِل في القرن الحادي عشر الى العربية ، وعام ١٨٨٨ نشر النص العربي مترجماً الى اللاتينية ، ثم نقل الى الانكليزية فالألمانية سنة ١٨٩٦ ـ ١٩٢٦(١٦) .

وأخيراً اكتشفت المخطوطة السريانية الفريدة لتفسير مار أفرام للدياطسرون ونشرت بالطبع في أوكسفرد سنة ١٩٦٣ مترجمة الى اللاتينية .

١٥ـ اللؤلؤ المنثور ص ٥٢١ .

١٦ـ كنيسة أنطاكية سورية للبطريرك يعقوب الثالث دمشق ٩٧١ ص ٢٧ و ٢٨ .

□ بعض مخطوطاته الباقية الى اليوم :

اكتشفت عبر الأجيال مخطوطات لأسفار الكتاب المقدس، مجموعة أو متفرقة بلغاته الأصلية أو ترجماته • من ذلك مخطوطات البحر الميت التي اكتشفت عام ١٩٤٧ وهي ملفات من الرقّ ، أهمها نص كامل لسفر أشعيا بالعبرية ، يعود تاريخ كتابتها الى القرن الأول للميلاد • وتظهر أهميتها لعدم وجود مخطوطات كاملة بالعبرية يرجع تاريخها الى ما قبل القرن التاسع للميلاد •

ومخطوطة الفاتيكان الكاملة وتضم : أسفار العهد القديم مع الجزء الأكبر من الأسفار القانونية الثانية وأسفار العهد الجديد ما عدا رسالتي تيموثاوس الأولى والثانية ورسالة تيطس وسفر الرؤيا • وقد عني الملك قسطنطين بنسخها باليونانية سنة ٣٢٨ م • والمخطوطة السينائية باليونانية وتتضمن ثلثي أسفار العهد القديم ، ويرتقي تاريخ نسخها الى القرن الرابع للميلاد ، اقتناها المتحف البريطاني عام ١٩٣٣ م •

واكتشف أيضاً في الدير نفسه (دير كاترينا) سنة ١٨٤٤م نسخة يونانية للعهدين خُطّت في القرن الرابع ، وهي محفوظة الآن في المكتبة الملوكية في بطرسبرج(١٧) • وفي دير مار متى في الموصل ، نسخة قديمة للعهد الجديد المكتوبة بالسريانية والمنقولة الى العربية كتبت سنة ١١٨٩ م(١٨) •

١٧ـ مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين بيروت ١٩٣٧ ص ٢٥ و ٢٦ وكتاب دستور الباهر في الدليل الى الكتاب الطاهر صفحة ١٠٩ وعصمة الكتاب ص ٤٤ •

١٨ـ اللؤلؤ المنثور ص ٥٩ •

والمخطوطة الأخرى المعروفة بالاسكندرية ، يرتقي عهد نسخها الى القرن الخامس للميلاد ، وتضم أسفار العهدين كاملة ، وكانت ضمن مخطوطات بطريركية الاسكندرية ، وهي في المتحف البريطاني منذ سنة ١٦٢٨ كتبت باليونانية بالحرف الاسفيني ، الذي كان مستعملاً حتى القرن التاسع للميلاد ٠ **والنسخة الأفرامية**، وهي محفوظة في المكتبة السلطانية بباريس، وسميت بالأفرامية لأن أحدهم اقتناها وكتب عليها ميامر لمار أفرام ، واستطاع أحد العلماء من ازالة كتابات مار آفرام، فظهرت الكتابة الأصلية للكتاب المقدس وهي قديمة جداً تعود الى القرن الرابع للميلاد ٠

أما أسفار العهد الجديد بالسريانية ، فسبق أن ذكرنا بعض مخطوطاتها ٠ وقد اكتشفت أيضاً سنة ١٩٥٠ في دير كاترينا في شبه جزيرة سيناء نسخة سريانية للانجيل ، يعود تاريخ نسخها الى القرن الرابع ، وكذلك ترجمة عربية للتوراة وهي من القرن السابع(١٩) ٠

□ الخط الاسطرنجيلي بالسريانية :

اهتم الخطاطون السريان باجادة نسخ أسفار الكتاب المقدس، وفي أوائل القرن الثالث استنبط الأديب بولس بن‌عرقا السرياني الرهاوي خطاً خاصاً لكتابة الأناجيل المقدسة عرف بالاسطرنجيلي أو الرهاوي(٢٠) ويحق للكنيسة السريانية أن تفخر بأن أقدم نسخة من الأناجيل المقدسة اليوم هي بالسريانية بخط الكاتب يعقوب في الرها سنة ٤١١ م ومحفوظة في المتحف البريطاني(٢١) ومن المخطوطات المهمة أيضاً للكتاب المقدس

١٩ـ المنارة المصرية عدد ٣١ يوليو سنة ١٩٥٠ ٠

٢٠ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ ٠

٢١ـ عصر السرياني الذهبي للفيكونت دي طرازي ص ٨٣ ٠

بالسريانية مخطوطة الفاتيكان كتبت سنة ٥٤٨ م ومخطوطة مكتبة فلورنسا التي كتبها سنة ٥٨٦ م الربان رابولا ولذلك تدعى ب (انجيل رابولا) وتنطوي على ست وعشرين صورة ملونة(٢٢) وفضلاً عن امتياز هذه المصاحف بجودة الخط وحسنه فقد تميَّزت أيضاً بالنقوش والصور التي جاءت آية في الفن والابداع ٠ والنسخ المحفوظة في مكتبات الكنائس والأديرة السريانية والمتاحف وخزانات الكتب العالمية تنطق بذلك كله ٠

☐ نشر العهد الجديد بالطبع بالسريانية :

في أواسط القرن السادس عشر للميلاد ، أرسل البطريرك الأنطاكي مار أغناطيوس عبدالله اسطيفان (١٥٢٠ـ١٥٥٧ +) القس موسى ابن القس اسحق الصوري(٢٣) الى النمسا ، وبوساطة أستاذ القانون الكنسي المستشرق العلاّمة يوحنا بدمانستاديوس الذي كان يجيد اللغة السريانية اهتم بطبع أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس لأول مرة باللغة السريانية طبقاً لنص الترجمة البسيطة (فشيطتا) وذلك في فينا سنة ١٥٥٥ م على نفقة فرديناندوس (١٥٠٣ـ١٥٦٤ م) ملك رومانيا وجرمانيا وهنغاريا وبوهيميا ورئيس رؤساء النمسا الشرقية والغربية يومذاك ٠

وقد طبع الكتاب بالقلم السرياني الغربي الذي وضع في القرن التاسع للميلاد ، أما العناوين فقد كُتبت بالخط الاسطرنجيلي ٠

٢٢ـ فهرست مخطوطات فلورنسا رقم (١) ٠

٢٣ـ الصور بلدة تقع بقرب ماردين في تركيا اليوم ٠

ويحتوي الكتاب على أسفار العهد الجديد ما عدا رسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالة يهوذا وسفر رؤيا يوحنا الرسول ٠

وقسمت أسفار الكتاب الى فصول تتلى عادة في الكنيسة السريانية في بدء القداس أيام الآحاد والأعياد ، ويعتبر الكتاب تحفة من تحف فن الطباعة وهو أول كتاب سرياني ينشر بالطبع(٢٤) ٠

ونشرت أسفار العهدين بالطبع في لندن سنة ١٨٣٣ بالحرف العربي وأعيد طبعها بعد أن ضمت اليها الأسفار القانونية الثانية سنة ١٩٦٨ ٠

☐ تقسيمه الى فصول :

كان كل سفر من أسفار الكتاب المقدس في أول الأمر فصلاً واحداً من أوله الى آخره ما عدا سفري المزامير ونشيد الانشاد٠ وقيل ان أسفار العهد القديم تم تقسيمها الى ستمائة وتسعة وتسعين فصلاً على يد عزرا الكاتب أو موسى النبي ٠

أما تقسيم سائر الأسفار الى فصول ، المعوَّل عليه ، فقد جرى على يد الكاردينال هوجر (ت ١٢٦٣) وتقسيم الفصول الى أعداد تمَّ عام ١٥٤٥ على يد روبرت ايتني الطباع الفرنسي الشهير ٠

٢٤ـ مقالة للمؤلف موسومة بـ (نبذة تاريخية : أول كتاب طبع بالسريانية) نشرت في مجلة مجمع اللغة السريانية في بغداد المجلد الثاني ١٩٧٦ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٤ ٠

وقد قسم العلاّمة مار يعقوب الرهاوي(٢٥) (ت ٧٠٨ م) الترجمة السريانية البسيطة (فشيطتا) الى فصول واضعاً في مقدمة كل فصل ملخصاً لمحتوياته وفي الهامش شرحاً للكلمات الصعبة كما ضبط اللفظ الصحيح(٢٦) ·

□ قراءته في الكنيسة :

عين السريان فصولاً خاصة من أسفار الكتاب يتلونها أيام الآحاد والأعياد في الكنيسة ضمن الطقس البيعي · فقد عينوا لكل أحد وحفلة ثلاث قراءات من العهد القديم على أن تكون الثالثة من أسفار النبوات ، وثلاثاً من العهد الجديد أي سفر أعمال الرسل أو احدى الرسائل الجامعة ومن الرسائل البولسية والانجيل المقدس ، وتزيد هذه القراءات وتنقص بالنسبة الى المناسبة في ممارسة أسرار الكنيسة والأصوام والمواسم · ومما يلاحظ أن السريان استثنوا من الكتاب المقدس قراءة سفري نشيد الانشاد ورؤيا يوحنا وأكثر سفري المكابين(٢٧) ·

٢٥ـ قال المستشرق بومشترك « لقد وجد كتاب الله في يعقوب الرهاوي أكبر لاهوتي في اللغة السريانية يدلك على هذا ما حوته مصنفات له شتى » (تاريخ الآداب السريانية بومشترك ص ٢٥٤) · فالى جانب تنقيحه الترجمة (البسيطة) وتقسيمها الى فصول ، له ضوابط لألفاظ العهدين · وفسر الكتاب آية آية · وقد لقب (بمفسر الكتب) ·

٢٦ـ مقالة للمؤلف بموضوع مار يعقوب الرهاوي (اللاهوتي والمؤرخ والمترجم ···) نشرت في مجلة مجمع اللغة السريانية المجلد الثاني ١٩٧٦ ص ٣١ ـ ٤٥) ·

٢٧ـ انظر كتاب (اللؤلؤ المنثور) للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ٥٨ و ٥٩ ·

☐ تفسيره :

اهتم علماء النصرانية بتفسير الكتاب المقدس وشرحه شرحاً وافياً وأقدم المفسرين لدى السريان هو مار أفرام (٣٧٣ +) الذي فسر أسفار العهدين وقد فقد هذا التفسير، وفسر أيضاً الدياطسرون الانجيل المختلط كما مرَّ بنا وقيل لو فقد نص الكتاب المقدس بالسريانية لاستطعنا جمعه من خلال مؤلفات مار أفرام • ومن أشهر المفسرين لدينا عدا أفرام السرياني ، يعقوب السروجي (٥٢١ +) وفيلكسينوس المنبجي (٥٢٣ +) ويوحنا بن أفتونيا (٥٣٨ +) ودانيال الصلحي (٥٤٢ +) وماروثا التكريتي (٦٤٩ +) ويعقوب الرهاوي (٧٠٨ +) الذي لقب ب (مفسر الكتب) وموسى ابن كيفا (٩٠٣ +) ، وابن العبري (١٢٨٦ +) وخاصة ابن الصليبي (١١٧١ +) •

قال العلاّمة البطريرك أفرام الأول برصوم : « أما الطريقة التي اتبعوها (بالتفسير) فهي اما شرح الآيات آية فآية ، واما الاقتصار على الآيات التي تقتضي التفسير • وفيهم من اعتمد طريقة المدرسة الأنطاكية في الاعتماد على المعنى الحرفي اللفظي ، وفيهم من أخذ بطريقة المدرسة الاسكندرية فغاص على المعنى الروحي الرمزي ، وجمع بعضهم بين الطريقتين كما فعل خاصة ابن الصليبي(٢٨) » •

☐ سلامته :

صان الله تعالى كتابه المقدس سالماً من أي تحريف أو تبديل أو تناقض أو ناسخ أو منسوخ فلم يعتره خلل منذ كتب الى الآن ولن يعتريه أبداً •

٢٨ـ اللؤلؤ المنثور ص ٤٩ •

وكان النساخ يعنون العناية التامة بكتابته • وكانوا يعرفون عدد كل حرف في كل سطر أو صفحة أو سفر ، ويخافون العقاب من زيادة حرف أو نقطة أو حذفهما • فقد جاء في سفر الرؤيا : « ان كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب • وان كان يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب » (رؤ ٢٢ : ١٨ و ١٩) وقال الرب : « ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » (لو ١٦ : ١٧) و « السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول » (مت ٢٤ : ٣٥) •

فالكتاب معصوم عن الخطأ • وقد حافظ عليه المؤمنون في العهدين كحدقة العين • وان اليهود على الرغم من انقسامهم الى شيع وفرق عديدة واختلافهم في أمور كثيرة ، كانوا مجمعين على أن أسفار العهد القديم موحى بها من الله ، وكذلك المسيحيون بالنسبة الى نصوص العهدين قد أجمعوا على أنها كلام الله الحي « كل الكتاب موحى به من الله » و « كلامك هو حق » (يو ١٧ : ١٧) •

لقد كتبت أسفار الكتاب المقدس بلغات عديدة وهي العبرية ، والآرامية ، واليونانية ـ وارتأى بعضهم أن سفر أيوب كتب أولاً بالعربية ـ وقد كتبها أنبياء ورسل عديدون في حقب زمنية متفاوتة ، وترجمت هذه الأسفار الى لغات مختلفة ولهجات متباينة • وتعد مخطوطاتها بهذه اللغات بالمئات ، وهي محفوظة في شتى متاحف العالم وخزانات الكتب الشهيرة ، ويرجع تاريخ نسخ بعض أسفار العهد القديم الى القرن الأول قبل الميلاد ، أما أسفار العهد الجديد مع القديم فالى القرون الثاني والرابع والسادس والسابع والثامن للميلاد ، وكانت

أول ما نشر بالطبع بعد اختراع صناعة الطباعة في القرن الخامس عشر • وقد فحص العلماء هذه المخطوطات وكذلك ما طبع من أسفار الكتاب حتى اليوم بلغاتها الأصلية وترجماتها وقابلوا نصوصها ، بتدقيق فرأوها، رغم قدمها وتباعد البلدان التي جمعت منها المخطوطات ، مطابقة كل المطابقة بعضها لبعض • ولا خلاف فيها بالمعنى أبداً •

كما أن آباء الكنيسة على اختلاف أوطانهم ولغاتهم واتجاهاتهم الفكرية ومذاهبهم العقائدية عبر الدهور والأجيال، اقتبسوا في كتاباتهم آيات من الكتاب المقدس تثبت صحتها بمقارنتها مع النص الأصلي للأسفار كما تقيم الدليل الناصع على سلامة الكتاب من التحريف •

ومما يبرهن أيضاً على صحة الكتاب المقدس وسلامته وصدقه وأنه موحى به من الله ما ورد فيه من نبوات عن الأمم القديمة ، والتي تمت بحذافيرها بعد سنين عديدة كما يشهد بذلك تاريخ هذه الأمم ، وعلم الآثار حتى قيل : « ان النور الذي يسطع على الكتاب المقدس من الاكتشافات التي تمت في الأرض المقدسة ، لا يدانيه نور أية اكتشافات أخرى » •

وقد تنبأ أنبياء العهد القديم عن مجيء السيد المسيح مخلصاً وفادياً قبل مجيئه بآلاف السنين ، فانتظرته الأجيال الى أن جاء متمماً النبوات بحذافيرها بصورة عجيبة حيث آن بعض تلك النبوات فصّلت حياة الرب على الأرض من ولادته وحتى صعوده الى السماء • ولقد درس بعض الملحدين هذه النبوات المدونة في أسفار العهد القديم المتداولة لدى اليهود والمسيحيين ، ورأوا موافقتها للحوادث التي مرَّ بها الرب رغم أنها كتبت عنه قبل مجيئه بأجيال كثيرة فآمنوا •

وان قبول الرسل الحقائق الالهية ولئن فاقت ادراكهم ، لهي دلالة واضحة على أمانتهم في حفظ الكتاب سليماً من أي تبديل • فمسألة صلب السيد المسيح مثلاً لم يكن من الهيّن قبولها ، حتى ان سمعان بطرس لما سمعها من الرب قال له : « حاشاك يا رب لا يكون لك هذا » (مت ١٦ : ٢٢) ورغم صعوبة الفكرة كانوا يبشرون بها لأنها حقيقة • مما يدل على أن الانجيل صحيح وصادق • وقد كتب الانجيليون الأربعة أناجيلهم في أماكن متفرقة ولكن أجمعوا بالشهادة التي قدموها بالانجيل على صلب المسيح وقيامته رغم أن التبشير (بالمسيح المصلوب) كان ولا يزال عثرة لليهود وجهالة لدى الأمم • كما أن اليهود أيضاً لم يجسروا على تبديل أو حذف آية واحدة من نبوات الأنبياء التي تعلن حقيقة موت ماسيا وقيامته ، فهذا أقوى دليل على صدق أسفار الكتاب وسلامتها كافة • لذلك فالرب يوجه أنظار اليهود الى الكتب حيث قال : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي » (يو ٥ : ١٢) وقال أيضاً : « تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله » (مت ٢٢ : ٢٩) •

□ الخاتمة :

لكي لا نضل ، ولنعرف قوة الله علينا أن ندرس أسفار الكتاب المقدس ونستنير بنور كلمة الله ونحن سائرون في دروب الحياة كقول صاحب المزامير « سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي حلفت فأبرّه أن أحفظ أحكام برّك » (١١٩ : ١٠٥ و ١٠٦) •

قال القديس يوحنا فم الذهب (٤٠٧ +) : « ان التبر عند من لا خبرة لهم يعد كالتراب • أما عند أصحاب المهنة الذين امتحنوه بالنار وعرفوه جيداً فقيمته عظيمة وثمينة • وهكذا

الأمر مع الكتاب الالهي فكثيرون لجهلهم يحسبونه كسائر الكتب. وأما الذين اختبروه فقد عرفوا أنه أثمن من الذهب الابريز لذلك طالعوه واغتنوا به » ، وقال صاحب المزامير : « ناموس الرب كامل يرد النفس ... وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب ... أحكام الرب حق ، عادلة كلها أشهر من الذهب الابريز الكثير » (مز ١٩ : ٧ ـ ١) .

ان الكتاب المقدس مصنع لخلق خير الرجال وأفضل النساء، فيه نعرف من نحن ، ومن هو الهنا ، وما هو مصيرنا ، وكيف نرضي الله تعالى ونصنع مشيئته ، لذلك فالرسول بولس يقول لتلميذه تيمثاوس : « وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالايمان الذي في المسيح يسوع » (٢ تي ٣ : ١٥) .

وقال الرب : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) ونحن بحالة جوع الى استماع كلمة الله (عاموص ٨ : ١١) .

والمؤمن الصالح هو من أحب كلام الله (مز ١١٩ : ١٤) « وفي ناموس الرب مسرّته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً » (مز ١ : ٢) .

فما أجمل الدار التي يزينها الكتاب المقدس ، فيتلو أعضاء الأسرة فصولاً منه في تأملاتهم اليومية . حقاً ان المسيح يكون معهم كواحد منهم ، حسب وعده : « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) .

ان الكنيسة المقدسة التي هي أم ومعلمة تدعونا لتكريم الكتاب المقدس ، فبموجب طقسنا السرياني يُنصب في وسط باب المذبح المتوسط في كل كنيسة منبر صغير من الخشب يقال

له بالسريانية (كوغولتو) أي الجلجلة ، ويصمد عليه الانجيل المقدس ويكون ظاهر الانجيل مغشى بصفيحة من الذهب أو الفضة المذهبة مرسوماً عليها صور الانجيليين الأربعة والصليب المقدس ليقبِّله المؤمنون تبركاً عند دخولهم الكنيسة ومغادرتهم اياها . كما خصصت الكنيسة مناداة يرتلها الشماس قبل قراءة الانجيل المقدس في الكنيسة خلال الخدمات الطقسية ، يدعو بها المؤمنين أن يقفوا منتصبين ، ويصغوا بخوف وحكمة لسماع كلام بشارة الخلاص ، ويعبق البخور أثناء ذلك . وقارىء الانجيل في الطقس السرياني عندنا هو مقرّب الذبيحة بطريركاً كان أم مطراناً أم كاهناً .

وقد وضع آباء الكنيسة صلوات خاصة يتلوها المؤمنون قبل البدء بقراءة الكتاب المقدس في تأملاتهم الفردية أو العائلية ، وهي أدعية فيها يطلبون من الرب لينير أذهانهم لفهم معاني كلمة الحياة .

ان تلاوة الكتاب المقدس توقظ ضمائرنا وتبكتنا على خطايانا ، وتدعونا للتوبة والعودة الى الله . فالى دراسة الكتاب المقدس ندعوكم أيها الأحباء ، ليس كدراستكم سائر الكتب . بل عليكم أن تتلوه بروح الصلاة النقية اذ من خلاله يكلمنا الله تعالى . فاقرؤوه بخشوع وتواضع ، وبساطة وايمان ، لأنه أفضل كتاب للصلاة ، بل أفضل كتاب اطلاقاً .

وان خير ما نختم به حديثنا هو قول الرب : « طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » (لو ١١ :: ٢٨) .

★ ★ ★

القديسة مريم العذراء *
في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية

☐ مقدمة :

ما أشهى الحديث عن والدة الله القديسة مريم العذراء ! فقد أشبع آباء الكنيسة الميامين سيرتها درساً وتمحيصاً ، ونظم الشعراء الكنسيون الملهمون بديع القصائد في تبجيلها ، ونحت لها الفنانون الشهيرون أجمل التماثيل، وملأ الرسامون الماهرون الدنيا بصورها الرائعة ، وشيّد المؤمنون على اسمها آفخم الكاتدرائيات في العالم ٠

☐ أعيادها :

وهذه كنيستنا السريانية الأرثوذكسية منذ فجر وجودها تتغنى بفضائلها ، وتطوّبها متشفعة بها ، مرددة في صلواتها اسمها الكريم صباح مساء ٠ كما رتّبت لها أعياداً على مدار السنة ، ففي الثامن من شهر ايلول تحتفل بعيد ميلادها ، والكنيسة عادة تعيّد للشهداء والقديسين تخليداً لذكرى انتهاء جهادهم الروحي على الأرض وانتقالهم الى السماء، وانضمامهم الى كنيسة الأبكار ، ولكنها استثنت من هذه القاعدة العذراء القديسة مريم ومار يوحنا المعمدان ٠ وكانت تعيّد للعذراء أيضاً عيد دخولها الى الهيكل ٠ كما يُعيّد لها ثلاثة أعياد

★ نشرت في المجلة البطريركية ـ عدد تشرين أول ١٩٨٢ ٠

لبركة الزرع والسنبل والكروم ، وينسب الشعراء السريان المسمون بالقواقين(١) وضع هذه الأعياد الى القديس يوحنا الانجيلي حيث يقولون ما تعريبه : «رشت أرض أفسس ونضحت بندى وطلّ عندما جاءها مار يوحنا بكتب العذراء التي دوّن فيها وجوب الاحتفال بأعياد العذراء المباركة ثلاث مرات في السنة · ففي شهر كانون الثاني عيدها (لبركة) الزرع ، وفي شهر أيار عيدها (لبركة) السنابل ، وفي شهر آب عيدها (لبركة) الكروم التي يصور فيها سر الحياة» · وهذه الأعياد الثلاثة تقع في اليوم الخامس عشر من الأشهر الثلاثة المذكورة وقد حلّ عيد انتقال السيدة العذراء محل عيد بركة الكروم الذي يقع في الخامس عشر من شهر آب(٢) · ولقدسية عيد انتقال السيدة العذراء فرضت الكنيسة صوماً يلتزم به المؤمنون استعداداً لاستقباله ويسمى صوم السيدة · وكان سابقاً أربعة عشر يوماً بدؤه في اليوم الأول من شهر آب · وكان المؤمنون يقتصرون في هذا الصوم على أكلة واحدة في اليوم يتناولونها مساءً خالية من لحم كل

---

١ ـ اشتهر في أوائل القرن السادس للميلاد الشماس شمعون الفخاري (ت ٥١٤) بنظم القصائد الدينية البديعة التي كان يلحنها أيضاً وينشدها خلال عمله كفخاري · وعرف بالخزاف أو الفخاري وبالسريانية (قوقويو) واقتدى به زملاء له فنسجوا على منواله وعرفوا جميعا ب (قوقويي) أي الفخارين · وقد فحص كل من مار يعقوب السروجي الملفان (ت ٥٢١) ومار سويريوس الكبير (ت ٥٣٨) أشعار شمعون وشجعاه على مواصلة النظم ، ودخلت أشعار القواقين أي الفخارين الفروض البيعية (انظر اللؤلؤ المنثور للخالد الذكر البطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد عام ١٩٧٦ ص ٢١٧ ـ ٢١٨ نقلا عن مار يعقوب الرهاوي ت ٧٠٨) ·

٢ ـ كما كانت الكنيسة تعيد لها في آخر شهر آب عيد (تزنير السيدة العذراء) ولقربه من عيد انتقالها أهمل على تراخي السنين (انظر بيان بطريركي في زنار السيدة العذراء للخالد الذكر البطريرك أفرام الأول برصوم ـ حمص ١٩٥٣ ص ٢١) ·

حيّ ، ومن البيض والحليب ومشتقاته ، ويكتفون بتناول : الخضراوات والبقول ويمتنعون عن المسكرات أيضاً • وقد تساهلت الكنيسة في هذا الجيل فخففت هذا الصوم وجعلته خمسة أيام تبدأ في اليوم العاشر من شهر آب • وفسّحت وسمحت بتناول وجبتين أو ثلاث وجبات في النهار وبتناول السمك والحيوانات المائية •

وتعيِّد الكنيسة أيضاً للعذراء مريم في اليوم الثاني لعيد ميلاد الرب يسوع ، عيد تهنئة العذراء بالميلاد ، وفي اليوم الثاني لعيد قيامة الفادي من بين الأموات ، عيد تهنئة العذراء بقيامة ابنها • كما تعيِّد في الخامس عشر من شهر حزيران عيد أول كنيسة بنيت على اسم العذراء • ومن أهم الأعياد في النصرانية عيد بشارة العذراء بالحبل الالهي ويقع في الخامس والعشرين من شهر آذار • كما خصصت الكنيسة السريانية في بدء السنة الطقسية ما يسمى بالآحاد السابقة للميلاد ، ضمنها أحد بشارة العذراء وأحد زيارة العذراء لنسيبتها اليصابات ، وآحد وحي يوسف وهو تطمين الملاك جبرائيل ليوسف خطيب العذراء ببراءتها وكشف السر الالهي له ، ان الذي حُبل به في العذراء مريم هو من الروح القدس •

وتفنن آباء الكنيسة في مديح العذراء في الأعياد نثراً وشعراً ونظّموا طقوساً ضمتها مجلدات ضخمة سميت بالفناقيث(٣) كما يضم كتاب فرض الصلوات اليومية التي

---

٣ ـ الفنقيث كلمة سريانية تعني المجلد وفي المصطلح الكنسي تطلق على أحد كتب الصلوات القانونية التي تتضمن صلوات أيام الآحاد والأعياد والتذكارات واصوام وصلوات أسبوع آلام الفادي ، ج فناقيث •

تكرر أسبوعياً المسمى (بالاشحيم(٤)) أناشيد روحية منظومة ومنثورة ترتل يومياً صباح مساء وموضوعها اعلان العقيدة المستقيمة الرأي بالعذراء مريم والاقرار بها ، واظهار مكانة العذراء السامية في قلب المؤمن وفي الكنيسة عامة والتشفع بها والاستغاثة بصلواتها المستجابة ٠ ورأينا أن نقتبس منه في بحثنا هذا شذرات زيادة للفائدة ٠

ففي موضوع أعياد العذراء والغاية من الاحتفال بها نقرأ في صلاة القومة الأولى من ليلة الاثنين ما ترجمته(٥) : « ليكن ذكرك للبركة يا والد الله العذراء، فأجيبي سؤل البعيدين والقريبين ، ومنّي بالشفاء على المرضى واطلبي (من ابنك) أن يمد المتضايقين شجاعة ، واطردي الشرير ممن يعذبهم ، فبقوة صلاتك وطلبتك لتحل علينا المراحم هاليلويا ولتعضدنا صلاتك » ٠

وفي صلاة مساء الاثنين(٦) نقرأ ما ترجمته « ليكن ذكر المباركة العذراء والدة الله مؤبداً لأنها ولدت لنا في بتوليتها المسيح الملك مخلص العوالم كافة هاليلويا فلتكن صلاتها معنا » ٠

---

٤ ـ الاشحيم كلمة سريانية تعني البسيط وهو كتاب الفرض الأسبوعي ويحتوي على مجموعة صلوات أيام الأسبوع التي تسمى الأيام البسيطة أي التي ليست آحاداً ولا أعيادا ولا تذكارات وليست أصواما خصصت للرب أو العذراء أو الرسل ويرجح أن مار يعقوب الرهاوي (ت ٧٠٨) هو الذي جمع الأشحيم في القرن السابع للميلاد منتخباً صلواته من مؤلفات آباء الكنيسة الأولين كأفرام السرياني ويعقوب السروجي ٠

٥ ـ كتاب الاشحيم الذي نشره المثلث الرحمات العلامة البطريرك أفرام الأول برصوم سنة ١٩٣٦ في القدس ٠ صفحة (٢٠) ٠

٦ ـ الأشحيم ص ٩ ٠

وفي نشيد يرتل مساء الخميس(٧) نقرأ ما ترجمته : « أيتها المباركة التي صارت أم الله بالطهارة والقداسة ودون زواج ، استمدي الرحمة في يوم ذكراك هذا لتكون فيه الراحة للأموات والرجاء للأحياء ٠٠ ان كان جسدك بعيداً عنا أيتها القديسة فصلواتك معنا دائماً ، فتضرعي الى القوة الخفية (الابن) الذي هبط من عليائه وحلَّ فيك لكي يغفر لنا » ٠

وفي صلاة مساء الجمعة(٨) نقرأ لمار يعقوب السروجي (ت ٥٢١) طلبة يقول فيها ما ترجمته : « ما أجمل وما ألذّ يوم تذكار العذراء مريم المباركة التي صارت أماً لابن الله فبجاه صلواتها يا رب أبعد قضبان الغضب عن كل من يلتجىء اليها مؤمناً » ٠

وفي صلاة القومة الأولى من ليلة السبت(٩) يقول مار يعقوب ما ترجمته : « هلم أيها الأفاضل لنبجل يوم عيد الطوباوية (مريم) ونعظمه بمحبة فائقة وايمان (ويقظة) وسهر طويل ، والاستمرار بتقديم الصدقات ورفع الصلوات (فالعذراء) تفي مكرميها أجراً مضاعفاً » ٠ هلمي أيتها القديسة ووزعي في يوم عيدك الهدايا على جمعنا المتعطش الى صلواتك وطلباتك ، وليكن الرب سوراً لجميع من يكرّمونك ، وليصد عنهم الضربات وقضبان الغضب كافة ٠٠ ان القوة التي هي قوتك تقوي جمعنا ليتمكن من تقديم المدح لك ٠ وتدعونا بجاه صلواتك الى خدور النور وليحصِ الرب مع جوقة الملائكة كل من كرم عيدك والتجأ اليك من الأحياء والأموات ٠٠ يا رب في يوم عيد أمك ترفع اليك رعيتك التسبيح النقي بنغمة عذبة

---

٧ ـ فيه ص ١٢٩ و ١٣٠ ٠

٨ ـ فيه ص ١٧٠ ٠

٩ ـ فيه ص ٢١٧ ٠

وتهليل ، فارسم بصليبك أبوابها العالية وأبعد عنها الأضرار ولتصعد اليك المجد والى أبيك والى الروح القدس ...

وجاء في صلاة صبح السبت(١٠) ما تعريبه : « ليكن في الكنائس والأديار ذكر مريم والدة الله النقية والقديسة في بتوليتها وقد حسنت لملك الملوك فهبط وحلَّ في حشاها » ...

☐ العذراء مريم من خلال نبوات الكتاب المقدس :

ففي ميدان دراستنا لتاريخ حياة العذراء القديسة مريم وتأملنا بسيرتها الطاهرة ، لا بد من أن نستند الى أسفار الوحي الالهي وما تركه لنا آباء الكنيسة من دراسات واسعة في تفسير الكتاب المقدس ، فبحسب تعاليم هؤلاء الآباء أن عشرات النبوات التي أعلنها الوحي الالهي ودونت في الأسفار النبوية في العهد القديم قد تمت في العذراء مريم . كما أن الآباء رأوا في بعض شخصيات الكتاب المقدس وحوادثه رموزاً واشارات اليها : ــ فهي المرأة المقصودة بوعد الله تعالى للانسان بالخلاص بقوله تعالى : ــ « ونسل المرأة يسحق رأس الحية » (تك ٣ : ١٥) ونسلها المسيح يسوع الذي حبل به فيها من الروح القدس وليس من زرع رجل ، وهي حواء الجديدة ، كما أن ابنها المسيح هو آدم الجديد ، واذا كان الله قد أخذ ضلعاً من جنب آدم وصنع منه حواء المرأة الأولى ، ففي تجديد الخليقة ولد الاله المتجسد وهو آدم الثاني من العذراء التي هي حواء الثانية . وهي العذراء التي قال عنها النبي أشعيا (القرن الثامن ق.م) نبوته الشهيرة : « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) الذي تفسيره الله معنا (مت١ : ٢٣) وقد تناول الآباء بكتاباتهم هذه النبوات والرموز والاشارات

١٠ــ الأشحيم ص ٢٦٦ .

وضم بعضها الى كتب الصلوات ، واليك جزءاً مما دوّن في كتاب فرض الصلاة الأسبوعي (الاشحيم) فقد جاء في القومة الأولى من صلاة ليلة الأربعاء(١١) ما ترجمته : « أطلق الصديقون الأولون على مريم ابنة داود ، العذراء القديسة ، أسماء جميلة وبهية ، فحزقيال ابن السبي سماها باباً مغلقاً(١٢) وسليمان دعاها جنة موصدة وينبوعاً مختوماً ، وداود دعاها مدينة نبت فيها المسيح عشباً ، دون زرع ، وصار مأكلاً للشعوب . وفي يوم ميلاده حررنا من اللعنة » .

وفي صلاة صبح الثلاثاء(١٣) نقرأ ما ترجمته : « ان العوسجة التي رآها موسى على جبل سينا ترمز اليك أيتها العذراء القديسة ، فالعوسجة تمثل جسدك المقدس ، وأوراقها التي لم تحترق ترمز الى بتوليتك هاليلويا وهاليلويا والنار التي في العوسجة ترمز الى الله الذي حلّ فيك ... » .

وفي صلاة مساء الأربعاء(١٤) نقرأ ما ترجمته : « ان المركبة التي رآها النبي المختار حزقيال لا تطال جمالك ، فالحيوانات المشدودة اليها والكاربيون يباركون . وصور الوجوه الأربعة ، أي صورة الأسد والثور والنسر والانسان يختلف بعضها عن بعض . أما ركبتاك أيتها الأم المباركة فقد صارتا له مركبة ، وذراعاك صارتا له عجلة ، وفمك يرنم المجد » .

وجاء في صلاة مساء السبت(١٥) ما ترجمته : « لقد رمز

١١- الاشحيم ص ٩٨ .
١٢- سفر نبوة حزقيال ٤٤ : ١ و ٢ .
١٣- الاشحيم ص ٧٣ .
١٤- فيه ص ٩٩ .
١٥- فيه ص ٢٠٥ .

اليك موسى بالعليقة (يا مريم) ورمز اليك أبوك داود بتابوت العهد ، وجدعون بالجزة ويعقوب الصدّيق بالسلم الذي ارتقى بها الجنس البشري الى السماء » ·

وجاء في طلبة لمار يعقوب ضمن صلاة صبح الأربعاء(١٦) ما تعريبه : طوباك يا مريم فان تابوت العهد الذي صنعه موسى كمثال ، يرمز اليك بصورة سرية ، فقد احتوى اللوحين اللذين كتبهما الله ، وأما أنت يا مريم فقد حويت خبز الحياة الحقيقي ·

وفي صلاة صبح السبت(١٧) نقرأ ما ترجمته : « لقد رمزت اليك الصخرة التي نبعت منها الأنهر في البرية ، أيتها البتول القديسة ، فقد أشرق منك للعالم ابن الله الذي هو صخرة الحق على حد قول الرسول بولس ·· أيتها العذراء الممتلئة فتنة عنك تنبأ الملك داود قائلاً : « ان ابنة الملك قامت (عن يمين الملك) بمجد وقداسة · واشتهى الملك جمالها فنزل وحلّ في حشاها » ·

هذا وقد رأى بعض الآباء رموزاً أخرى تشير الى العذراء كالشجرة التي وجدت في جبل موريا وحملت كبشاً خلص اسحق من الذبح ، وعصا هارون التي أزهرت وأثمرت لوزاً · وغير ذلك ·

□ نسب العذراء :

تنتمي العذراء القديسة مريم الى سبط يهوذا وهي من نسل داود . وتتصل بصلة القرابة مع اليصابات أم يوحنا

١٦- الاشحيم ص ١١٨ ·
١٧- فيه ص ٢٢٥ و ٢٢٦ ·

المعمدان التي تدعى في الانجيل المقدس نسيبة العذراء (لو ١ : ٣٦) ويقال انها كانت خالتها · كما أن سالومي زوجة زبدي وأم يعقوب ويوحنا هي الأخرى تمت بصلة القرابة الى العذراء مريم (مت ٢٧ : ٥٦ و يو ١٩ : ٢٥) وقد وردت في الانجيل المقدس سلسلة نسب السيد المسيح من ناحية يوسف خطيب العذراء (مت١:١٦ و لو ٣:٢٣ و أع ٢:٢٠ و رو ١:٣) والعذراء ويوسف هما من سبط واحد · فالعذراء مريم اذن هي سليلة الكهنة والملوك والأنبياء ، وهي ابنة داود ، ولذلك قال لها الملاك لما بشرها بالحبل الالهي : « ستحبلين وتلدين ابناً ··· يكون عظيماً وابن العلي يدعى ··· ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ··· » (لو ١ : ٣١ ــ ٣٢) ·

☐ العاقران يواكيم وحنة والدا العذراء مريم :

ويذكر لنا التقليد الكنسي المستند الى تعاليم الرسل ، ان والدي العذراء مريم هما يواكيم وحنة ، وان أبا حنة هو الكاهن متّان من سبط لاوي ومن آل هارون وان والدة حنة هي مريم من سبط يهوذا · وان يواكيم وحنة كانا يقيمان في قرية بالقرب من الناصرة من أعمال الجليل وكانا ميسورين ويوزعان أرباحهما على الهيكل والفقراء ، وما تبقى لهما يسدان به حاجتهما · وكانا عاقرين وبارّين أمام الله وسائرين بحسب نواميسه الالهية ، وكان العقر ، لدى اليهود ، يعتبر لعنة من الله ، وعاراً أمام الناس ، ذلك أن كل فتاة يهودية كانت تطمح وتصلي أن يولد منها المسيح ماسيا المنتظر · فكان يواكيم وحنة يواظبان على الصلاة والطلب الى الله ليزيل العار عن دارهما ، وهكذا بلغا سن الشيخوخة دون أن تستجاب طلبتهما· ويحكى أن يواكيم أتى مرة الى هيكل الرب ليقدم تقدمة فرفض

الكاهن التقدمة لأن مقدمها « عاقر » فعاد يواكيم الى داره مغتماً ، كسير القلب ، ذليلاً ، وأكثر من البكاء أمام الله ، تشاركه بذلك زوجته حنة ، فاستجاب الله طلبتهما ورزقهما ابنة سمياها مريم • وهو اسم سرياني مركب من (مور) و (يام) ومعناه بحر المرارة • وقال بعضهم ان معنى كلمة (مريم) نجمة البحر ، وكذلك نور •

☐ الحبل بالعذراء مريم وولادتها :

لا بد من أن نذكر هنا أن الحبل بالعذراء مريم قد تم حسب الناموس الطبيعي ، فهي من رجل هو يواكيم وامرأة هي حنة • وان العذراء ابنة العاقرين كاسحق وصموئيل ويوحنا المعمدان • وانها مثل هؤلاء وكسائر الناس قد ورثت عن أبويها خطية أبوينا الأولين آدم وحواء التي تسمى الخطية الأصلية أو الجدية(١٨) ، التي تشمل كل الانسانية بدءاً من آدم الذي لما أخطأ كان يمثل نسله فاشتركت سلالته بمسؤولية الخطية التي لم يكن بالامكان محوها من الانسانية الساقطة الا بتجسد الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس ، لذلك يقول الرسول بولس : « بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » (رو : ٥ : ١٢) وقال داود : « هأنذا بالاثم صُوِّرت وبالخطية حبلتْ بي أمي » (مز ٥١ : ٥) ولم يستثن من ارث هذه الخطية ممن لبس الجسد الا ربنا يسوع المسيح « الذي أخذ كل ما لنا ما عدا الخطية » والذي صار كفارة عن خطايا العالم « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة

١٨ـ قررت عقيدة الحبل بلا دنس في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية سنة ١٨٥٤ وهي غير مبنية على تعاليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولي والكنسي الثابتين •

بالايمان بدمه لاظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله » (رو ٣ : ٢٣ و ٢٤) وكما بانسان دخلت الخطية الى العالم كذلك بانسان زالت (رو ٥ : ١٢ و ١٥) فالعذراء مريم اذن كسائر الناس ولدت تحت حكم الخطية وقد ولدت على الأرجح في الناصرة ·

☐ العذراء في الهيكل :

لما بلغت العذراء مريم الثالثة من عمرها وَفَى أبواها نذرهما وقدماها الى الهيكل ، وفي غضون اقامتها في الهيكل توفيا دون أن يعرفا شيئاً عن مستقبل ابنتهما ، وقد جاء في الطقس الكنسي رأي آخر للآباء ، ففي صلاة صبح يوم الجمعة في كتاب فرض الصلوات اليومية ـ الاشحيم ـ(١٩) نقرأ ما ترجمته : « صارت مريم يتيمة الأب والأم ، لقد مات آبواها وتركاها فنقلها الكهنة الى بيت المقدس وفقاً لأمر موسى وربَّوها ، فانحدر رب الأنبياء اليها وباركها وقدسها هاليلويا ، فلتكن صلاتها سوراً لنا وحمى » وفي الرأيين نرى أن العذراء ربيت في الهيكل منذ نعومة أظفارها ، وصارت لله وحده تعبده تعالى وتخدم في هيكله مع النساء المسنات العابدات مثل حنة النبية بنت فانوئيل التي كانت « لا تفارق الهيكل » (لو ٢:٣٧). وكانت العذراء مريم تدرس أسفار الوحي الالهي ، وتحفظ الناموس ·

ولا يفهم من نذر مريم أنها نذرت البتولية طوال أيام حياتها ، فان نذر البتولية مدى الحياة لدى الفتيات لم يكن متبعاً لدى اليهود ، ولأن كل فتاة يهودية كانت تتوق الى أن يولد منها ماسيا ، لذلك كانت تنتظر يوم زفافها بفارغ الصبر ·

١٩ـ الاشحيم ص ١٩٣ ·

ولهذا نرى ابنة يفتاح لما علمت بأن أباها نذر بتقديم أول من يخرج لاستقباله بعد عودته منتصراً ، محرقة للرب ، وكانت هي أول من خرج لاستقباله ، وكان لا بد من أن يكمل أبوها هذا النذر فيها ، ولئن اعتبر النذر ضد شريعة الله (تث ١٢ : ٣١) طلبت اليه قائلة : « اتركني شهرين فاذهب وانزل على الجبال وأبكي عذراويتي أنا وصاحباتي » (قض ١١ : ٣٧) لقد كانت الرهبانية معروفة لدى الوثنية ودخلت اليهودية أيضاً حيث تبناها « الآسينيون » ولكن ذلك كان خروجاً على تقاليد اليهود الدينية وعلى تعاليم التوراة التي تعتبر سنة الزواج ضرورة اتماماً لأمر الله تعالى « أثمروا واكثروا » (تك ١ : ٢٨). وقد ظهر بعض الأنبياء ممن حافظ على البتولية كايليا ، ويوحنا المعمدان وغيرهما . ولكن ذلك كان لغاية ربّانية ، واعتبروا من الشواذ ، والشاذ لا يقاس عليه .

□ العذراء تخطب ليوسف البار :

لما بلغت مريم الرابعة عشرة من عمرها ، ولكونها لطيمة قد فقدت والديها ، اعتبر الكهنة بمثابة والديها ، وبحسب العادة المتبعة عصرئذ استدعوا أقرب أقربائها وألقيت القرعة عليهم فوقعت على يوسف الصدّيق فاعتبر خطيباً للعذراء مريم . ولقد ارتأى بعض الآباء أن يوسف كان أرملاً وكان له أولاد من زوجته المتوفاة ، دعوا فيما بعد أخوة للرب . وقال آخرون انه كان بتولاً . ومن مجريات الحوادث نعلم يقيناً أنه كان فقيراً مدقعاً ، وكان يزاول مهنة النجارة البدائية البسيطة في الناصرة .

□ البشارة :

كان المتعارف عليه في ذلك الزمان أن الخطبة تعقد لمدة

عام قبل الزواج ففي الفترة التي كانت فيها مريم مخطوبة ليوسف ، أرسل اليها الملاك جبرائيل من الله وهي في مدينة الناصرة في الجليل، فبشرها بالحبل الالهي بقوله : «السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة نعمة ، الرب معك ٠٠ ها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ٠٠ هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى وسيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه ويملك على آل يعقوب الى الأبد ، ولن يكون لملكه انقضاء » وتسأل مريم ببساطة : « كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً » ؟ فيجيبها الملاك : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ، ومن أجل ذلك ، فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله » ٠ ـ وتجيب مريم بتواضع » ها أنا أمة الرب فليكن لي حسب قولك » (لو ١ : ٢٦ ـ ٣٨) ٠

وفي اللحظة التي قبلت مريم آمر الرب حلّ عليها الروح القدس فطهرها من الخطية وقدّسها (لو ١ : ٣٥) وحلّ اللاهوت في حشاها وجبل له من دمائها جسداً كاملاً وبدأ بذلك سر التجسد الالهي بغير زرع بشر (مت ١ : ١٨) وأخذ الاله من العذراء الطبيعة البشرية بكاملها ، أي جسداً حقيقياً ذا نفس عاقلة ناطقة (لو ٢٣ : ٤٦ ، مت ٢٦ : ٣٨)(٢٠) وهكذا شابهنا في كل شيء ما خلا الخطية (عب ٤ : ١٥) فالمولود من العذراء سمي قدوساً وابن الله (لو ١ : ٣٥) ٠

وتعتبر حادثة بشارة العذراء بالحبل الالهي بدء سرّيّ التجسد والفداء ، واكراماً للسيدة العذراء القديسة مريم رتب

٢٠ـ خالف هذا الاعتقاد قديما أبوليناريوس الذي عاش في القرن الرابع للميلاد وقال ان اللاهوت قام في الجسد مقام النفس البشرية وهذا الرأي باطل لأن العدل الالهي يستلزم لخلاص النفوس البشرية أن يكون للفادي نفس بشرية تقبل الآلام النفسية عوضا عن هذه النفوس وهذا ما تم بالفعل ٠

آباء الكنيسة السريانية أن يتلو المؤمنون ، السلام الملائكي عند ختام الصلوات الفرضية صباح مساء ، وحتى اذا شاؤوا عند ختام الصلوات الفردية ودونك صلاة السلام الملائكي :

« السلام عليك يا مريم العذراء الممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة أنت في النساء ومبارك ثمرة بطنك يسوع . يا مريم القديسة يا والدة الله صلي من أجلنا نحن الخطأة الآن وفي ساعة موتنا آمين » .

وقد جاء في صلاة الثلاثاء(٢١) بموضوع البشارة ما ترجمته : « طار جبرائيل بالأجنحة الروحية ووصل الى مريم وبلّغها السلام الذي أرسل اليها قائلاً لها : السلام عليك ، الرب معك ، ان مخلص العوالم يشرق منك .. تعجب جبرائيل ببتوليتك يا أم الله ، وكتف يديه ، وسجد أمامك وحيّاك لأنه رأى ربه قد حلّ فيك وانك مثل المركبة تحملين حامل البرايا » ..

وفي صلاة الساعة الثالثة من يوم الأربعاء(٢٢) نقرأ أبياتاً شعرية لمار يعقوب السروجي وترجمتها : « انني أتكلم متعجباً منذهلاً من الدرجة العظمى التي ارتقتها ابنة البشر . فهل ان النعمة أهبطت اليها ابن العلاء أم انها هي التي أرادت أن تكون أماً لوحيدها !؟ من الواضح أن الله نزل الى الأرض بالنعمة ، وحيث كانت مريم طاهرة كثيراً اقتبلته ، وقد نظر الى تواضعها ووداعتها فحلّ فيها ، اذ يروق للقدوس أن يسكن في المتواضعين .. « اني لا أسكن الا في الودعاء والمتواضعين » . لقد نظر فرآى أنها الأكثر تواضعاً بين بني البشر مولودي

٢١ـ كتاب الاشحيم ص ٥٢ .

٢٢ـ فيه ص ١٢١ .

النساء فلم يتواضع منذ البدء أحد" قط مثل مريم . ومن الواضح أنه لم يرتفع أحد مثلها أيضاً .. المجد للآب الذي اختارها لتواضعها ، والسجود للابن الذي بتواضع هبط (من علياء سمائه) وحلَّ فيها ، والشكر للروح (القدس) الذي يروق له أن يسكن في المتواضعين ، المجد للطبيعة الواحدة لثلاثتهم .. بصلوات تلك التي حملتك تسعة أشهر ، آبعد عنا يا ابن الله قضبان الغضب » .

العذراء مريم تزور نسيبتها اليصابات :

سمعت مريم الملاك يقول لها : « هوذا اليصابات نسيبتك هي الأخرى حبلى في شخوختها ، وهذا هو الشهر السادس للمدعوة عاقراً ... » (لو ١ : ٣٦) فتبتهج مريم لهذا النبأ العجيب ، وتفرح لنجاح القريب ، وهذا فعل محبة فائقة . وتغادر مريم الناصرة متجهة نحو جبل اليهودية لتزور اليصابات زوجة زكريا ، فحيتها اليصابات بأنشودة نبوية جاء فيها : « من أين لي هذا أن تأتي أم ربي اليَّ هوذا عندما وقع صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين في بطني .. طوبى للتي آمنت أن يكون لها هذا من قبل الرب » .. فأجابتها مريم بأنشودة أكثر روعة من أنشودتها وبكلمات نبوية خالدة تتلوها الكنيسة صباح كل يوم في صلواتها ، قالت فيها : « تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي ، لأنه نظر الى تواضع أمته فهوذا منذ الآن تعطيني الطوبى جميع الأجيال لأن القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس ورحمته الى جيل الأجيال للذين يتقونه » ... (لو ١ : ٤٢ ـ ٥٥) ومكثت مريم مع اليصابات مدة تقرب من ثلاثة أشهر ويقول بعضهم انها انتظرت الى أن وضعت اليصابات ابنها ، ويقول آخرون انها غادرت بيت زكريا قبل آن

تضع اليصابات ابنها يوحنا لئلا تقوم السيدة العذراء أم الرب بخدمة نسيبتها أم يوحنا الذي قال بعدئذ انه لا يستحق أن يحل سير حذاء الرب يسوع ٠

وما أجمل الكلمات التي كتبها الآباء في وصف لقاء العذراء باليصابات ففي صلاة صبح الأربعاء(٢٣) نقرأ ما ترجمته : « ان اليصابات أم يوحنا (المعمدان) ومريم أم يسوع حصنان اختارهما الملك ، العقر والبتولية ، لقد ارتكض الجنين للجنين، الجديد للقديم ، وسلم على سيده قائلا : هلم بسلام فان سلامك يؤمن المسكونة » وجاء في صلاة مساء الجمعة(٢٤) ما تعريبه : « ان مريم واليصابات سفينتان عجيبتان اتجهتا نحو الميناء ، فاليصابات ولدت الكارز ومريم ولدت مخلص العالم هاليلويا صلاتهما تعضدنا » ٠ وفي صلاة صبح السبت(٢٥) نقرأ ما ترجمته : « من ترى شاهد جفنتين مغروستين في كرم الرب والمسكونة كلها تتلذذ بخمر عناقيدهما فالجفنتان هما مريم واليصابات والعنقودان هما المسيح ويوحنا ، الاشبين والعريس خطيب البيعة المقدسة » ٠٠

☐ شكوك يوسف واطمئنانه :

لما عادت مريم الى الناصرة ظهرت أمارات الحبل عليها ، فلم يشك فيها أحد سوى خطيبها ، ذلك أن العذراء كان قد عقد لها على يوسف عقد زواج بحسب عادة اليهود ، وكان خلال السنة التي تخطب فيها الفتاة للرجل ، يحق فيها للرجل أن يعرفها معرفة زواج ولئن كانت لا تزال في دار أهلها ، وقبل

٢٣ـ الاشحيم ص ٣١١ ٠

٢٤ـ فيه ص ١٦٦ ٠

٢٥ـ الاشحيم ٢٢٩ ٠

أن تزف اليه في الحفلة الكبرى فتنتقل على أثرها الى داره ٠ ولذلك لم يشك أحد بمريم سوى يوسف الذي أراد تخليتها سراً ٠ أما الآخرون فقد ظنوا بأنها حبلى من يوسف ، اذن مريم اعتبرت خطيبة يوسف لأنها لم تكن قد زفت اليه بعد ، واعتبرت امرأته لأنه كان قد عقد له عليها عقد زواج ، ولما طمأنه الملاك بطهرها سماها امرأته قائلاً : « يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس » (مت ١ : ٢٠) ٠

☐ العذراء تلد الاله المتجسد :

وتزف العذراء الى يوسف فتسكن في داره في الناصرة ، ويذهبان معاً الى بيت لحم (لو ٢ : ٤ ــ ٢٠) ليكتتبا بحسب الأمر الذي صدر من أغسطس قيصر ٠ وفي بيت لحم وفي مغارة بسيطة كانت تستعمل كاسطبل ، وملحقة بالنزل هناك ، وضعت مريم ابنها البكر ، وبحبلها به وبولادته منها وبعدهما بقيت بتولاً عذراء كما كانت قبلهما ٠ وكما يجب لجلال هذا الأمر العظيم أي تجسد الاله الكلمة ، فهي بتول قبل الولادة وعند الولادة وبعد الولادة ، وقد ولد الرب منها باعجوبة ، وذلك كما تنفذ أشعة الشمس من الزجاج دون أن تثلمه أو تكسره ، وكما دخل الرب بعد قيامته على التلاميذ في العلية والأبواب مغلقة ، وكما خرج من القبر وهو مختوم ، هكذا خرج بجسم الطفولة والخاتم مصان ، فلا عجب ان حافظت العذراء مريم على بتوليتها بعد ولادة ابنها البكر الرب يسوع ، وهي التي قالت عن نفسها : « لأن القدير صنع بي عظائم » وهي التي رأت هذه العظائم والعجائب التي صنعها القدير فيها ولها ٠ لذلك دعيت العذراء الدائمة البتولية ، وبما أنها ولدت الله الاله المتأنس فقد دعيت أيضاً والدة الله (لو ١ : ٣٥ و ٤٣ ــ غلا ٤ : ٤ ــ اش ٧ : ١٤) ٠

جاء في صلاة القومة الأولى من ليلة الاثنين(٢٦) ما تعريبه: « لا أعلم بماذا أسميك يا بنت داود ، ولا أدري أي اسم أطلق عليك يا مريم ؟ هل أسميك بتولاً ؟ فهوذا ابن يرضع منك ! هل أسميك أماً ؟ وبكارتك ثابتة !؟ اذن أدعوك والدة الله وليخز المجادل المماحك الذي يتجاسر بالبحث عن سر ابنك هاليلويا محروم من حاول سبر غور سره » ·

وجاء في صلاة القومة الأولى من ليلة الأربعاء(٢٧) ما تعريبه : « ان العذراء ولدت عجباً فهلم نذهب ونتأمل بمن هو أقدم من الدهور وقد لف بالقمط ، الشيخ القديم الأيام قد ولدته العذراء ، الجبار الذي يزن الجبال حملته الشابة (على ذراعيها) الذي يمنح الجائعين خبزاً يرضع الحليب مثل طفل · الابن (الأزلي) الذي لا بداية له شاء وصارت له بداية وأتى للولادة وهو (أبدي) لا نهاية له » ·

وجاء في صلاة مساء الأربعاء(٢٨) ما تعريبه : « قالت مريم (مناجية ابنها) : لقد قوّيتني فحملتك ، ولما ولدتك في المغارة أظهرت لي مجدك ، فهوذا النار تحف بالمذود الصغير ، والساروفيون ذوو الأجنحة الستة يرفرفون فوقه فأصدر اليهم أمرك ليرفعوا أجنحتهم (ويفسحوا لي المجال) لأدخل وأسجد لك وأرضعك حليباً نقياً تستحسنه ·· قالت مريم : انني فقيرة، فليس لي بيت في الأرض ولا مضجع ولا فراش ، فقد لففت بالقمط الأقدم من كل شيء ، ووضعت في المذود رب الخلائق · لا شريك لأبيه في السماء ، ولا مثيل لأمه على الأرض وهو الرب وأنا أمته والكنيسة هي خطيبته » ··

٢٦ـ كتاب الاشحيم ص ١٩ ·

٢٧ـ الاشحيم ص ٩٨ ·

٢٨ـ الاشحيم ص ٩٢ ·

وفي صلاة القومة الأولى لليلة الخميس(٢٩) نقرأ : « قالت مريم للمسيح لما ولدته : لست أدري، يا بني، بماذا أدعوك ، هل أدعوك طفلاً وأنت أقدم من الدهور ؟ أم أدعوك شيخاً وأنت طفل ؟ انني أدعوك شعاعاً أشرق من الآب ، وجاء فأضاء الخلائق كلها هاليلويا مبارك ضياؤك ومبارك اشراقك ، والسجود لأبيك الذي أرسلك لخلاصنا ٠٠ قالت مريم للعذارى رفيقاتها : انني مبتهجة ومسرورة جداً لأنني أحمل حامل البرايا الذي تخدمه الملائكة ، وأناغي من علم اللحن للبشر ، فصفوف النورانيين تحيط بجلاله هاليلويا وتهتف له : قدوس قدوس قدوس هو الرب مبارك وقاره » ٠

وجاء في صلاة صبح الاثنين(٣٠) ما ترجمته : « لقد أشرق لنا الرب من الآب ، (وولدت) بنت داود المخلص ، (ومنحت) بيت لحم خبز الحياة للشعوب التي آمنت به ٠ السجود للآب الذي أرسل ابنه ، ومباركة مريم التي ولدته ، وطوبى للكنيسة التي اقتبلته وهي ترتل له (ترانيم) المجد ٠٠ انني كنت ماراً ببيت لحم ، فسمعت ، في المغارة ، صوت مريم وهي تناغي ابنها قائلة له : الطوبى لي يا بني لأني صرت أمك ٠ ولأني أرضعتك الحليب ، ولن أقترب منك ما لم تسمح بذلك ٠٠

□ العذراء الدائمة البتولية :

هذه هي العذراء والدة الله ، الدائمة البتولية بكر الأبكار وعذراء العذارى التي ولدت الاله المتجسد وهي بتول قبل الولادة وفي الولادة وبعد الولادة كما ذكرنا آنفاً ٠ أما العبارة التي يذكرها الانجيلي متى وهي « لم يعرفها حتى ولدت ابنها

٢٩ـ فيه ص ١٣٩ ٠

٣٠ـ فيه ص ٣٩ و ٤٠ ٠

البكر » (مت ١ : ٢٥) فقد قصد متى من كتابتها أن يثبت لنا أن مريم كانت عذراء قبل ولادتها الرب يسوع وفي الولادة وانها قد حبلت بابنها من الروح القدس وليس من زرع رجل ٠ أما حالة مريم بعد ولادتها الرب فلم يتطرق اليها متى ، كما أن النفي بأن يوسف لم يعرف العذراء مريم معرفة زواج قبل ولادتها يسوع لا يحمل في مضامينه البتة التأكيد بأنه عرفها بعد الولادة ، فلفظة (حتى) لا تستعمل دائماً للدلالة على قطع حكم ما قبلها عما بعدها ، واننا نفهم ذلك من استعمالها في الكتاب المقدس في مواضع أخرى ، من ذلك قول الكتاب : « ولم يكن لميكال بنت شاول ولد حتى يوم موتها » (٢ صم ٦:٢٣) فمن يستنتج من ذلك أنها ولدت بنين بعد مماتها(٣١) ؟ ٠

وقد يكون معنى « لم يعرفها » أي لم يعرف جليل قدرها . ومكانتها الروحية لدى الله حتى ولدت ابنها البكر ، فرأى يوسف أعاجيب الميلاد وشاهد الملائكة حول المذود ٠٠ الخلاصة أن يوسف لم يعرف العذراء مريم معرفة زواج البتة ، وانها دائمة البتولية ٠

□ الابن البكر :

أما عبارة « ابنها البكر » التي وردت أيضاً في انجيل لوقا (٢ : ٦ ـ ٧) فهي لا تعني أن العذراء مريم ولدت أولاداً آخرين بعد يسوع ، وبالتالي ليست دائمة البتولية ، لأن لفظة البكر تطلق على أول الأولاد سواء كان له بعده أخوة أم لم يكن ، وهذا هو مفهوم الكتاب المقدس حيث أمرت الوصية بأن يتم فداء البكر ولم يكن ينتظر حتى يتبعه أخوة ليشهدوا له بالبكورية ، ومما لا شك فيه أنه لو كان ليسوع أخوة لسلّم اليهم أمه ، ولما

٣١ـ انظر أيضا (تك ٨ : ٧ و ٢٨ : ١٥ ومز ١١٠ : ١) ٠

كان استودعها تلميذه يوحنا الحبيب · وقد دعي المسيح بكراً بمعان كثيرة ، فهو بكر الآب السماوي ، وبكر مريم ، وبكر الراقدين والخ ···(٣٢) ·

أخوة الرب :

أما الذين دعوا في الانجيل المقدس أخوة الرب (مت ١٣ : ٥٥) فهم أقاربه أي أبناء عمومته أو أبناء خؤولته ، لأن الوحي الالهي يطلق لفظة (اخوة) على الأقارب وأفراد العشيرة الواحدة (تك ٣١ : ٣٧ و خر ٢ : ١١) ولأجل ذلك دعا ابراهيم لوط ابن أخيه ، أخاه ·

والدة الله :

وقد أطلقت الكنيسة المقدسة على العذراء القديسة مريم تسمية (والدة الله) كما مرَّ بنا ، ذلك أنها ولدت الاله بالجسد · ولكن نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس أنكر على العذراء هذه التسمية الشريفة فحرمه المجمع المسكوني الثالث الملتئم في افسس سنة ٤٣١ المؤلف من مئتي أسقف آقروا بأن المسيح هو أقنوم واحد وطبيعة واحدة بعد الاتحاد ، بدون اختلاط ، ولا امتزاج ولا استحالة ، ثم وضعوا مقدمة دستور الايمان التي تثبت أن القديسة مريم هي والدة الله قائلين : « نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الاله لأنك ولدت مخلص العالم كله »(٣٣) ·

لا غرو فان لقب « والدة الله » هو ملخص عقيدة التجسد السمحة وقد استعملته الكنيسة المقدسة منذ العصور الأولى

٣٢ـ انظر (كو ١ : ١٥ و رو ٨ : ٢٩) ·

٣٣ـ كتاب علم اللاهوت لميخائيل مينا طبعة مصر ١٩٣٨ مج ٣ ص ٤٨٨ ·

للمسيحية وذكره الآباء الأولون في كتاباتهم ثم أقره وأثبته مجمع افسس سنة ٤٣١ فقد قال القديس كيرلس الكبير : « وهذا هو التعليم الذي تفرضه الأرثوذكسية في كل مكان بكل تدقيق ، والى هذا الحد كان يتمسك به آباؤنا القديسون ، لذلك كانوا واثقين في تلقيبهم العذراء القديسة مريم ب والدة الله (ثيئوتوكس) ليس لأن طبيعة الكلمة أو اللاهوت أخذ بدايته من العذراء القديسة ، ولكن بما أن جسده المقدس الحاوي نفساً عاقلة قد ولد منها ، وهذا الجسد **كان متحداً بشخص الله** الكلمة لذلك ، قيل عنه انه ولد جسدياً »(٣٤) فتسمية العذراء بوالدة الله (يولدث الوهو) (ثيئوتوكس) ليست لتكريم العذراء انما هي عقيدة لاهوتية تثبت أن المسيح المولود من العذراء هو لاهوت وناسوت متحدان في أقنوم واحد وطبيعة واحدة • لذلك يحق لنا أن نسمي العذراء والدة الله وهي قد ولدت الجسد ، بما أن ذلك الجسد هو ذو نفس عاقلة وهو متحد باللاهوت بطبيعة واحدة وأقنوم واحد وشخص واحد • وكما أننا نسمي أم أي انسان والدة فلان ، وهو مركب من جسد ونفس خلقها الله ولم تلدها تلك المرأة ، ولكننا نسميها والدته لأن نفسه وجسده متحدان بطبيعة واحدة وشخص واحد ، فحق لها أن تسمى والدة ذلك الشخص ، وكذلك العذراء مريم تدعى والدة الله •

وجاء في صلاة صبح الأربعاء(٣٥) ما ترجمته : « ليكن محروماً كل من لا يؤمن أن مريم ولدت الله ، وان من لا يعترف أن المولود هو الله وابن الله فهو يكفر به (وينكره) • فقد ولد

٣٤ـ العذراء القديسة مريم ـ للأب متى المسكين ـ رسالة بيت التكريس بحلوان عام ١٩٦٧ ص ٥٩ •

٣٥ـ الاشحيم ص ١١٣

من الآب أزلياً وأشرق في آخر الأزمنة من مريم : فالمولود من الآب ومن مريم هو واحد أحد يسجد له ويمجد · فمحروم المماحك الذي يحاول سبر سره » ·· وقال القديس غريغوريوس النزينزي (٣٢٩ ـ ٣٨٩ +) : « ان كان أحد لا يؤمن أن القديسة مريم هي والدة الاله « ثيئوتوكس » فهو غريب عن الله » ·

☐ مريم تربي ابنها يسوع :

وقد توالت سلسلة من الحوادث بعد الميلاد رأينا فيها العذراء مريم والدة الله الأم التي تصنع ارادة الرب وتربي ابنها بحسب ناموسه تعالى ، فقد كان حقاً ينمو في القامة والنعمة لدى الله والناس · ففي اليوم الثامن من ميلاده اختتن الصبي ، وبعد أربعين يوماً من ميلاده قدّم في الهيكل ، وقامت مريم بفروض التطهير بحسب شريعة موسى (لو ٢ : ٢٢ ـ ٣٩) وحمله الشيخ سمعان وقال لمريم أمه ، ان سيف الحزن يغوص في قلبك · وهذه النبوة تمت بحذافيرها في حياة مريم الأم الحزينة ·

··· وجاء المجوس فزاروا الطفل المولود وسجدوا له مقدمين هداياهم ذهباً ولباناً ومراً ··· وانكشفت نوايا هيرودس الخبيثة الذي أراد أن يهلك الصبي ·

☐ الهروب الى مصر :

فأمر الملاك يوسف أن يهرب بالطفل وأمه الى مصر ففعل ··· ومن القصص الطريفة التي تحكى عما جرى للعذراء وهي هاربة بابنها الى مصر مع يوسف البار ، أنهم مروا بفلاح يبذر الزرع فباركت العذراء الأرض فنما الزرع

وارتفع ، ولما غادروا المكان جاءت ثلة من جنود هيرودس تريد القاء القبض عليهم فلم يجدوهم ، ولما سألوا الفلاح فيما اذا مرَّ به رجل وامرأة ومعهما طفل ، أجابهم نعم قد مروا من هنا ، وسألوه متى كان ذلك ؟ أجابهم يوم كنت أبذر الزرع ، فلما رأى الجند أن الزرع قد نما وارتفع ظنوا أن العائلة قد مرت قبل شهور فعادوا أدراجهم يائسين من ملاحقتهم . ويحكى أيضاً أن العائلة المقدسة قبل وصولها الى مصر تعرض لها لصوص حاولوا التعدي على العذراء وابنها ومار يوسف سلباً وضرباً ، فمنعهم زعيمهم فكافأه الله ، وأهّله بأن يصلب عن يمين الفادي ويؤمن به ، تائباً واستحق أن يسمع من الفادي كلمة وعد « اليوم تكون معي في الفردوس » . هذا ويقول بعض الآباء ان أصنام مصر تحطمت حيثما مرّ موكب يسوع الطفل بهياكلها . وبدخول الرب مصر رفع اللعنة عنها وتم ما قد كتب على لسان الرب « مبارك شعبي مصر » .

□ السكن في الناصرة :

ولما هلك هيرودس ، بعد سنة من هروب العذراء مريم بابنها الى مصر ، ظهر الملاك في الحلم ليوسف وأمره بالعودة الى فلسطين فعاد الى الناصرة وتمت النبوة القائلة : « من مصر دعوت ابني » (هوشع ١١ : ١) وسكنت العائلة المقدسة في الناصرة .

□ العذراء المرأة الفاضلة والأم الرؤوم :

وكانت العذراء مريم في حياتها اليومية تسير سيرة النسوة الفاضلات المدبرات بيوتهن حسناً ، وتم فيها ما قاله سليمان : « امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلىء » وكان يوسف خطيبها يعمل في مهنة النجارة لتحصيل العيش ، وكان الطفل

يسوع « ينمو في القامة ، والنعمة عند الله والناس » ، ولا بد من أنه درس مع أطفال البلدة الناموس والنبوات ، ومارس مهنة النجارة في حانوت يوسف الذي اعتبر أباً له . ورأينا العذراء مريم تمارس الفروض الدينية بموجب شريعة موسى فكانت تزور أورشليم لحضور عيد الفصح سنوياً (لو ٢ : ٤١) ولما بلغ الصبي يسوع الثانية عشرة من عمره أخذاه الى الهيكل حيث يعتبر بهذه السن حسب تقليد اليهود « ابن التوراة » أي ملزماً بجميع وصايا الناموس من صلاة ، وصيام ، وزيارة لهيكل الرب (تث ١٦ : ١٦) . وبعد انقضاء أيام العيد الثمانية في تلك الزيارة رجعوا الى الناصرة مع معارفهم وأصحابهم الذين رافقوهم الى أورشليم ، وكانت كل فئة من رجال ونساء تسير وحدها ، ويلتقي الجميع عند المغيب في المحطة التي يتفق عليها للمبيت . ولما دنا المساء وقد وصلت القافلة بلدة قيل انها (البيرة) للمبيت فيها ، افتقد يوسف ومريم بعضهما مطمئنين بوجود الصبي مع أحدهما ، ولكن لم يجداه ، وفتشا عنه لدى الأصدقاء فلم يعثرا عليه ، فعادا الى أورشليم فوجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل جالساً في وسط علماء الناموس يحاججهم ، فقالت له أمه : « يا بني لمَ صنعت بنا هكذا هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك مُعذَّبين » (لو ٢ : ٤٨) فقال لهما « ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي » (لو ٢ : ٤٩) .

□ العذراء الشفيعة في عرس قانا الجليل :

وتزداد مسؤولية العذراء مريم لما بدأ يسوع تدابيره الالهية جهراً وهو في الثلاثين من عمره ، ففي عرس قانا الجليل سمعناها تقول له : « ليس عندهم خمر » فيجيبها : « ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد » وتلتفت مريم الى الخدام قائلة : « مهما يأمركم به فافعلوه » علماً منها أنه لا يخيِّب لها أملاً ،

وهكذا اجترح الرب أولى معجزاته أمام تلاميذه بناء على طلب والدته ، فحوّل الماء خمراً ٠

وكان موقف مريم من رسالة الرب يسوع واضحاً ، فهي مؤمنة بابنها وهل يمكن أن تشك به ، وقد أعلن لها الملاك عندما بشرها عن مركزه الالهي ، فهو « قدوس وابن العلي يدعى ، ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ويملك على آل يعقوب الى الأبد » ٠ فلما نقرأ في الانجيل المقدس ان أقرباءه خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا انه مختل (مر ٣ : ٢١) لا يعني أن أمه جارت هؤلاء وتنكرت لابنها ٠ ونقرأ أيضاً ما كتب مرقس قائلاً : « فجاء حينئذ أخوته وأمه ووقفوا خارجاً وأرسلوا اليه يدعونه ، وكان الجمع حوله ، فقالوا له هوذا أمك واخوتك خارجاً يطلبونك ، فأجابهم قائلاً ، مَنْ أمي واخوتي ، ثم نظر حوله الى الجالسين وقال ، ها أمي واخوتي ، لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي » (مر ٣ : ٣١ ـ ٣٥) ٠ وبهذا الكلام لا يريد السيد المسيح أن ينتقص من كرامة أمه ، انما يريد أن يرفع المؤمنين به ، وخاصة تلاميذه الذين كان قد اختارهم لتوّه ، أن يرفعهم الى درجتها الروحية السامية ٠ ولا غرو فقد ذكر الانجيل المقدس عن أمه « أنها كانت تحفظ الكلام مفتكرة به في نفسها » فكل تلميذ وكل مؤمن من الجنسين يحفظ كمريم كلام الله ويعمل به ينال ما نالته من نعمة ٠

ويذكر الانجيل المقدس أيضاً (لو ١١ : ٢٧ ـ ٢٨) أن امرأة في أورشليم رفعت من الجمع صوتها قائلة ليسوع : طوبى للبطن الذي حملك ، وللثديين اللذين رضعتهما ٠ أما هو فقال : « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » وهذه الآية أيضاً تتضمن مديحاً للعذراء ٠

□ العذراء عند الصليب تُسلَّم الى يوحنا الحبيب :

وقد تبعت العذراء مريم ابنها يسوع الى الجلجلة ، وتحت الصليب تحققت فيها النبوة التي فاه بها سمعان الشيخ وهي : « يجوز في نفسك سيف الحزن » فقد رأت ابنها البار القدوس معلقاً على الصليب • بل رأته ميتاً ، واشتركت بدفنه ، ثم رأته قائماً من بين الأموات • ولا بد من أنها كانت مع تلاميذه في جبل الزيتون فرأته صاعداً الى السماء •

وذكر سفر أعمال الرسل (١ : ١٤) العذراء مريم مع التلاميذ واخوة الرب تواظب على الصلاة ، وكانت معهم يوم الخمسين في العلية ، حيث حلَّ عليهم الروح القدس • ويوم الخمسين هذا يعتبر يوم ميلاد الكنيسة ، فقد آمن ثلاثة آلاف شخص على أثر خطاب هامة الرسل بطرس ، واعتمدوا ، ولضرورة المعمودية للخلاص بحسب قول الرب : « من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدان » ، يتساءل بعضهم هل نالت العذراء مريم سر المعمودية ؟ لقد سكت الكتاب عن ذلك حتى لم يذكر عن الرسل أنهم اعتمدوا أم لا ؟ وفي الكنيسة السريانية يذكر مار ايوانيس الداري (ت ٨٦٠) في معرض بحثه تقديس الميرون على أيدي الرسل ، ان العذراء اعتمدت ، وقصده بذلك اعطاء موضوع المعمودية والميرون أهمية كبرى ، ولم نعثر في التقليد على نص آخر يؤيد رأي الداري ، على كل حال ليس هذا الأمر عقيدة قررتها الكنيسة ، انما هو مجرد رأي خاص لأحد الآباء •

ولا نعلم بالضبط أين سكنت العذراء بعد أن أخذها الحبيب الى عنده ، ويرجح أنها مكثت في أورشيلم ، وارتأى بعض المؤرخين أنها زارت افسس برفقة يوحنا ومكثت فيها مدة ، ثم عادت الى أورشليم •

□ انتقال العذراء الى السماء :

وكانت العذراء تتوق الى أن تنطلق الى السماء لتكون مع ابنها يسوع ، وقد رقدت بالرب بسلام . ولم يتفق المؤرخون على سنة وفاتها ، وكم بلغت من السنين ، ويرجح أنها انتقلت الى السماء سنة ٥٦ للميلاد ، وقد بلغت السبعين من عمرها ، كما أن موضوع انتقالها الى السماء نفساً وجسداً لم تقره الكنيسة السريانية كعقيدة ايمانية ، انما هو تقليد آبوي ايماني ، نستند به خاصة الى قصة مار توما الرسول السريانية الموضوعة ، وفيها نقرأ عن اختطاف الرسل بالروح واجتماعهم في أورشليم لتجنيز العذراء مريم وتأخر توما ، ومقابلته في الهواء وهي صاعدة الى السماء ، وأخذه منها زنارها الذي أتى به الى الرسل ، وطلب منهم فتح ضريحها ، ولما فعلوا ولم يجدوا جسدها الطاهر ، أعلن لهم توما حقيقة صعودها الى السماء بالجسد الممجد ، وانه رأى موكبها ، وأخذ منها زنارها كشهادة لذلك ، فصدقوه · ويحدثنا التقليد السرياني عن الزنار الذي أخذه الرسول توما معه الى الهند · وان توما استشهد على أيدي كهان الوثنية · وعندما نقلت رفاته الى الرها في القرن الرابع نقل معها الزنار ، وأخيراً وصل الى كنيسة العذراء في حمص التي دعيت منذ ذلك التاريخ كنيسة أم الزنار ، واكتشف الزنار عام ١٨٥٢ على عهد مطرانها مار يوليوس بطرس (بعدئذ البطريرك مار أغناطيوس بطرس الرابع) ووضع في موضعه في المذبح ، واكتشف ثانية على يد المثلث الرحمات البطريرك أفرام الأول برصوم عام ١٩٥٢ ، وهو الآن موضوع في تلك الكنيسة في حمص يتبرك منه المؤمنون ·

☐ امكانية انتقال العذراء الى السماء :

قلنا ان التقليد يذكر أنها انتقلت الى السماء ، فهل انتقلت بروحها الى الفردوس كسائر الأبرار والأتقياء ؟ أم أنها انتقلت نفساً وجسداً الى السماء ؟ ٠٠ ان انتقالها الى السماء بالجسد الممجد ليس غريباً عن روح الكتاب المقدس والحقائق الايمانية المسيحية السمحة ٠ فاذا كان اخنوخ قد أخذه الله الى عنده لأنه سار مع الله (تك ٥ : ٢٤) واذا كان ايليا النبي قد صعد حياً الى السماء بمركبة نارية (٢ مل ٢ : ١١) فهل كثيراً على والدة الله مريم التي حملت الاله تسعة أشهر في حشاها ، وولدته وأرضعته لبنها ، أن يحفظ جسدها بلا فساد ؟ وأن يتحول الى جسد روحاني ؟ وأن تصعد الى السماء نفساً وجسداً لتتنعم مع ابنها الحبيب الرب يسوع المسيح ؟ قال مار يعقوب السروجي الملفان (٥٢١ +) في ميمره السرياني في وفاة العذراء : « ولما دنت وفاة العذراء انحدر اليها بأمر الله الملائكة والأبرار والأنبياء والآباء ، وقدم الرسل الاثنا عشر والمبشرون ٠٠٠ ودفنوها في مغارة صخرية ،وعم المجد السماء والأرض ، حينما شاهد الملائك نفسها صاعدة ، وطائرة الى المنازل النورانية(٣٦) » ٠ وجاء في الكتاب المنسوب(٣٧) الى ديونيسيوس الأريوباغي أسقف أثينا (ت ٩٥) : « انه عند وفاة مريم اجتمع جميع الرسل بسرعة من جميع أقطار الأرض حيث كانوا يبشرون الى أورشليم الى بيت هذه المباركة ، وحينئذ

٣٦- بيان بطريركي في زنار العذراء للمثلث الرحمة البطريرك أفرام الأول برصوم حمص ١٩٥٣ ص ١٠ ٠

٣٧- جاء في اللؤلؤ المنثور ص ١١٤ عن الكتاب المنسوب الى الأريوباغي « انه كان بشكله وأسلوبه مصنوعاً غير أنه لا يبعد أن يكون له أصل صحيح موجز زاد مؤلفه المغمور فيه وصبه في قالبه » ٠

أتى يسوع مع ملائكته • وأخذ نفسها وأحضرها الى ميخائيل رئيس الملائكة • وفي اليوم التالي وضع الرسل الجسد في القبر وحرسوه منتظرين ظهور الرب • فظهر المسيح ثانية ونقل جثتها المقدسة الى السماء في سحابة ، وهناك اتحد أيضاً الجسد بالنفس ، وفاز بالسعادة الأبدية »(٣٨) •

□ شفاعة العذراء :

ان الكنيسة السريانية تتشفع بالسيدة العذراء مريم ، وان العجائب التي اجترحتها العذراء للكنيسة وللمؤمنين ، لا تحصى • أما زنارها فهو موضع تكريم ومصدر بركة ، ولا عجب فاذا كانت الثياب توضع على جسم الرسول بولس ثم تؤخذ فتوضع على المرضى فينالون الشفاء ، فكم بالحريّ زنار سيدتنا العذراء الذي نسجته بيديها الطاهرتين ، وتمنطقت به، بل على الأغلب قد لامس أيضاً جسد الفادي بالذات !؟

□ لا نعبد الا الله :

قلنا اننا نتشفع بالعذراء وقد مرّ بك ترجمة بعض الصلوات التي ترفع الى الله وتتضمن الشفاعة بالعذراء مريم ولكننا لا نعبدها ، بل لا نعبد الا الله وحده • نستنكر خرافة عبادة مريم ، فليس في السماء ولا على الأرض ولا تحت الأرض اسم سوى اسم يسوع ، له تجثو الركب كافة ، لأنه مخلص العالم. أما العذراء فهي بشر ، ومن عبدها كفر (أع ١٤ : ١١ ـ ١٦) وهي تقول عن نفسها : تبتهج روحي بالله مخلصي ، لأنه نظر الى تواضع أمته فهوذا منذ الآن تعطيني الطوبى جميع الأجيال،

٣٨ـ علم اللاهوت ـ لميخائيل مينا طبعة مصر ١٩٣٨ مج ٣ ص (٤٥٤) الحاشية ، وبيان بطريركي عن زنار سيدتنا العذراء ـ حمص ١٩٥٣ ص ٩ و ١٠ •

لأن القدير صنع بي عظائم » (لو ١ : ٤٩) فعلينا أن نطوبها بالاقتداء بفضائلها بحفظ كلام الله والتفكر به في قلبها بصلاة عقلية حقيقية ، فهي المثال الصالح للبتوليين والبتولات والمتزوجين والمتزوجات ، وللآباء والأمهات بتربية الأولاد التربية الصالحة، بالمحافظة على شريعة الرب والقيام بفرائضه، فليبارك الرب كل من تشفع بالعذراء مريم واقتدى بسيرتها الطاهرة ٠ وان خير ما نختم به حديثنا عنها طلبة لمار يعقوب السروجي القائل ما ترجمته : « صلاتك معنا أيتها المباركة ، صلاتك معنا ٠ ان الرب يستجيب الى صلواتك ويغفر لنا ٠ فتضرعي أيتها الممتلئة نعمة والتمسي ممن هو مملوء رحمة ليرحم النفوس التي تطلب الرحمة(٣٩) آمين » ٠

★ ★ ★

٣٩ـ صلاة القومة الأولى من ليلة الاثنين في كتاب الاشحيم ص ٢٠ ٠

مارتوما الرسول *

□ المقدمة :

رسالة الفداء والرسل الاثنا عشر :

ان رسالة الفداء التي جاء بها الرب يسوع من السماء هي رسالة محبة ، محبة الله تعالى لبني البشر كافة . هذه المحبة تجلت بموت الرب يسوع على الصليب لخلاص البشرية « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) ولكي تصل هذه الرسالة الى أقطار المسكونة قاطبة ، اختار الرب اثني عشر رسولاً خرّجهم في مدرسته الالهية مدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ، علمهم خلالها بكلامه ، وبحياته ، الدروس السامية بالمحبة ، ونكران الذات والتضحية ، فحملوا صليبه ، وصلبوا ذواتهم معه على الخشبة ، ودفنوا أنانيتهم في القبر الجديد ، وقاموا معه في اليوم الثالث في جدة الحياة أناساً جدداً ، ليحيوا لا هم ، بل المسيح يحيا فيهم ، فتلاشت مصالحهم الشخصية ، فكانوا يطلبون ليس ما هو لأنفسهم ، بل ما هو لله . ولخلاص الانسان واذ حاد واحد منهم عن جادة الحق ، حُذِفَ اسمه من سفر الحياة . انه يهوذا الاسخريوطي ابن الهلاك . أما الأحد عشر فقد استحقوا أن يروا المسيح قائماً من بين الأموات ، بل أن يروه أيضاً صاعداً الى السماء ، وقبل

★ نشرت في المجلة البطريركية ـ عدد شباط ١٩٨٣ .

صعوده رفع يديه وباركهم ، ووضع على عاتقهم مسؤولية نشر البشارة الانجيلية في أقطار المسكونة قائلاً لهم : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) ويوم الخمسين حل عليهم الروح القدس حسب وعد الرب لهم ، فثبتهم ، وشجعهم ، وعلمهم ، وذكرهم بكل ما قاله الرب يسوع لهم ...

هؤلاء هم سفراء المسيح الأبطال الذين تحملوا في سبيل تأدية الشهادة السامية صنوف الاضطهادات ، والضيقات ، والآلام ، والعذابات وحتى الاستشهاد . واعتبروا نشر بشارة الانجيل رسالة الهية أنيط بهم القيام بأعبائها ، لذلك يقول الرسول بولس : « لأنه ان كنت أبشر فليس لي فخر اذ الضرورة موضوعة عليّ . فويل لي ان كنت لا أبشر » (١ كو ٩ : ١٦) والرسولان بطرس ويوحنا يقولان : « لأننا نحن لا يمكننا الا أن نتكلم بما رأينا وسمعنا » (أع ٤ : ٢٠) وهكذا تم قول صاحب المزامير القائل : « في كل الأرض خرج منطقهم والى أقصى المسكونة كلماتهم » (مز ١٩ : ٤) .

□ توما الرسول :

كان توما أحد هؤلاء الرسل ، ويعد السابع بين الاثني عشر (مت ١٠ : ٣) وبما أنه بشر في الهند ، فانه يدعى رسول الهند، ولكن معرفتنا بتفاصيل أعماله التبشيرية يسيرة جداً بالمقارنة مع معرفتنا بأعمال مار بطرس ومار بولس وغيرهما من الرسل والمبشرين ، ولكننا مع ذلك لا نجهل عنه كل شيء . وبتناولنا ترجمة حياته بالدرس ، وحديثنا عنه ، نستند الى الانجيل المقدس ، والتقليد الكنسي السرياني الموثوق به .

□ اسـمه :

كان توما من بلاد الجليل ، ولـد وشقيقه أدى ـ آحـد السبعين ـ توأمين ـ فدعـي بالسريانيـة توما ، أي التـوأم (يو ١١ : ١٦ و ٢١ : ٢) ويدعى أيضاً يهوذا ، وهو غير يهوذا الاسخريوطي الذي أسلم الرب ٠

□ محبته للرب يسوع :

كانت محبة توما للسيد المسيح عميقة جداً ، وخالصـة ، وصافية ، حتى انه كان مستعداً لأن يموت مع الرب ، فقد ذكر الانجيل المقدس أن الرب يسوع لما عزم على التوجه الى بيت عنيا لاقامة لعازر من بين الأمـوات حـذّره تلاميذ مذكّرين اياه بمحاولة اليهود قتله ، فقال توما لاخوانه التلاميذ : «لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه » (يو ١١ : ١٦) ٠

وفي العشاء الأخير ، لما سمع توما الرب يسوع يتكلم عـن انفصاله عن تلاميذه ، بالجسد ، وانهم سيتبعونه ، قال له : « يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق ؟ » قال له يسـوع : « أنا هـو الطـريق ، والحـق ، والحيـاة » (يو ١ : ٥ و ٦) فنحن مدينون لتوما بسؤاله هذا ، حيث ان جواب الرب يظهر للعالم حقيقة الدين المسيحي المؤسس على المسيح يسوع الذي هو الطريق ، والحق والحياة ٠

□ تشككه بقيامة الرب يسوع :

وقد اشتهر توما بتشككه بحقيقة قيامـة الرب من بـين الأموات ، وايمانه بالقيامة بعد رؤيته الرب حياً ٠ كان الرب له المجد ، قد أخبر تلاميذه قبل صلبه ، انه سيصلب ويموت ، وفي اليوم الثالث يقوم ، وذكّرهم بحادثة النبي يونان ، كمـا

صورة لمار توما الرسول

كان قد أشار الى رفع موسى الحية في البرية ، واعتبر ذلك رمزاً لصلبه على العود ، وقال لهم أن يهدموا الهيكل وهو يقيمه في ثلاثة أيام ، هذه الأقوال والتشابيه والرموز وغيرها ، فاه بها الرب أمام تلاميذه ، ولكنهم لم يدركوها ولم يسبروا غورها، فبعد أن صلب ومات ودفن في القبر الجديد ، قام من بين الأموات في فجر الأحد ، وظهر يوم قيامته خمس مرات لبعض النسوة والتلاميذ » ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع ، وكانت الأبواب مغلقة ، حيث كان التلاميذ مجتمعين بسبب

الخوف من اليهود ، جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم ، ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ اذ رأوا الرب ٠٠٠ أما توما أحد الاثني عشر الذي يقال له التوأم فلم يكن معهم حين جاء يسوع ، فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب ، فقال لهم ان لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع أصبعي في أثر المسامير ، وأضع يديّ في جنبه لا أؤمن » (يو ٢٠ : ١٩ ـ ٢٥) وهكذا كان توما يصرّ على طلب البرهان الحسي ٠ ومرّ أسبوع كان عند توما أطول من عام ، انها فترة التجربة ، لم يظهر الرب خلالها لأحد « وبعد ثمانية أيام كان التلاميذ داخلاً وتوما معهم ، فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال سلام لكم ، ثم قال لتوما : هات اصبعك الى هنا وأبصر يديّ ، وهات يدك وضعها في جنبي ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً ٠ أجاب توما قائلاً : ربي والهي ، فقال له يسوع لأنك رأيتني يا توما آمنت طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٦ ـ ٢٩) ٠

يقال ان أصبعي توما السبّابة والوسطى كانتا ملتصقتين منذ ولادته فانفكتا لما وضعهما توما مكان المسامير في كفي الرب ٠ ويقال أيضاً ان توما لم يجرؤ على أن يضع أصبعه موضع المسامير في كفيّ السيد المسيح ، ويده في جنبه ٠

واذا كان توما قد أساء بشكوكه الى رفاقه التلاميذ بعدم تصديقه كلامهم ، وأساء أيضاً الى الرب بعدم ايمانه بقيامته التي كان الرب قد أعلن عنها قبل آلامه ٠ فانه يعذر بطلبه البرهان الحسي لشدة شوقه لرؤية الرب قائماً من بين الأموات كما رآه رفقاؤه ، وقد استوحى البرهان الحسي من كيفية ظهور الرب للتلاميذ أول مرة ، حيث أراهم يديه وجنبه ، ولم يكن

توما أقل محبة لمعلمه من رفقائه حتى لا يظهر له الرب وقد ظهر لهم . وهو مثلهم سيحمل مشعل الانجيل المنير الى العالم ، لذلك يود أن يرى المسيح قائماً من بين الأموات ليبشر بالمسيح الحي . وبعد ظهور الرب للتلاميذ وتوما معهم انقلب الشك لديه الى ايمان ثابت ، بل ان شكوك توما غدت حقاً سبيلاً يؤدي بالباحث الى الايمان وقد أتى بالملايين من الناس الى الايمان بالمسيح القائم من بين الأموات ، كما صارت سبباً لاعطاء الطوبى للذين آمنوا ولم يروا .

وفي ايمانه ، طرح توما نفسه عند قدمي يسوع ، ونادى « ربي والهي » وبذلك أيَّد وحدة المسيح الطبيعية والأقنومية، فهو يرى انساناً ، ويرى جروحاً ، وقد يكون لمس هذه الجروح الكريمة ، أو لم يلمسها ، المهم في الأمر أنه شاهد المسيح الاله المتجسد الذي صلب ، ومات ، ودفن ، وقام من بين الأموات حياً، ودعاه رباً والهاً ، وبذلك اعترف بطبيعة واحدة ، وأقنوم واحد للسيد المسيح ، لأنه لا يصح لنا أن نطلق عليه الصفات الالهية والبشرية في آن واحد ، لولا وحدة الطبيعة ، ووحدة الأقنوم فيه .

ورأينا توما بعدئذ مع بعض التلاميذ يتصيد في بحيرة طبرية بعد قيامة الرب ، حيث أظهر لهم الرب نفسه (يو ٢١ : ١ و ٢) .

☐ مار توما في التقليد الكنسي السرياني :

يذكر التاريخ الكنسي أن توما الرسول أرسل الى الرها أخاه أدى وهو أحد المبشرين السبعين . وأما هو فقد توجه الى المشرق حيث دعا الى الايمان شعوباً مختلفة ، وبشر الحامية

الفارسية المجوسية التي كانت في تكريت ، وختم أعماله التبشيرية في الهند على عهد كوندفر البرثي أحد ملوكها(١) ٠

قصة ذهاب مار توما الى الهند :

في التقليد الكنسي السرياني قصة شيقة ، يعتبر الرسول توما بطلها ، وتبدأ حوادثها بمحاولة الرسل اقتسام مناطق العالم المعروفة عصرئذ بينهم ، ليذهب كل منهم الى منطقة ينشر بشارة الانجيل فيها ٠ فأصابت القرعة الرسول توما للذهاب الى الهند ، فخاف توما كثيراً وارتعب وتردد بقبول ذلك ، بل كان أقرب للرفض منه الى القبول ، فيظهر له السيد المسيح ويقول له اذا لم تذهب أنت الى الهند فسأذهب أنا بنفسي اليها وأموت ثانية ، فأذعن توما للأمر ، بعدما نال وعداً من الرب بألاّ يتخلى عنه تعالى ، بل يكون معه حيثما يذهب ٠ وتقول القصة ان تاجراً هندياً اسمه حابان أرسل الى سورية في تلك الأيام من قبل أحد ملوك الهند لايجاد بنّاء ماهر يشيد للملك قصراً منيفاً، فباع الرب يسوع تلميذه توما عبداً للتاجر حابان الى بلاد المشرق بطريقه الى الهند ٠ واجتاز بلاد العراق فبشر أهلها(٢) ٠

ويذكر التاريخ أن مار توما وجد في بلاد ما بين النهرين المجوس الذين كانوا قد سجدوا للرب يسوع وهو طفل في بيت لحم ، فبشرهم ، معلناً لهم أن الفداء قد تم بموت السيد المسيح صلباً ودفنه وقيامته في اليوم الثالث ، فآمنوا واعتمدوا ، ورسم

---

١ ـ تفصيل ترجمة توما الرسول في التاريخ الكنسي السرياني لابن العبري المجلد الثاني (المفارنة) وفي سيرة الشهداء والقديسين السريان ـ طبعة بيجان ، وتاريخ أوسابيوس (١ : ١٣ و ٣ : ١) ٠

٢ ـ الدرر النفيسة للبطريرك أفرام الأول برصوم حمص ١٩٤٠ ص ١٩٨ ٠

منهم كهنة وأساقفة ، وواصل سفره الى بلاد الهند فوصل اليها سنة اثنتين وخمسين للميلاد . ويقال انه بدأ تبشيره بالجنوب ثم واصل العمل الى الشمال والتقى الملك سيد التاجر حابان ، وأخذ منه أموالاً طائلة لتنفق في تشييد القصر المذكور ، ولكنه وزعها على الفقراء والمعوزين . ولما سمع الملك استدعاه اليه وسأله جليّة الأمر ، فقال له توما انه قد بنى له قصراً فخماً في السماء ، فغضب الملك كثيراً ، وألقاه في سجن عميق وجعله تحت حراسة مشددة ، وتعذيب مرير ، ريثما يرد اليه المال ... وهكذا تحمل توما الآلام والعذابات وحده ... لما كان بطرس في السجن كانت الكنيسة تواصل الصلاة لأجله ، فأخرجه ملاك الرب ، ولما كان بولس في السجن كان تلاميذه يخدمونه ، فكان ذلك عزاء له ، أما توما فقد كان وحده في سجنه في بلاد بعيدة اعتبرت في تلك الأيام بلاد الغرائب والعجائب ، ولكننا على يقين بأن الرب يسوع كان معه يشجعه على تحمل المشقات كجندي صالح . وقد دبَّر وسيلة لانقاذه ، ونجاح مهمته التبشيرية ، ذلك أن (جاد) أخا الملك ابتلي بمرض عضال ، ومات ونقلت الملائكة روحه الى السماء حيث شاهد قصراً منيفاً ، قيل له انه القصر الذي شيَّده توما لأخيه الملك ، ثم أعاد الله (جاد) الى الحياة ، فلما رآه أهله حياً انذهلوا ، فقص عليهم جاد ما رآه في السماء ، وطلب الى أخيه الملك ليبيعه القصر الذي شيَّده له توما في السماء ... فصدَّق الملك الرؤيا ... وأطلق سراح الرسول توما ، وآمن بالرب يسوع هو وأهل بيته ، وعظماء مملكته ، واعتمدوا جميعاً ، بل ساعدوا توما في نشر البشارة الانجيلية فرسم منهم كهنة وأساقفة ، وغادرهم ليواصل تبشيره بالانجيل في مناطق أخرى من بلاد الهند .

صورة مخطوطة سريانية قديمة تمثل السيدة العذراء في الوسط
يحيطها من جانبيها الأنبيــاء والرسل

□ خطف توما بالروح ورؤيته العذراء مريم :

ويحكى عن توما قصص أخرى شبيهة بقصة تشييد القصر في السماء ، لا مجال لذكرها هنا . ولكن لا بد من التنويــه في هذه العجالة بحادثة خطف توما بالروح وذهابه من الهند الــى المدينة المقدسة . للاشتراك بتجنيز السيدة العذراء والدة الله مريم ، وتأخير وصوله الى هناك . ورؤيته وهو في الطريــق العذراء تصعد الى السماء بموكب ملائكي عجيب ، وطلبه منها علامة يبرهن بها لاخوته التلاميذ عن صدق حديثه عندما يخبرهم عما شاهده . فأعطته زنارها . وبعدما اجتمع توما بالتلاميــذ ،

وطلب اليهم فتح ضريح السيدة العذراء ، ففعلوا ولم يجدوا الجثمان الطاهر ، أخبرهم بما رأى ، وعاد الى الهند آخذاً معه الزنار المقدس(٣) ٠

☐ استشهاده :

تحمل مار توما الرسول العذاب الأليم من الوثنيين في الهند حتى انهم سلخوا جلده كما يسلخ جلد الحمل الوديع ، فوضع جلده على كتفه بصبر عجيب ، وجال بين الناس يبشر باسم السيد المسيح حتى هجم عليه كهان الوثنيين وهو يصلي وطعنوه بالرماح في جنبه الأيمن ، ففاضت روحه الطاهرة في عام ٧٥ م في مدينة ميلابور القريبة من مدراس حيث دفن جثمانه الطاهر، واقترن اسمه ببلاد الهند ، فهو رسول الهند ٠ قال كيرلس اليسوعي نقلاً عن حوادث البرتغاليين أنهم وجدوا عند مرورهم بمسيحيي مليبار (جنوب الهند) ان هؤلاء يقولون في كتب صلواتهم باللغة السريانية ما ترجمته « ان القديس توما اجتذب الى الايمان المسيحي الحبشة والصين والعجم »(٤) ويعني

---

٣ ـ نقل هذا الزنار المقدس في القرن الرابع من الهند الى الرها مع رفات القديس مار توما ثم نقل الزنار وحده الى كنيسة العذراء في حمص التي دعيت بكنيسة أم الزنار ، ووضع في مذبحها الوسط واكتشف سنة ١٩٥٢ م ولا يزال هناك يتبرك به المؤمنون ٠

٤ ـ الخريدة النفيسة للاسقف ايسيدورس ـ مصر مج ١ ص ٥٣ ٠ ولا يزال السريان في الهند يصلون بالسريانية ، وقد ترجموا بعض الصلوات من السريانية الى لغتهم المحلية (المليالم) وقد اكتشف صليب من حديد سنة ١٦٢٥ في بلاد الصين يعود تاريخه الى عام ٢٣٩ م مكتوب عليه بالسريانية واكتشف أيضا عمود محفور باللغة السريانية بأيدي أحد الرهبان كما اكتشفت مخطوطات كتبت على (البردي) مكتوب عليها بالسريانية والصينية ٠

بالحبشة بلاد الهند ، فقد جرت العادة أن يطلق على جميع الشعوب السود لوناً ، اسم الأحباش أو الكوشيين(٥) .

☐ نقل رفاته الى الرها :

في ٣ تموز من عام ٣٩٤ م نقلت الجالية السريانية الرهاوية(٦) رفات مار توما الرسول من الهند الى الرها فوصل اليها في ٢٢ آب من السنة ذاتها ، وأودع في الكاتدرائية الفخمة التي كان قورا أسقفها ، قد وضع حجر أساسها وبدأ بتشييدها سنة ٣١٣ م ، وأنجز بناءها بعده الأسقف سعاد . وهي على اسم مار توما الرسول .

☐ أديرة وكنائس على اسم الرسول توما :

شيدت على اسم الرسول توما أديرة وكنائس عديدة في أماكن شتى من العالم ، فمن الأديرة المشهورة دير قنسرين

---

٥ ـ الدرر النفيسة للبطريرك أفرام الأول برصوم حمص عام ١٩٤٠ ص ٢١١و٢١٢ .

٦ ـ كانت الجالية الرهاوية تتألف من اثنتين وسبعين عائلة تعد أربعمائة نفس فيها قسوس وشمامسة وبرئاسة الأسقف يوسف الرهاوي وتاجر اسمه توما الكنعاني غادرت الرها الى جنوبي الهند في منتصف القرن الرابع ، وحلت قرب كوجين ، وأعطيت امتيازات سامية ولم تمتزج بالمصاهرة مع بقية المسيحيين ونمت وكثرت وهي تؤلف الآن أبرشية الكناعنة التي يبلغ عددها أكثر من ربع مليون نسمة ، وهذه الجالية حسَّنت حالة المسيحيين الاجتماعية ووطدت العلاقة بين الكرسي الرسولي الأنطاكي والكنيسة في الهند فأطلق على الكنيسة اسم الكنيسة السريانية وسمي المسيحيون هناك سرياناً منذ ذلك التاريخ ، كما استعمل الطقس السرياني الأنطاكي واللغة السريانية بالطقس ، ويقول العلامة ابن الصليبي (١١٧١ +) ان الكنيسة في الهند تستعمل في صلواتها عبارة « يا من صلبت من أجلنا» العبارة التي تستعملها الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الجامعة ومن هنا نعلم بأن الكنيسة السريانية في الهند هي جزء من الكنيسة السريانية الجامعة عقيدة وطقساً وتاريخاً .

الذي أنشيء على شاطيء الفرات مقابل بلدة جرابلس ، وذلك نحو عام ٥٣٠ ، وتخرج في مدرسته رهبان عديدون ، وخمسة عشر أسقفاً ، وسبعة بطاركة ، وكان عامراً حتى القرن الثالث عشر • أما الكنائس فعديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كاتدرائية مار توما الرسول الفاخرة في الرها ، التي مرَّ بنا ذكرها • وكنيسة مار توما الرسول في باب المُحوَّل في الكرخ في بغداد ، وتسمى أيضاً كنيسة قطيعة الدقيق التي أنجز بناؤها في غضون القرن التاسع للميلاد ، وأحرقت عام ١٠٠٢ م وجددها المفريان أغناطيوس الأول عام ١٠٠٤ م ثم هدمت في القرون المتأخرة • وفي عام ١٩٧٨ شيَّد المؤمنون في بغداد كنيسة جديدة على اسم مار توما الرسول بالكرخ في بغداد(٧) لاحياء ذكرى كاتدرائية مار توما في باب المُحوَّل في الكرخ •

ومن الكنائس القديمة العهد التي شيِّدت على اسم مار توما الرسول كنيسته في الموصل(٨) بالعراق التي ذكرت في التاريخ مركزاً للأبرشية منذ بدء القرن السابع للميلاد، ويعتقد أنها كانت داراً لأحد المجوس الذين سجدوا ليسوع وهو طفل

---

٧ ـ شيدت هذه الكنيسة على عهد مطرانيتنا لبغداد وسنة ١٩٨٠ على أثر انتخابنا بطريركا أقمنا فيها مقاماً لائقا أودعناه جزءاً من ذخيرة مار توما الرسول التي كانت قد اكتشفت في كاتدرائية مار توما في الموصل عام ١٩٦٤ على عهد مطرانيتنا لأبرشية الموصل •

٨ ـ الموصل وكانت تدعى نوراردشير ، بنيت سنة ٥٧٠ م على نهر دجلة في الجهة المقابلة لأطلال مدينة نينوى المندثرة ، وسماها العرب الموصل ، وكانت لها أهمية تجارية كبرى • ولها مكانتها في التاريخ الكنسي حيث صارت مركز كرسي مفريانية المشرق قروناً عديدة ففي غضون القرن الثاني عشر نقل كرسي المفريانية اليها وبقي حتى سنة ١٨٥٩ حيث ألغيت الرتبة المفريانية بقرار مجمعي •

في بيت لحم ، وبشرهم الرسول توما ، فآمنوا بالرب ، وحول هذا المجوسي داره الى كنيسة وهي لا تزال عامرة(٩) ٠

☐ اكتشاف ذخيرة الرسول توما :

عام ١٩٦٤ بينما كانت أعمال الترميم تجري في كاتدرائية مار توما الرسول في الموصل على عهد مطرانيتنا لتلك الأبرشية، اكتشف في ثغرة في أعلى العمود الأول الواقع عن يسار الشخص المواجه مذبح الكنيسة القديمة(١٠) جرن حجري من الرخام الصلب ، لونه أبيض مائل الى الحمرة ملفوف بقماش أبيض ،

---

٩ ـ هي كنيسة قديمة لا يعرف تاريخ تأسيسها كأغلب الكنائس القديمة في العالم وهي الكنيسة الأولى التي ذكرت بتاريخ الموصل داخل المدينة ٠ والمعروف لدينا من الوجهة التاريخية أنها كانت عامرة في أوائل القرن السابع على عهد مطرانها كرستوفوروس ويذكر التاريخ انها كانت عامرة زاهرة على عهد الخليفة المهدي (٧٧٩ م) ٠ وقد جدد بناء مذبحها الوسطي وبيت المعمودية وبيت القديسين عام ١٧٤٤ بعد فشل الحصار الذي ضربه نادرشاه على الموصل بعام واحد وذلك على عهد البطريرك شكرالله والمطران جرجس من عائلة القس عبد الجليل ، ولا يزال اطار باب المذبح القديم الواقع في ناحية اليسار يعود الى هذا التاريخ وهو من طراز البناء المعروف بالجليلي ، وفي سنة ١٨٣٨ (أو ١٨٤٨) بنيت الكنيسة الجديدة في مستوى أعلى من مستوى الكنيسة القديمة ثم نقلت أبواب المذبح القديمة الى الوراء ٠٠٠ تحتوي الكنيسة على أضرحة العديد من الأحبار يرجع تاريخ أقدمها الى عام ١٧٢٤ م ٠

١٠ ـ هو أحد أعمدة الكنيسة القديمة ، وضع في قسمه السفلي رفات اكتشف في الموضع الذي كانت كنيسة مار ثاودروس مشيدة عليه وهذه الكنيسة كانت للتكريتيين وتسمى كنيسة الصليب وقد شيدت في الموصل في باب العراق أو باب تكريت وكانت عامرة سنة ١٢٤٥ واندثرت عام ١٥٨٣ واكتشفت بين أطلالها رفات يظن أنه لمار ثيودورس أو أحد الأحبار فنقل الى كنيسة مار توما . وكذلك اكتشفت معه ثلاث مخطوطات طقسية مهمة يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر وهي فناقيث القيامة (١٢٤٥ م) والصوم (١٢٤٦ م) والدنح محفوظة في كنيسة مار توما ٠

■
أعلى العمود حيث اكتشفت رفات مار توما الرسول في كنيسته بالموصل
■

بلي لقدمه ، والجرن ذو ستة وجوه مستطيلة الشكل ، طول سطحه ١٣½ سم ، وعرضه ٨½ سم ، وارتفاع كل من جوانبه ٨ سم ، وعمقه الداخلي ١٤½ سم ، وعرضه الداخلي ٥½ سم، وطوله الداخلي ٩ سم . غطاؤه مستدق الأطراف منحوت من الحجر ذاته . كتب على أحد جوانب الجرن الطويلة بالقلم السرياني الاسطرنجيلي (مارتوما)، وبالقلم السرياني النسخي الذي بشر

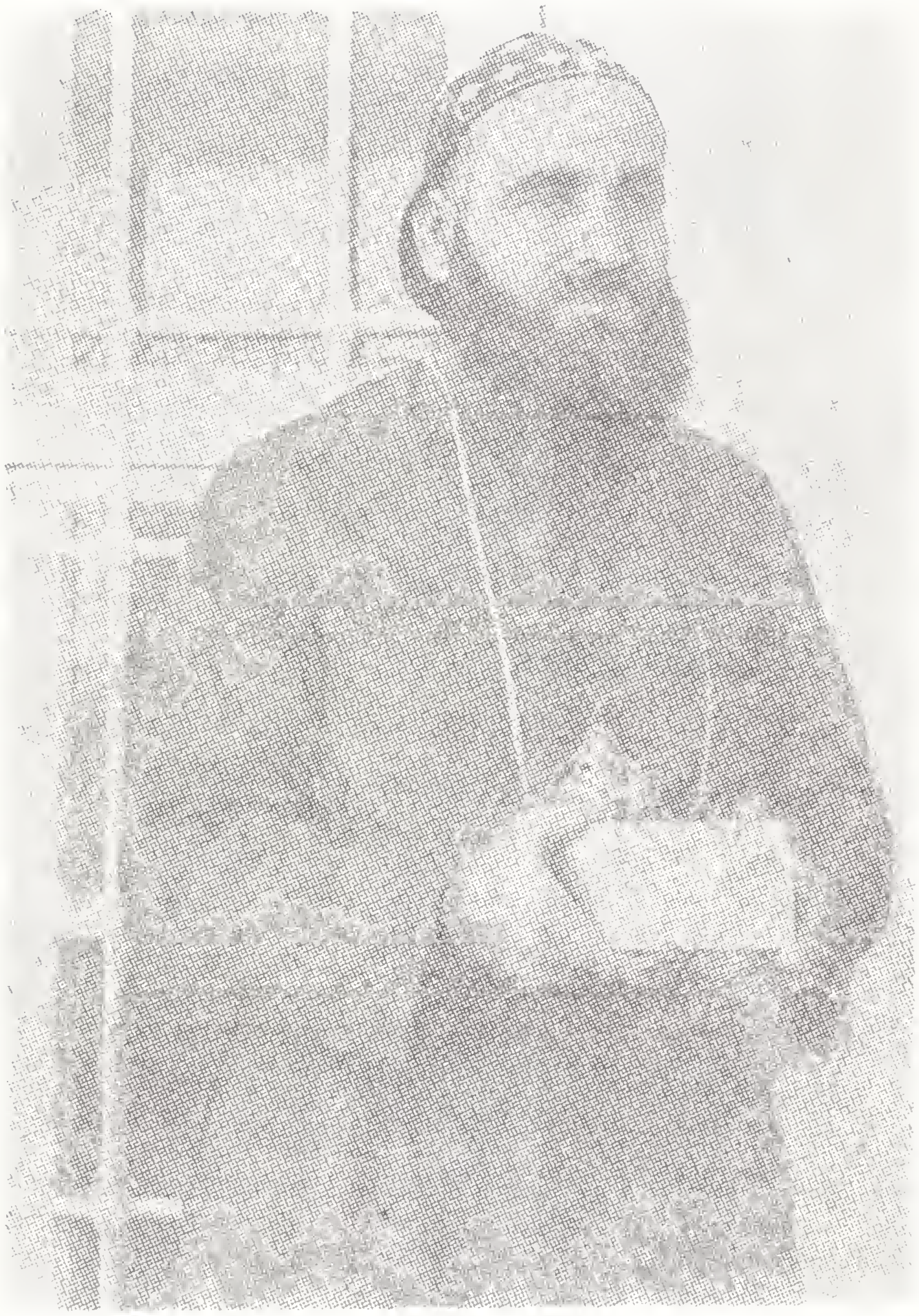

■
مار سويريوس زكا
مطران الموصل
(البطريرك زكا الأول
حالياً) وبيديه
ذخيرة مار توما
على أثر اكتشافها
في الموصل عام ١٩٦٤
■

بلاد الهند • وفي الجانب المقابل للكتابة دُقَّ مسمار حديدي لتثبيت الجرن بالبناء • وفي الأول من ايلول ١٩٦٤ فتحنا الجرن فوجدنا داخله قطعاً صغيرة من العظام والبخور . ملفوفة بقماش أصفر اللون بلي لتقادم عهده . وتناثرت أجزاؤه عند لمسه • وبعد أن درسنا بامعان وتمحيص مع من لهم المام واسع ودراسات قيِّمة في علم الآثار والتاريخ . تأكد لدينا بأننا عثرنا على كنز ثمين هو جزء من رفات القديس مار توما الرسول ،

■ مقام ذخيرة مار توما الرسول في الموصل ■

فأقمنا الصلاة المناسبة ، وتبركنا والمؤمنين من هذه الذخيرة المقدسة ٠ وأعدنا القماش البالي الى موضعه في الجرن ، ثم ختمنا الجرن ، وشيدنا مقاماً لائقاً في الكاتدرائية ذاتها ، ووضعنا الذخيرة ٠

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو كيف وصلت هذه الذخيرة الى الموصل ؟! والجواب على ذلك هو أن رفات مار توما كانت قد نقلت الى الرها في القرن الرابع كما مرَّ بنا ، وان الرها والموصل تخضعان للكرسي الرسولي الأنطاكي ، وقد اعتاد السريان لدى تشييدهم الكنائس على اسم أحد القديسين أن يحتفظوا بجزء من رفات هذا القديس للبركة ٠ فلا يستبعد طلب الكنيسة في الموصل جزءاً من رفات القديس توما من الكنيسة في الرها عن طريق الكرسي الرسولي الأنطاكي ، خاصة وان كنيسة الموصل تعتبر من الكنائس القديمة جداً ، ويظن أنها كانت بيت مجوسي كما مرَّ بنا ، وان القديس توما عندما اجتاز العراق في طريقه الى الهند قد حلَّ في ذلك البيت ٠

★ ★ ★

□ الخاتمة :

قال أوسابيوس القيصري المؤرخ (ت ٣٣٩) : « ان المسيحيين منذ فجر النصرانية كانوا ولا يزالون يجتمعون عند مدافن الشهداء ويقدمون الصلوات والنذور مكرمين رفاتهم » ٠ ولا غرو فان للقديسين كرامة لدى الله تعالى ، فقد جاء في سفر التكوين قول الرب الاله لاسحق « لا تخف لأني معك وأباركك وأكثر من نسلك من أجل ابراهيم عبدي »

(تك ٢٦ : ٢٤)(١١) · وجاء في ليترجية مار يعقوب أخي الرب دعاء يرفع الى الرب عن القديسين وهو : « اننا نذكرهم لكي يذكرونا امامك » · وان لذخائر القديسين كرامة كبرى ، وقوة سماوية سامية ، فان موسى حمل عظام يوسف عندما غادر شعب العهد القديم مصر (خر ١٣ : ١٩) ويقول الآباء ان عظام يوسف غدت سوراً للشعب في البرية ، ونقرأ في الكتاب المقدس عن عظام اليشاع النبي التي ما ان لامستها جثة الشاب الميت حتى عادت الحياة الى ذلك الشاب(١٢) ·

قال مار يعقوب السروجي الملفان السرياني الكبير (٥٢١ +) وهو يخاطب الرسول توما على لسان الرب يسوع ما تعريبه : « في ذلك المكان الذي يجثم فيه رفاتك الطاهر الى يوم النشور هناك تستقر قوة يستشفي بها جميع المنكوبين » ·

« فلقاء انك ستطعن بالحربة مثلي لأنك أحببتني كثيراً ، ستنساب منك أنهار مياه حية » ·

« لقاء ارسالي اياك بصفة عبد الى الديار الهندية ، سيرسل الملوك في أثر رفاتك احتراماً ·

« يكون ضريحك حصن معونات للعظماء والبسطاء ، وبه يحتمي جميع الذين عضتهم أنياب الضيق والاضطهاد » ·

« فجسدك يكون ميناء السلام يقل البشر ، ويقصدك الناس زرافات ووحدانا من جميع أنحاء المعمور اجلالاً لعظامك »(١٣) ·

١١ـ انظر أيضاً (٢ مل ١٩ : ٣٤ و ٢ مل ٢٠ : ٦ وامل ١١ : ١٢ وامل ١١ : ١٣ و ٣٢ و ٣٤) ·

١٢ـ راجع ٢ مل ١٣ : ٢١ و ٢ : ١٣ و ١٤ واع ١٩ : ١٢) ·

١٣ـ تاريخ الكنيسة السريانية الهندية للمطران سويريوس يعقوب (البطريرك يعقوب الثالث بعدئذ) بيروت ١٩٥١ ص ٢٠ و ٢١ عن ميامر مار يعقوب مج ٣ ص٧٦٠ ·

لتكن صلاة الرسول توما معنا جميعا لننال الطوبى التي أعطاها الرب للذين ، وان لم يروه ، آمنوا به مخلصاً وربا والها عظيماً . صلب ، ومات بالجسد ، وقام في اليوم الثالث من القبر حيـاً ممجَّـداً ٠

« طوبى لمـن قد آمنـوا ‏ ‏ ولـم يـروا الربَّـا
وامتـلأت قـلوبهم ‏ ‏ لربهـم حبَّـا
طـوباهم فـانهم ‏ ‏ يشـدون حـامدين
يحيـون مـع الههـم ‏ ‏ للـدهـر خـالديـن »

★ ★ ★

الإنسان الذي جاء إلى يسوع ليلاً *

(يو ٣ : ١ ـ ٢١)

□ من هو هذا الانسان !؟

انه نيقوديموس ، وهذا اسم سرياني آرامي معناه نقيّ الأصل والجنس ، ذو حسب ونسب ٠ وقد جاء الاسم موافقاً للمسمى الذي كان شريف الأرومة ، عريق المنبت ، كريم المحتد ، وصار وجيهاً في قومه ٠

ويخبرنا الانجيل المقدس ، انه كان فريسياً ورئيساً لليهود (يو ٣ : ١) أي زعيماً علمانياً لا دينياً ٠ كما كان مشيراً أي عضواً في مجلس السنهدريم (يو ٧ : ٥٠) الذي كان يضم سبعين عالماً من علماء اليهود ، بيدهم السلطتان التشريعية والتنفيذية ، ولهم أن يحكموا على اليهود بالموت وأن ينفذوا الحكم بعد موافقة السلطة الرومانية الحاكمة التي لم تكن لترد لهم طلباً كهذا ٠

وكان نيقوديموس غنياً كما نفهم من قراءتنا عنه في انجيل يوحنا (يو ١٩ : ٣٩) ٠ وجاء في التلمود(١) : « ان شخصاً بهذا الاسم كان رابع أربعة امتازوا بغناهم الفاحش في المدينة المقدسة ، وانه من أتباع المسيح »(٢) ٠

---

* نشرت في المجلة البطريركية ـ عدد شباط ١٩٨٤ ٠

١ ـ أحد كتب اليهود التي تضم تعاليم آبائهم ٠

٢ ـ شرح بشارة يوحنا بقلم القس ابراهيم سعيد ـ بدون تاريخ طبع في مصر ص ١٠٩ ٠

□ هـذا جاء الى يسوع ليلاً :

لم تكن تلك المرة الأولى التي جاء بها نيقوديموس الى يسوع ، فقد التقاه كثيراً على ما يظهر ، وجالسه مراراً عديدة ، وسمعه يعلِّم ، وفحص بعض المعجزات التي صنعها . ولم يكن في زياراته السابقة وحده بل برفقة زملاء له من الكتبة والفريسيين ، الذين كانوا مطبوعين بطابع التعصب الفكري ، وقد جرحت تعاليم الرب كبرياءهم فكانوا يتربصونه ليأخذوه بكلمة ، ولم تجد تعاليمه السامية في قلوبهم تربة جيدة لتنمو فيها ، فقد كانت عقولهم مغلقة بألواح فولاذية من التعصب الأعمى . أما نيقوديموس فقد اختلف عنهم بذلك ، ويبدو أنه قد تأثر بتعاليم الرب يسوع ، وأعجب به ، وأحبه . ونحا بعدئذ منحىً مغايراً عما كان عليه منذ بدء نشأته كفريسي ، وظهرت مفاعيل النعمة الالهية في نفسه فحطمت صنم الكبرياء في قلبه وفكره ، وانسحق قلبه بتواضع عميق وبُكِّت ضميره ، وبدأ يسلك طريق التوبة فضحى برتبته الدنيوية السامقة ، وعلمه الغزير وغناه الكثير ، ووقار شيخوخته الجليلة . وتأكد بأن هذه الأمور الكثيرة التي تظهر وكأنها عظيمة ، انما هي مجد باطل زائل وتعتبر نفاية بالنسبة الى المجد السماوي ...

بدأ كل ذلك لما جاء الى يسوع ليلاً بمفرده ... فبعد يوم حافل بالخدمة ، جاء الرب يسوع الى « البيت » لعله كان بيت مريم أم مرقس ، البيت الذي صار بعدئذ العلية المقدسة التي احتفل فيها الرب بالفصح وبغسل أقدام التلاميذ ، ومنح تلاميذه أسراره الالهية . أو لعل ذلك البيت كان في ضواحي المدينة المقدسة في بيت عنيا مثلاً أو غيرها .

لم يتوقع تلاميذ الرب أن يقرع باب البيت يوماً وجيه

كنيقوديموس ، في ساعة متأخرة من الليل . وينتظر من يفتح له • ولا بد من أنهم فوجئوا بدخوله اليهم ومبادرته بالسلام على معلمهم • وفرحوا جداً اذ اعتبروا كل ذلك نجاحاً لرسالة معلمهم يسوع • ولكن يسوع لم يُفاجأ ، لأنه يعرف الخفايا • كما انه يعرف أنه أعظم بكثير من أن يزوره شخص كنيقوديموس مهما سمت مكانته الاجتماعية الدنيوية •

ونيقوديموس ولئن كان فريسياً ، ولكن الانجيل يصفه بأنه « انسان » فقد كان انسانياً ، بخلاف أغلب زملائه من الكتبة والفريسيين ، وأعضاء مجلس السنهدريم ، والأغنياء والموسورين •

وقد جاء نيقوديموس الى يسوع ليلاً تجنباً للعيون، ولئلا يعرّض نفسه لانتقاد زملائه الذين على ما يظهر كانوا يأتون الى يسوع بعد أن يتخذوا في مجالسهم قراراً يتفقون عليه وكانت غايتهم في زياراتهم كلها اصطياد يسوع بكلمة • ولكن نيقوديموس جاء الآن وحده ليلتقي الرب ويختلي به ويبثه أشجانه ، ويظهر له مشاعره القلبية ، ويتعلم منه ، وجاء ليلاً طبقاً لوصية آبائه القائلة ان أنسب وقت لقراءة الناموس ودراسة الشريعة هو هدوء الليل ، ولذلك ، فأفضل وقت اختاره نيقوديموس ليختلي بالرب يسوع هو الليل ، وبخاصة أنه لا يتمكن في النهار من الوصول اليه بسهولة لازدحام الجماهير التي كانت تأتي من كل فج عميق لسماع تعاليم الرب وطلب الشفاء •

كانت تلك الليلة تاريخية حولت الظلام الدامس في قلب نيقوديموس الى نور عجيب ، كما انعكست أنوارها علينا •

ففي الحديث الشيِّق الذي جرى بين الرب يسوع

ونيقوديموس اكتشفنا ينابيع الخلاص حيث سمعنا الفادي يفوه بكلمات مقدسة ، هي زبدة عقيدة الفداء المؤدي الى السماء ٠

□ الحديث المتبادل بين الرب ونيقوديموس :

بدأ نيقوديموس حديثه مع الرب بعبارات رقيقة قائلا :
« يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأنه ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل ان لم يكن الله معه » (يو ٣ : ٢) ٠

وبهذا قدم نيقوديموس الاحترام اللائق للرب يسوع اذ أطلق عليه لقب « المعلم » الذي كان يطلق على كبار علماء الدين عصرئذ ٠ ولفظة « معلم » وبالسريانية الآرامية ، اللغة التي كان الرب يسوع ومعاصروه يتكلمونها (راب ورابای ورابون) كانت تعتبر لقباً دينياً علمياً سامياً لا يطلق الا على من تخرج في احدى المدارس اللاهوتية اليهودية العالمية ٠ ويخول هذا اللقب صاحبه التعليم في المجامع اليهودية ويعتبر حجة في الأمور الدينية ٠ ومع أن نيقوديموس كان يعلم جيداً أن يسوع لم يتخرج في احدى المدارس العليا ، ولم يدرس على غمالائيل معلم التوراة الشهير أو غيره من العلماء الكبار ، نسمعه يحيي الرب قائلا : « يا معلم » ويعلل نيقوديموس سبب اطلاقه هذا اللقب على يسوع بقوله : « انك قد أتيت من الله معلماً » وبرهان ذلك : « لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل ان لم يكن الله معه » ٠

وبهذه العبارات يعترف نيقوديموس بأن تعليم الرب يسوع هو من الله ٠ وان الآيات التي يصنعها الرب يسوع تقيم الحجة على صحة ذلك ٠ وبهذا يُعتبر نيقوديموس أحد

المؤمنين المعنيين بآية الانجيل القائلة « آمن كثيرون باسـمه اذ رأوا الآيات التي صنع » (يو ٢ : ٢٣) .

□ الولادة من السـماء :

لم يُعـر الرب أهمية لعبارات المجاملة ، وكل همّه خلاص الانسان ، لذلك يقود نيقوديموس الى معرفة الحق ، ويكشف له عن حقيقة رسالته الالهية ، رسالة الفداء ، ويعلن له نفسه مخلصاً للعالم ، فيحوّل مجرى الحديث الى السبيل الموصلة الى الخلاص فيقول لنيقوديموس « الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » .. قـال له نيقوديموس كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد ؟ أجاب يسوع : « الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله ، المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هـو روح » .

ففي هذا التعليم السامي يبسط يسوع المفهوم الدينـي الجديد للانتساب الى السماء ، ألا وهو الولادة من فوق ، من السماء التي تدعى الولادة الثانية .

فالدين بحسب تعليم الرب يسوع هو نور وحق وحياة ، وهو يغمر الانسان كل الانسان ، فيهيمن على عقله وقلبـه وروحه ، فيكرس الانسان ذاته كلها لله متجاوباً مع النور والحق والحياة . وهذا الدين داخلي عميق ، لا خارجي ضحل ، وهو بعيد عن المراءاة ، لأنه توبة حقيقية ، وانسحاق القلب ، بـل هو تمخض اليـم لولادة جديدة ، لمـولود صحيح الجسـم قـوي البنيـة .

كان الدين لدى اليهود : ختاناً ، وذبائح ، وتمسكاً بوصايا

الآباء وتقاليدهم البالية ، وافتخاراً بكون اليهودي ابن ابراهيم. ولكن يسوع غيّر هذا المفهوم ، وارتقى بالانسان الى السماء ليكون هذا الانسان لا ابن ابراهيم بل ابن رب السماء ، وليولد لا من جسد بل من روح ، وليعبد الله بالروح والحق ، لآن الله روح ، وبذلك يصير « خليقة جديدة فالأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً » ·

لم تكن فكرة الميلاد الثاني غريبة بالمرة على نيقوديموس، ذلك أن مراسيم قبول الوثني في الدين اليهودي كانت تتم بالصلاة وتقديم الكفارة عنه والى جانب اتمام شريعة الختان كان هناك ما يشبه العماد من طقوس الغسولات اشارة الى التنقية وكان ـ المتهود ـ يعتبر قد ولد من جديد · ويقول علماؤهم : « ان الدخيل الذي يعتنق اليهودية هو كالطفل حديث الولادة » ·

كل هذا كان يعرفه نيقوديموس جيداً ، ولكنه لم يكن يتوقع أبداً أن يُذلّ اليهودي ابن ابراهيم ويحط الى هذا الدرك بحيث يعمَّد كالأممي الدخيل عماد الميلاد الجديد · كان قسم كبير من الشعب قد اعتمد من يوحنا المعمدان ولكنها معمودية التوبة وليست ولادة جديدة · أما يسوع فيضع شرطاً لدخول ملكوت الله بالولادة الجديدة بقوله : « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) ، وبذلك يوضح مفعول سر المعمودية الذي هو نعمة التبني ، أي الميلاد الثاني من السماء · الأمر الذي لا بد من أن نيقوديموس بعدئذ قد فهمه ·

فالماء الذي هو المادة في سر العماد يدل على الغسل الخارجي ، وفي الوقت ذاته يشير الى النعمة الخفية التي هي حلول الروح القدس على المعتمد · وكما جبل الله الانسان

الأول في الماء الذي له أيضاً مفعول الغسل ، فيغسل النفس من الخطية ثم يأتي الروح القدس فيقدس الماء الطبيعي لتستقر فيه القوة الالهية ، كما كان روح الله يرفّ على وجه المياه في البدء • ثم بعد أن جبل الانسان من تراب الأرض نفخ الله في أنفه نسمة الحياة فصار آدم نفساً حية • كذلك في الخلقة الجديدة يحل الروح القدس على المعتمد ليقدسه ويعطيه الحياة الجديدة بالمسيح يسوع ربنا •

هذا ما يوضح كلام يوحنا عن المسيح ومعموديته اذ قال : « هو (المسيح) سيعمدكم بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١) وهنا يشير الى مفعول الروح القدس الداخلي كما حدث يوم الخمسين اذ حل الروح القدس على التلاميذ بشكل ألسنة من نار استقرت على كل واحد منهم (أع ٢ : ٣) ونجد في النار تعبيراً أقوى ، عن شيء ما في طبيعة الله حتى قيل مرة ، ان : « الهنا نار آكلة » (عب ١٢ : ٢٩) وتعتبر نار العليقة المشتعلة التي رآها موسى في القديم تعبيراً واقعياً عن حضور الله ، وطبيعة اللاهوت ، فلا نستغرب اذن قول يوحنا عن الرب انه يعمد بالروح القدس ونار • وبخاصة ان الرب أيضاً أشار الى ذلك بقوله لتلاميذه « لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ، ليس بعد هذه الأيام بكثير » (أع ١ : ٥) •

فبعد أن مهد الرب لتأسيس سر المعمودية بعماد من يوحنا المعمدان ــ وبكلامه عن مفاعيل المعمودية من الماء والروح ــ والروح القدس والنار ، وبأمره تلاميذه أن يعمدوا الناس ، أثناء وجوده بالجسد على الأرض ، فبعد تحمله الآلام وموته على الصليب ، ودفنه وقيامته في اليوم الثالث من بين الأموات أعطى المعمودية قوة الهية لتكون بطناً سرياً يلد الانسان الجديد من السماء • ثم اذ كمّل سر المعمودية ، أمر الرسل ، قبل

صعوده الى السماء ، قائلاً : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»(مت٢٨:١٩) ٠

من هنا نعلم أن الولادة الثانية هي عملية موت ، وقيامة ، وحياة ، « لأن المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) و « الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله ، وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح ، ان كان روح الله ساكناً فيكم ٠ ولكن ان كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له » (رو ٨ : ٨ و ٩) ٠

ويشرح لنا الرسول بولس بكلمات فلسفية سامية عملية الولادة العجيبة اذ يقول : « دُفنَّا معه (المسيح) بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة ٠ لأنه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته ٠ عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية ٠ فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ : ٤ـ٨) ٠

فالولادة الثانية اذن هي موت ، وحياة ٠ موت للطبيعة الخاطئة ، وحياة جديدة للانسان الجديد في المسيح ومع المسيح ٠

□ كيف تتم عملية الميلاد الثاني :

يسأل نيقوديموس : كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ٠٠٠ ؟ يجيبه الرب : « الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا الى أين تذهب ـ هكذا كل من ولد من الروح » (يو ٣ : ٤ ـ ٨) ويسأل نيقوديموس

ثانية : « كيف يمكن أن يكون هذا ؟ » (يو ٣ : ٩) أجاب يسوع وقال له : « أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا ... ان كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون ان قلت لكم السمويات وليس أحد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان ، الذي هو في السماء » (يو ٣ : ١٠ ـ ١٣) .

فالولادة الثانية هي النتيجة الحتمية لتفاعل الروح القدس في قلب الانسان وتجاوب الانسان مع هذه النعمة الالهية ، فيتغير الانسان جذرياً ، اذ يشلح الانسان العتيق ويلبس الانسان الجديد ويصير مسيحياً ويقبل المسيح مخلّصاً ، والهاً ، فيصير ابناً لله بالنعمة ، كقول الانجيل المقدس « وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » (يو ١ : ١٢ ـ ١٣) .

لأننا لا يمكن أن ندرك بعقولنا البشرية كيفية هذا التحوّل المفاجيء في قلب الانسان وفكره بعد قبوله الروح القدس ، ولكننا نلمس ذلك بوضوح من تصرّفات الانسان الذي ولد من فوق .

وقد يسبق عملية المعمودية ، حلول الروح القدس على الانسان كما جرى لكرنيليوس قائد المئة الذي جاءه الرسول بطرس على أثر رؤيا رآها كرنيليوس ، وأخرى رآها بطرس . فبعث كرنيليوس واستدعى الرسول بطرس ... فبينما كان بطرس يبشر كرنيليوس بالرب يسوع : « حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة ، فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان كل من جاء مع بطرس ، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً . لأنهم كانوا

يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله · حينئذ أجاب بطرس ، أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً · وأمر أن يعتمدوا باسم الرب حينئذ سألوه أن يمكث أياماً » (أع ١٠:٤٤ـ٤٨) ·

وخير مثال للميلاد الثاني ما جرى للرسول بولس الذي كان يدعى سابقاً شاول الطرسوسي ، وكان ذا ذهن عتيق وقلب قاس · « وكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب · فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى دمشق الى الجماعات حتى اذا وجد أناساً من الطريق ـ طريق الرب يسوع ـ رجالاً ونساء يسوقهم موثقين الى أورشليم · وفي ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء · فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدني. فقال له من أنت يا سيد · فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده · صعب عليك أن ترفس مناخس · فقال وهو مرتعد ومتحيرٍ : يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل ··· فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً · فاقتادوه بيده وأدخلوه الى دمشق ··· » (أع ٩ : ١ ـ ٨) ·

ولم يضطهد شاول يسوع الناصري انما اضطهد أتباع يسوع ، ويسوع يقول له « لماذا تضطهدني ؟ » من هنا نفهم معنى وعد الربلتلاميذه القائل : « الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني » (لو ١٠ : ١٦) · فالذي يضطهد المؤمنين بيسوع يضطهد يسوع نفسه ·

« وكان شاول مفتوح العينين ولكنه لا يبصر أحداً » هذه

الحالة لازمت حياة شاول الفريسي « له عينان ولا يبصر ، له أذنان ولا يسمع » وهذه حالة الانسان المتزمت ، المتعصب ، الحاقد ، والأناني الذي لا يمكن أن يحب أخاه ٠

« وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا ، فقال له الرب في رؤيا يا حنانيا ٠ فقال ها أنذا يا رب ٠ فقال له الرب قم واذهب الى الزقاق الذي يقال له المستقيم واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول ٠ لأنه هوذا يصلي ٠ وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلاً وواضعاً يده عليه لكي يبصر ٠ فأجابه حنانيا يا رب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسيك في أورشليم ٠ وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك ٠ فقال له الرب اذهب ٠ لأن هذا لي اناء" مختار" ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني اسرائيل لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي ٠ فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلىء من الروح القدس ٠ فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد ٠ وتناول طعاماً فتقوى وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً ، وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح بأن هذا هو ابن الله ٠٠٠ » (أع ٩ : ١٠ ـ ٢٠) ٠

تساقطت من عيني شاول قشور الكبرياء الفريسية والعنصرية البغيضة والمصلحة الشخصية ، وأبصر نور المسيح وخلاصه ، وحقه وحياته ٠ بين العبد والحر ٠ فالمسيح قد مات عنهم جميعاً وفداهم بدمه الكريم ٠

واعتمد شاول ، فولد ميلاداً ثانياً ، ولد من فوق من

السماء وصار ابن السماء ، والاناء المختار ، الرسول المصطفى صار ابن السماء ، المحب للجميع ، المنكر ذاته والمضحي من أجل الخطاة لينالوا الخلاص بالمسيح واضطهد لأجل المسيح . لقد شارك في آلام المسيح وصلب معه ، ومات انسانه العتيق على الصليب ودفن مع المسيح ، وقام معه بعد أيام ثلاثة حيًّا . وسعى بحياته الجديدة لا بعمل مشيئته بل مشيئة الله مصلياً قائلاً « لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض » (مت ٦ : ١٠) وتسليم الارادة بيد الله يتوقف على الطاعة الكاملة له تعالى وتسليمه القلب ورغباته ، انجازاً لأمره الالهي القائل : « يا بني أعطني قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) واذا سلم المؤمن قلبه لله فمهما كان هذا القلب متقلباً ، متزعزعاً غير ثابت ، فهو قد وعدنا قائلاً : « أعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم » (حز ٣٦ : ٢٦) . هذا ما جرى للرسول بولس بقلبه الجديد ، وفكره الجديد ؛ أضحى يبغض الشر ، ويبتعد عن الخطية . « لأن من ولد من فوق لا يخطىء » (١ يو ٥ : ١٨) ويحب الصلاح ، ويتوق الى معاشرة الله ، ومجالسته تعالى طويلاً بالمواظبة على الصلاة ، والصلاة بلا فتور . والتحدث عن الرب للناس ، فهو يوصي تلميذه تيموثاوس قائلا : « أكرز بالكلمة ، أعكف على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب » (١ تي ٤ : ٢) .

ان خطط الرب لا تناقش ، لقد حتم الاله منذ البدء أن يكون الخلاص بابنه الحبيب ، فأكمل الابن عمل الفداء اذ سلم نفسه بارادته ليد أعدائه وصلب خارج المدينة المقدسة ومات على الصليب ودفن . وقام في اليوم الثالث وبموته وقيامته

أعطانا الحياة ، فهو المخلص الوحيد الذي بامكانه أن يهبنا التبرير والتقديس بل التبني ووراثة الحياة الأبدية ·

ولكي يقرب الرب هذه الحقيقة الالهية الى ذهن نيقوديموس قبل أن يقدم الرب نفسه فدية عن البشرية ، شبَّه عمله الالهي الذي كان مزمعاً أن يقوم به على الجلجلة بحادثة معروفة في العهد القديم هي حادثة رفع موسى الحية في البرية (عد ٢١ : ٢٩) قائلاً : « وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم · الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » (يو ٣ : ١٤ ـ ١٩) ·

كان شعب موسى قد تذمر على الله اذ ضاقت نفس الشعب في الطريق ، وتذمروا على خبز الله وقالوا باحتقار « كرهت أنفسنا هذا الطعام السخيف» وكانت الطريق طريق الله ، ولكنهم رفضوها وأرادوا طريقهم الخاصة · وكان الخبز خبز الله ، ولكنهم دعوه طعاماً سخيفاً فغضب الله عليهم وأرسل لهم أفاعي سامة وصفت بأنها محرقة ، لسعت الكثيرين منهم فماتوا شر ميتة · وأما الباقون فاعترفوا بذنبهم وسألوا موسى ليشفع فيهم لدى الههم الذي أغاظوه · ففعل موسى وطلب المغفرة من الرب نيابة عن الشعب · فهدأ غضب الرب ، وأمر موسى أن يرفع حية نحاس على عمود في وسط المحلة ، وكل من لدغ من الحيات المحرقة ونظر الى حية النحاس يحيا ·

ما أعجب هذا الدواء الناجع الذي أعده الله ، فمجرد نظرة

الى حية نحاس مرتفعة على راية تخلص الانسان من موت زؤام ٠

والرب يسوع يقول عن نفسه لنيقوديموس « وكما رفع موسى الحية في البرية كذلك ينبغي أن يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به » ٠

لقد اختار الله الدواء الشافي لداء الخطية ، وجعل ابنه الوحيد « لعنة لأجلنا » لأنه مكتوب « ملعون من علّق على الخشبة » وهكذا علق يسوع على العود في وسط العالم ، كما علقت حية النحاس وسط المحلة ، « لكي لا يهلك كل من يؤمن به » ان التطلع الى حية النحاس دلالة على ايمان الناظر بالقوة الكامنة في تلك الحية ٠ كذلك الايمان بالمسيح وعمله الفدائي يخلص المؤمنين به من الموت ٠

ولم يكن في حية الناس سُمّ بل كانت على شبه الحيات السامة ، وكذلك ابن الله كان على شبه جسد الخطية ، فأخذ كل ما لنا ما عدا الخطية ، ولم يكن فيه خطية بل كان معصوماً من كل ذنب ٠ وكما كانت الحية النحاس العلاج الوحيد من لسعات الحيات ، كذلك المسيح هو المخلص الوحيد للبشرية من أعدائها : الخطية ، وابليس والموت ولهذا يقول الرسول بولس « لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم الا المسيح واياه مصلوباً » (١ كو ٢ : ٢) يسوع المصلوب ، هذا ما نعرفه ونؤمن به ، « فلنخرج اليه الى خارج المحلة حاملين عاره » (عب ١٣ : ١٣) « ولنكرز بالمسيح مصلوباً شكاً لليهود وجهالة للأمم ، أما للمدعوين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله » (١ كو ١ : ٢٣ و ٢٤) ٠

ان المناداة بيسوع المسيح مصلوباً عثرة لليهود ، ولكن

صلب المسيح هو الواسطة الوحيدة التي أعدها الله للخلاص ٠ والمسيح قال « وأنا ان ارتفعت عن الأرض أجذب اليّ الجميع٠ قال هـذا مشيراً الى أيـة ميتـة كان مزمعـاً أن يمـوت » (يو ١٢ : ٢٠ ـ ٢٣) ٠

والمولود من السـماء يكون قد صلب ذاتـه مع المسيـح « ولكـن الذين هم للمسيـح قد صلبـوا الجسد مع الأهـواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) كبولس القائل « مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ فما أحياه الآن في الجسد فانما أحياه في الايمان ، ايمـان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسـه لأجلي » (غـلا ٢ : ٢٠) ٠

فالوازع الأول للخلاص هو المحبة ، لذلك يواصل الرب حديثه مع نيقوديموس بقوله : « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بـه بل تكون لـه الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) فقد أحبنا ابن الله الى هـذه الدرجة العظمى بحيث قدم نفسه فدية عنا فأطاع حتى الموت موت الصليب ٠ ومحبته دفعته الى مسامحتنا ، والمسامحـة قمة المحبة ، كمـا انه وهو عـلى الصليب طلب المغفرة لصالبيـه (لو ٢٣ : ٣٤) واقتدى به اسطيفانس الذي غفـر لراجميـه (أع ٧ : ٦٠) والرسول بولس على أثر ولادته من السـماء يقول : « نشتم فنبارك ، نضطهد فنحتمل ، يفترى علينا فنعظ » (١ كو ٤ : ١٢ و ١٣) ٠

□ التـوبـة :

والمحبة لله تدفعنا الى التخلي عن محبة ذواتنا أي أن ننكر ذواتنا ونتحول الى محبة المسيح حتى بعد أن نكون قد ولدنا من الله بوساطة المعمودية وأخطـأنا ، نسلك طـريق التوبة لأنهـا

السبيل الوحيد للعودة الى الله · فنتخلى عن عاداتنا السيئة ، ونتحول الى حياة جديدة ، مجددين العهد مع الله فالمسيح « مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم » (٢ كو ٥ : ١٥) ·

ان المعمودية واحدة ، فلا يمكن أن تعاد ثانية لأنها بحد ذاتها ولادة روحية جديدة ، فكما أن الانسان لا يولد سوى مرة واحدة ولادة جسدية ، هكذا أيضا لا يولد ولادة روحية سوى مرة واحدة (يو ٣ : ٥) · والمعمودية ترسم في قابلها ختماً لا يمحى ولا يستأصل بل يستمر فيه كل أيام حياته · والرسول بولس يحذر الرومانيين من أن يفقدوا الحياة التي قبلوها من الله بعد أن ماتوا مع المسيح بوساطة المعمودية قائلا : « فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن اننا سنحيا أيضا معه عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً · لا يسود عليه الموت بعد لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله ، كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ٨ ـ ١١) ·

وحددت الكنيسة عدم اعادة المعمودية في قانون الايمان النيقاوي بعبارة « ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا » ·

وقال القديس مار يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) « ان المسيحي الذي يموت ثم يعود ثانية الى المسيحية لا يعمد ثانية بل يصلّي عليه رئيس الكهنة صلاة التائبين ، محدداً له زماناً للتوبة واصفاً له بعض الشروط التي اذا أكملها يشركه في الأسرار المقدسة » (الهدايات لابن العبري ب ٣ ف ١) ·

ووهم بعضهم بأن المقصود بالميلاد الثاني الذي جاء في حديث الرب مع نيقوديموس هو التوبة · ولكن التوبة ليست ميلاداً ثانياً ، ولئن كانت تجديداً للعهد مع الله ، وتنقية الانسان نفسه والطلب منه تعالى خلق قلب جديد نقي ، وتجديد الروح المستقيمة في داخل الانسان وعدم نزع روح الله من الانسان كما فعل داود بصلاته الى الله في المزمور الحادي والخمسين ، ولكن هذه توبة لا ولادة · والتوبة هي العودة الى الله كما عاد الابن الضال الى أبيه ، والابن الضال ولئن أخطأ وبدد الارث في بلاد غريبة ، لم يفقد صفة البنوة ، فلما عاد الى أبيه قبله كابن ، وفي حال الخطية كان ابناً أيضاً ولكنه كان ابناً ضالاً · وبالتوبة وجد هذا الابن وجدّد العهد مع أبيه فلبس حلة جديدة. وهكذا الخاطىء التائب ينال بسر التوبة والاعتراف نعمة الغفران بقوة الروح القدس فيتجدد ويتقدس ويعود الى ما كان عليه في اللحظة التي خرج فيها من المعمودية يوم نال نعمة البنوة ، وولد من فوق ·

☐ هل ولد نيقوديموس من السماء ؟

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه في هذا الميدان هو : ما كان تأثير حديث الرب يسوع في نيقوديموس ؟! وهل ولد نيقوديموس من فوق ؟

بعد الحديث الشيّق الذي دار بين السيد المسيح ونيقوديموس في تلك الليلة التاريخية ، عاد نيقوديموس الى داره بروح تختلف عن الروح التي كانت عليها سابقاً ··· واننا لمتأكدون بأنه قلق تلك الليلة ، وصار كريشة في مهب الريح ، تراوده الأفكار وتتزاحم في رأسه التصورات · ان الموضوع مهم جداً فهو يقرر المصير الأبدي للانسان · ولكنه

يتطلب تضحيات جمة ، من ذلك التجرد عن الذات ، والتخلي عن المركز المرموق ، والجاه ، والمال ، والأصدقاء القدامى والعادات والتقاليد المتبعة ٠٠ انه موت بحد ذاته ولكنه موت في معرض الحياة وفي سبيل الوصول الى ملكوت السموات ٠

وفي صباح اليوم التالي عاد نيقوديموس الى عمله في مجلس السنهدريم ، أو في محل تجارته ، ولكنه عاد بأفكار جديدة ، وتصرفات جديدة ٠ ومرت الأيام ، ونحن نلمس تأثير حديث يسوع في نيقوديموس ٠

فلما أرسل رؤساء الكهنة والفريسيون خداماً لكي يقبضوا على يسوع وعاد هؤلاء قائلين : « لم يتكلم قط انسان مثل هذا الانسان » غضب الفريسيون ٠٠٠ وقالوا لهم : « ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به ؟ » ، أعلن نيقوديموس دفاعه عن يسوع قائلاً : ألعل ناموسنا يدين انساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل ؟ » (يو ٧ : ٥٠ و ٥١) ٠ من هنا نعلم كم كانت رغبة نيقوديموس عظيمة بأن يسمع زملاؤه تعاليم الرب بتجرد ليتأثروا بها كما تأثر هو ٠٠٠ ولكن زملاءه يتهمونه بالتحيز ليسوع ، لكونه جليلياً مثله ٠ فاحتمل نيقوديموس ولأول مرة الاهانة من أجل يسوع ، واستحق الطوبى التي أعطاها الرب لتلاميذه بقوله : « طوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين ، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات » (مت ٥ : ١١ و ١٢) ٠

وبعد أن صلب الرب ومات ، صلب نيقوديموس معه على العود ، ذاته وأنانيته ، وكبرياءه الفريسي ، وتم فيه ما قاله

صاحب الرسالة الى العبرانيين عن النبي موسى : « بالايمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون ، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية . حاسباً عار المسيح أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر الى المجازاة » (عب ١١ : ٢٤ - ٢٦) هكذا نيقوديموس فضل عار المسيح على أمجاد العالم ، فاشترى خمسة عشر رطلاً من الأطياب الثمينة وجاء بنفسه بهذا المزيج من المر والعود وساعد يوسف الرامي الذي هو الآخر كان وجيهاً في قومه وكان تلميذاً للمسيح بالخفية ، وقاما كلاهما بدفن جسد الرب في القبر باكرام لائق ... لقد صار نيقوديموس مسيحياً ، ولد حقاً من فوق ... صار ابن السماء بالميلاد الثاني .. ويقول التقليد انه أشهر ايمانه بعد قيامة الرب ، ولعله كان في عداد المئة والعشرين نفس الذين كانوا في العلية يوم حل الروح القدس على التلاميذ بشبه ألسنة نار . ويخبرنا التاريخ أنه نال نعمة العماد المقدس على يد الرسولين بطرس ويوحنا ، وحرم من اليهود ، وطرد من مجلس السنهدريم ... واعتبر ذلك بركة من الرب اذ استحق أن يضطهد من أجل المسيح . وقد جلد في المسيح وتجلد واصطبر ، ونال موهبة الأسقفية السامية .

☐ هل أتيت الى المسيح ليلاً ؟!

لقد ولدنا من السماء يوم اعتمدنا باسم الثالوث الأقدس. فهل نحن سالكون في جدة الحياة ، والحياة الجديدة ، كأبناء السماء ... كغرباء على الأرض ؟ .

هلمَّ معي أيها القارىء العزيز لنزور المسيح ، في هدوء الليل وسكينته ونحن نقرأ الانجيل المقدس لنستمع الى وصاياه

الالهية ··· ونصلي لنُسمعه تنهداتنا وصوت آلامنا وأوجاعنا من وطأة الخطية ··

هلمّ فهو يدعونا بقوله « ··· تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم · احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هيِّن وحملي خفيف » ·

هلمّ نتطلع اليه ، فصليبه حية نحاس تشفينا النظرة اليه من لسعات حيات العالم ، من ابليس الحية الدهرية ·· لنؤمن بأن لا خلاص لنا الا به ، فهو رئيس ايماننا وموضع رجائنا ، وهو حياتنا وحقنا وطريقنا الوحيد الموصل الى ملكوت الله ·

★ ★ ★

تجلّي الربّ يسوع *

□ تمهيـــد :

في السادس من شهر آب ، من كل عــام ، نحتفل بعيد التجلي(١) وهو ذكرى تجلي الرب يسوع على جبل تابور حيث كشف عـن قبس من مجـده الالهي أمــام ثلاثـة من تلاميـذه الاثني عشر ، فأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضـاء كالثلج ، وتلمع متألقة كالنور ، وظهر معه موسى وايليا بمجد .

□ الغاية من التجلي :

وكانت غايته من ذلك اظهار حقيقته لتلاميذه ، حيث آثبت لهم بأنه الاله المحجوب بالجسد ، وانه حقاً المسيح ابن الله الحي ، النور من النور ، فقبل حوالي أسبـوع(٢) اعترف به بطـرس

★ نشرت في المجلة البطريركية ـ عدد ايلول ١٩٨٣ .

١ ـ ان كلمة التجلي بالعربية مصدر للفعل تجلّى أي ظهر وتكشّف ، وأظهر الشيء المحجوب وكشفه ويدعى هذا العيد أيضاً (الجليان) وهذه كلمة سريانية تعني الكشف والرؤيا والوحي ، والظهور وابراز المستور . وحادثة التجلي ذكرهـا الانجيليـون الثـلاثـة الأولون (انظـر مت ١٧ : ١ ـ ٩ ومر ٩ : ١ ـ ٩ ولو ٩ : ٢٨ ـ ٣٦) .

٢ ـ يقول متى (١٧ : ١) ومرقس (٩ : ١) « بعد ستة أيام » بينما يقـول لوقـا (٩ : ٢) « بعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام » ولا يعد هذا خلافاً بـين البشيرين لأن متى ومرقس تركا اليوم الذي قيلت فيه تلك الكلمة واليوم الذي صعـد فيه الرب مع تلاميذه الى الجبل ، أعني بعد مرور ستة أيام كاملة من الكلام . أما لوقا فأدخل في الحساب اليومين الأول والأخير أي يوم الكلام ويوم التجلي وحسب جزء اليوم يوماً كالاصطلاح العام ، بينما متى ومرقس ذكرا الأيام الستة المتوسطة بين هذين اليومين .

أحد هؤلاء التلاميذ الثلاثة بأنه المسيح ابن الله الحي ، كان ذلك في ضواحي قيصرية فيلبس • « من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب الى أورشليم ، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم • فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشا لك يا رب• لا يكون لك هذا ، فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان ، أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (مت ١٦ : ٢١ _ ٢٣ و مر ٨ : ٣١ _ ٣٣) •

وكذلك ليجبر قلوب تلاميذه المنكسرة ، ويثبتهم على الايمان به ويعيد اليهم السلام الروحي فيتمكنوا من تحمل المشقات في المستقبل في سبيل نشر بشارته الانجيلية • وقد انتخب ثلاثة منهم ليشاهدوا احدى الوقائع المهمة من حياته على الأرض ، وليشهدوا بعدئذ بذلك ، لأنه على فم شاهدين أو ثلاثة تثبت كل شهادة وتقوم كل كلمة (تث١٧:٦ومت١٨:١٦) •

☐ التلاميذ الثلاثة المختارون :

فاختار سمعان بطرس هامة الرسل ومقدامهم الذي اعترف قبل أسبوع قائلاً : « أنت المسيح ابن الله الحي » (مت ١٦:١٦ و ١٧ و مر ٨ : ٢٩ ولو ٩ : ٢٠) ، ويعقوب ويوحنا ابني زبدي الغيورين اللذين سماهما بُوانرجَس أي ابني الرَّعد (مر ٣ : ١٧) وان يعقوب هذا سيكون أول من سينال أكليل الشهادة من الرسل الاثني عشر ، ويوحنا رسول المحبة الذي دعي التلميذ المحبوب واستحق أن يرى ما لم تره عين ، ويسمع ما لم تسمع به أذن ، وكتب بعدئذ رؤياه ، وهو آخر من بقي على قيد الحياة من الرسل ، وتحمل المشقات •

هؤلاء التلاميذ الثلاثة : بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا • كان قد اختصهم الرب وميزهم عن سائر الرسل في حادثة احياء ابنة يايريس (مر ٥ : ٣٧ ـ ٤٠) وسوف نراهم معه أيضاً في بستان الجثسيماني قبل آلامه وصلبه ، ونسمعه يقول لهم : ان نفسي حزينة حتى الموت • فامكثوا أنتم هنا واسهروا معي ثم يبتعد قليلاً ويخرّ على وجهه على الأرض ويصلي (مت ٢٦ : ٣٧ ـ ٣٩ ـ و مر ١٤ : ٣٣ ـ ٣٥) •

□ جبل التجلي :

صعد الرب يسوع بتلاميذه هؤلاء الثلاثة ، الى جبل عالٍ(٣) منفردين ، أما التسعة الباقون فتركهم مع الجمهور في أسفل الجبل ، وكان ذلك الجبل جبل تابور حسب رأي آبائنا السريان وأغلب علماء النصرانية • أو جبل الشيخ (حرمون)

---

٣ ـ أشار آباؤنا السريان منذ فجر النصرانية الى جبل تابور كجبل التجلي ويوافقهم بهذا أوريجانس وجيروم وغيرهما • وقد بُنيت على جبل تابور ثلاث كنائس منذ القرون المسيحية الأولى تذكارا للمظال الثلاث التي طلب بطرس أن تقام هناك• وارتأى بعضهم أن جبل التجلي هو جبل حرمون أي جبل الشيخ الذي كان قريباً من المكان الذي كان فيه السيد المسيح وتلاميذه قبل التجلي حيث كانوا في ضواحي قيصرية فيلبس • وان قمة جبل تابور حسب زعم هؤلاء كانت في زمن السيد المسيح لم تزل مغطاة ببيوت المدينة التي أسسها انطيوخس الكبير سنة ٢١٨ ق•م •

وجبل تابور يسمى الآن جبل الطور ويشرف على مرج ابن عامر في تخم زبولون ونفتالي وهو على بعد ستة أميال الى الجنوب الشرقي من الناصرة وعشرة أميال الى الجنوب الغربي من بحيرة طبرية ويرتفع عن سطح البحر ب ١٨٤٣ قدماً وهو أحد جبال فلسطين الرائعة المنظر ، وهو منفرد • وقد مدح داود تابور مع حرمون (مز ٨٩ : ١٢) (انظر قاموس الكتاب المقدس طبعة بيروت ١٨٩٤ مج ١ ص ٢٧٦) •

على رأي الآخرين · ويسمي بطرس جبل التجلي بعدئذ « الجبل المقدس » (٢ بط ١ : ١٧ و ١٨) ·

□ تغيير هيئة الرب يسوع :

لما بلغ الأربعة قمة الجبل في آخر النهار ، انفرد الرب يسوع عن تلاميذه الثلاثة وبدأ يصلي ، وفيما كان يصلي تغيرت هيئته ، وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه تلمع كالنور وبيضاء جداً كالثلج ، لا يقدر قصَّار على الأرض أن يبيِّض مثل ذلك · لقد كشف الرب عن جزء ضئيل من أشعة مجده السماوي أمام تلاميذه هؤلاء الثلاثة بقدر ما تتحمل طبيعتهم كبشر رؤيةَ مجده تعالى ·

يقول مار سويريوس الكبير (ت ٥٣٨) : « لم يتغيَّر شكل جسد الرب يسوع ، بل تغير لونه فصار نيراً بالمجد الباهر حتى ان التلاميذ انبهروا فلم يستطيعوا النظر اليه ، فقد شاء تعالى أن يظهر بهاء مجده فسطعت أنواره ، وأشرقت ، فبهر بريقها أعين الرسل فسقطوا على وجوههم · وقد وقع التغيير على الهيئة المنظورة لا على رسم جوهره · ويختلف هذا التغيير عن تغيير وجه موسى لما نزل من الجبل في العهد القديم (خر ٣٤ : ٢٩ ـ ٣٥) فان التغيير قد لحق وجه موسى فاستنار(٤) والنور الذي أنار وجهه كان خارجاً عنه · أما السيد المسيح فقد كان النور نابعاً منه(٥) « لأنه هو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم »(يو ١ : ٨ و ٩) ·

---

٤ ـ أي ان موسى حصل على شيء لم يكن لديه سابقا ولم يكن له وفيه من قبل ، أما الرب يسوع فهو نور من نور وتجليه ظهور جزء بسيط من نوره الالهي ·

٥ ـ الدر الفريد في تفسير العهد الجديد لمار ديونيسيوس ابن الصليبي (ت ١١٧١) الترجمة العربية مج ١ ص ٣٥٢ ·

□ ظهور موسى وايليـا :

وظهر مع الرب يسوع موسى وايليا بمجد ، موسى الذي أتى بالنـاموس الى الشعب ، وايليـا الذي أتى بالشعب الى الناموس ، موسى كليم الله والنبي العظيم الذي اتصف بالحلم والوداعة ، ومات قبل هذا الحـادث بألف وخمسمائـة سنة ، ودفنه الله في رأس جبل نبو ولا يعرف قبره ، وايليا النبي الغيور الذي سمي بالنبي الناري الذي حارب الشر بضراوة ، وناهض عبادة الأوثان ، والذي لم يمت بل هو حي ، وقد صعد الـى السماء بمركبة نارية قبل حادثة التجلي بألف سنة ٠

يقـول القديسـون مـار سويريوس الكبـير (ت ٥٣٨) ومار يعقوب السروجي الملفان (ت ٥٢١) ومار يعقوب الرهاوي (ت ٧٠٨) ان ايليا نزل بالجسد الى الجبـل ، لأنه لـم يمت موتاً طبيعياً بعد ٠ وهو لا يزال حياً ٠ أما موسى فيقول عنـه مار سويريوس « لعل نفسه قد تمثلت بهيئة شخص كمـا كان الملائكة يتراءون للأنبياء في شكل رجال » ٠ وقال عنه مار يعقوب الرهـاوي « ان نفس موسـى تـراءت بهيئة جسـده » ٠ أمـا مار يعقوب السروجي الملفان فيقول : « ان موسى قد قام حقـاً (بالجسد الممجد) وجاء الى الجبل بأمر ربنا ، بعد أن بلي جسده الطبيعي وصار رميماً(٦) ٠

من هنا نعلم أن ظهور موسى بشكل منظـور يدل علـى امكانية الأرواح في أن تتجسد ، حيث تتخذ لها جسداً أثيرياً تظهر فيه وهو كالجسد الذي تتخذه الملائكة عندما تظهر للبشر ، كما حدث مثلا حيث أن ابراهيم أضاف ملائكة وغسل أرجلهم ، وأعد لهم مائـدة (تك ١٨ : ١٩) وكما حـدث ليعقوب عندما ظهر

---

٦ ـ الدر الفريد مج ١ ص ٣٥٦ ٠

له ملاك في شكل انسان وصارعه (تك ٣٢ : ٢٤) . وكما ظهر الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن في هيكل البخور وبشره بحبل امرأته بيوحنا المعمدان (لو ١ :١١ـ٢٠) وكما ظهر أيضاً الملاك جبرائيل ذاته للعذراء مريم وبشرها بالحبل بالرب يسوع (لو ١ : ٢٦ ـ ٣٨) ٠

وليس الجسد الأثيري من طبيعة أجسادنا ، ولكن يكوّن من الأثير تكويناً مؤقتاً فتظهر الروح بوساطته سواء كانت هذه الروح ملاكاً أم روح انسان فتتحقق بوساطته الغاية من ظهورها ، ثم يصرف هذا الجسد الأثيري ويختفي من نظر البشر، هذا ما عناه الرسول بولس بقوله : « يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني وأجسام سماوية وأجسام أرضية » (١ كو ٥ : ٤٤ و ٤٠) ٠

قال مار أفرام السرياني (ت ٣٧٣) : لقد جاء الرب بموسى وايليا لأنهما زعيما العهد القديم » ٠ ولا غرو فقد اعتبرا ركني العهد القديم وكانت لهما مكانة مرموقة في قلوب المؤمنين ٠ وقد جاء بهما الرب ليبين لتلاميذه أنه رب الأحياء والأموات ، فموسى من الأموات وايليا من الأحياء ٠

☐ الحديث الذي دار بين الرب يسوع وموسى وايليا :

وكان موسى وايليا يخاطبانه عن انطلاقه الذي كان مزمعاً أن يتممه في أورشليم ، أي عن موته العتيد في سبيل فداء البشرية ، وقد استعمل بعض كتبة العهد الجديد كلمة انطلاق أو خروج كناية عن الموت (٢ بط ١ : ١٥) فيقول الرسول بولس : « لي اشتياق أن أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل » (في ١ : ٢١ ـ ٢٥) واستعملت كلمة خروج في العهد القديم كناية عن تحرر الشعب من عبودية فرعون ٠ وكما كان ذلك

الشعب قد خرج باختياره كذلك فان المسيح مات باختياره على الصليب ليحرر البشرية من عبودية ابليس والموت والخطيـة ٠

وفي ظهور موسى وايليا وكلامهما مع السيد المسيح عـن انطلاقه دلالة على أن رسالتيهما قد انتهتا اذ قد جاء المسيـح المنتظر الذي وعد موسى الشعب أن الرب يقيمه لهم ٠ وذكرت النبوات أيضاً أن ايليا يسبق مجيء المسـيح ، وقد جاء ايليـا كما قال الرب « لأن جميع الأنبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا ، وان أردتم أن تقبلوا فهذا ايليا المزمع أن يأتي » (مت١١:١٣ و ١٤) وعنى الرب بذلك يوحنا المعمدان الذي جـاء « بروح ايليا وقوته » (لو ١ : ١٧) كما ذكر الملاك جبرائيـل لأبيـه زكـريـا ٠

وكان للرب يسوع ولموسى وايليا آمور عديدة مشتركة ، فكل منهم له علاقة بجبل وبرية ، وكل منهم صام أربعين يوماً ، وهم يمثلون الكنيسة بعهديها القديم والجديد ٠ ولكن يسـوع يختلف عن موسى وايليا بكونه رأس الكنيسة ٠ وفي هذا الظهور اذ أعلن هؤلاء الثلاثة عن انطلاق أحدهم الذي كان مزمعـاً أن يتممه في أورشليم ، وعن عمل الفداء والكفارة التي كان عتيداً أن يقوم بها عن البشرية ، بهذا الاعلان تمم الناموس والأنبياء، فختم الناموس وأتم نبوات الأنبيـاء ، وانتهت بذلك مهمـة موسى وايليا ، وبدأ العهد الجديد ، عهـد النعمـة والكمـال بالمسيح يسوع مخلص العالم ٠ أما بطرس واللذان معه فقـد كانوا مثقلين بالنوم ، لا يقوى أحدهم على فتح عينيه من شدة النور ، فلما استيقظوا تعجبوا اذ رأوا مجد يسـوع الأسنى ، والرجلين الواقفين معه (مت ١٧:٣ و مر٩:٤ و لو٩: ٣٠ و ٣١). وكم كانت بهجتهما عظيمة برؤية موسى وايليا النبيين العظيمين اللذين كان شعب العهد القديم يكرمهما الى درجة تقرب مـن

العبادة . وكان هذان النبيان مسربلين بمجد سماوي ، وكأن أشعة يسوع شمس البر قد جللتهما فاستنارا كما يستنير القمر بنور الشمس ، وقد عرفهما التلاميذ الثلاثة بالهام الروح القدس ومن مجرى الحديث الذي دار بينهما وبين الرب يسوع .

☐ نصب المظال في الجبل :

وتأسف التلاميذ على الوقت الذي قضوه في النوم فقد خسروا التمتع برؤية المجد الالهي مدة أطول . واذ لاحظوا آن موسى وايليا يهمَّان بالانصراف ، حاول بطرس ايقافهما فقال ليسوع « يا رب جيد أن نكون ههنا . فان شئت نصنع هنا ثلاث مَظال . لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة » (مت ١٧ : ٤) « لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به اذ كانوا مرتعبين » (مر ٩ : ٦) .

« يا رب جيد أن نكون ههنا » درج هذا القول على ألسنة المؤمنين في كل آن ومكان ، حيثما حضروا في أماكن الصلاة ودور العبادة ، ولا غرو فقد قال صاحب المزامير « ما أحلى مساكنك يا رب الجنود . تشتاق بل تتوق نفسي الى ديار الرب . قلبي ولحمي يهتفان بالاله الحي . العصفور أيضاً وجد بيتاً والسنونة عُشاً لنفسها حيث تضع أفراخها . مذابحك يا رب الجنود ملكي والهي . طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك » (مز ٨٤ : ١ ـ ٤) . هذا ما تمناه بطرس ، جيد أن نكون مع المسيح في مجده الأسنى !

☐ السحابة :

واستجابت السماء طلبة بطرس ، يقول متى : « وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً هذا

هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا . ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً » (مت ١٧ : ٥ و ٦) .

كثيراً ما رافق الظهور الالهي ظهور سحابة ، وكثيراً ما سمعنا الرب الاله يتكلم من سحابة ، فعندما تجلى الرب على جبل سينا وأعطى شريعته لموسى كليمه « نزل الرب في السحاب » (خر ٣٤ : ٥ و عد ١٢ : ٥) وجاء في سفر الخروج (١٦:١٠) لما كلم الرب موسى أمام الجماعة « واذا مجد الرب قد ظهر في السحاب » ويقول النبي داود في مزاميره : « يا رب الهي قد عظمت جداً مجداً وجلالاً .. اللابس النور كثوب .. الجاعل السحاب مركبته الماشي على أجنحة الريح » (مز ١٠٤:١ـ٣) وقال أشعيا « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة » (اش ١٩ : ١) .

فالسحابة النيرة التي ظهرت في التجلي وظللت الرب يسوع وموسى وايليا وبطرس ويعقوب ويوحنا (مت ١٧ : ٥ و مر ٩ : ٧ و لو ٩ : ٣٤) لم تكن ظاهرة طبيعية ولم تكن كسائر السحب التي تظهر في السماء ، ولكنها كانت سحابة نورانية من عالم الروح ، سحابة هي مركبة من نور للرب الاله ، ومظهر لتجلي الآب السماوي . وسنرى السحابة لما يصعد الرب يسوع الى السماء حيث يقول لوقا عنه : « ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون . وأخذته سحابة عن أعينهم » (أع ١ : ٩) . ولما سيأتي ثانية بمجده العظيم والملائكة معه سيأتي على سحاب السماء (مت ٢٤ : ٣٠) ويقول صاحب الرؤيا : « هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين » (رؤ ١ : ٧) .

والذي يلاحظ في حادثة التجلي أن السحابة وصفت بأنها نيِّرة بعكس السحاب الذي ظهر في سينا في العهد القديم ، ذلك أن العهد الجديد هو عهد نور وسلام لا عهد خوف ورعدة .

أما خوف التلاميذ وسقوطهم على وجوههم فهو من شدة أشعة النور الباهر . ومما لا يزال راسبا في عقولهم وقلوبهم من خوف من الظهور الالهي لأنه قيل « ليس أحد يرى الرب ويحيا » (أنظر قض ١٣ : ٢٢ مع خر ١٦ : ٢١ و اش ٦ : ٥) وظهور السحابة في حالة كهذه دلالة على ظهور الرب الاله .

☐ **الصوت :**

وسمع من السحابة صوت قائلا : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا » (مت ١٧ : ٥ و ٦) . جاء الصوت من الآب السماوي ليعلن للتلاميذ ما أعلنه سابقا على نهر الأردن يوم عماد الرب يسوع حيث سمع صوت الآب قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » (مت ٣ : ١٦ و ١٧ و مر ١ : ١٠ و ١١ و لو ٣ : ٢١ و ٢٢) .

في الأسبوع الماضي اعترف به سمعان بطرس بأنه المسيح ابن الله الحي . فأعطى الرب الطوبى لسمعان بطرس لأن لحماً ودماً لم يعلنا له ذلك بل الآب الذي في السماوات ، والآن صوت الآب من السماء يثبت صحة شهادة بطرس وصدقها ، لتثبيت التلاميذ على التمسك بهذه العقيدة السمحة ألا وهي «انه يسوع هو المسيح ابن الله الحي » .

وكان الصوت من السماء صوت شهادة وأمر وطاعة ، فما دام يسوع هو المسيح ابن الله ، وجب علينا لا أن نؤمن به فقط بل أيضاً أن نطيعه . لذلك فالصوت يأمرنا قائلا : « فله اسمعوا » . لأنه المشرع بل هو الشريعة وقد قال عن نفسه انه الطريق والحق والحياة . فاذا سمعتم صوتاً مخالفاً لصوته وآمراً لا ينسجم وأوامره الالهية فلا تعيروا لذلك أذناً صاغية بل صموا

آذانكم عن الضالين والمضلين ، وتذكروا أمر الله لأبوينا الأولين، وعدم تصديقهما لوصيته تعالى ، وعدم تأدية الطاعة له اذ خدعهما ابليس فسقطا . فلنحذر لئلا نسقط في خطية التمرد ، وعدم الطاعة، وعلينا ألا نصغي الى تعليم بشر مالم يكن ذلك التعليم موافقاً لتعاليم معلمنا الالهي يسوع المسيح ابن الله الحي .

جاء الصوت قائلا « له اسمعوا » مع أن التلاميذ رأوا أولاً الرب يسوع ومعه موسى وايليا ، ولكن السماء لم تقل اسمعوا لهم بصيغة الجمع بل « له اسمعوا » بصيغة المفرد فهو الاله الأحد الذي لا يشاركه بسلطته الالهية أحد ، وبمجيئه الى العالم وتجسده قد فدانا ، واشترانا ، وصرنا له وهو لنا ، وانتهى عهد موسى وايليا اللذين مثلا الناموس والأنبياء ، بل ختم على العهد القديم الذي يدعى بالناموس والأنبياء ، وجاء العهد الجديد عهد الكمال ، عهد المسيح يسوع ابن الله الذي به وحده الخلاص . لذلك أعلنت السماء وجوب الطاعة له قائلة « له اسمعوا » .

☐ يسوع وحده :

وبينما كان الرسل الثلاثة ساقطين على وجوههم خوفاً ارتفعت السحابة واختفى معها النبيان موسى وايليا ، وانتهت بذلك رسالتهما . وعاد وأخفى الرب يسوع بهاء مجده الالهي الذي كشف لتلاميذه قبساً منه ، وجاء الى تلاميذه ولمسهم قائلاً « قوموا لا تخافوا ، فرفعوا أعينهم ونظروا حولهم ولم يروا أحداً الا « يسوع وحده » فتأكدوا أن السماء عنته وحده

لما قالت « له اسمعوا » فهو الكل في الكل · وحيد الآب الـذي لا شريك له ، ولا حاجة الى غيره · يسوع وحده مصدر النبوة ورب الأنبياء والرسل ·

وبينما هم نازلون من الجبل أوصاهم المخلص قائـلاً لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأمـوات (مت ١٧ : ٩) اذ لم يكن الوقت قد حان لاعلان هذه الحقيقـة الالهية لسائر الناس لأنهم لم يكونوا مستعدين لقبولها وغيرها من الحقائق الالهية التي تفوق ادراك العقل البشـري ، ولأن غاية الرب من كشف شيء من مجده الالهي أمام تلاميذه هـي تثبيت هؤلاء التلاميذ على الايمان به ·

□ تأثير حادثة التجلي في حياة الرسل الثلاثة :

لم تكن حادثة التجلي من الحوادث البسيطة التي تمـر أمام الانسان مرور الكرام دون أن تترك تأثيراً في أذهانهـم ، ولكنها كانت من الحوادث التي تنطبع وقائعها بدقة في ذهـن الانسان وتثبت فيه ولا تغادره البتة ، بل يظهر أثرها في دقائق وقائـع حيـاته ·

فالرسل الثلاثة بمشاهدتهم الرب يسـوع يتجلى عـلى الجبل ، ورؤيتهم باكورة المجد الالهي الذي سيتنعم به الأبـرار في السماء ، رسخت الذكرى في أذهانهم وظهـرت في حياتهـم الروحية وكتاباتهم ، فهذا يوحنا يقول في انجيله « ورأينا مجده مجداً كوحيد من الآب مملـوءاً نعمة وحقـاً » (يو ١ : ١٤) « الذي كان منذ البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا ، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا ··· فان الحياة أظهرت ، وقد رأينـا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا الذي رأيناه ، وسمعناه نخبركم به » (١ يو ١ : ١ و ٢) ·

وهذا الرسول بطرس يكتب في رسالته الثانية قائلاً : « لأننا لم نتبع خرافات مصنَّعة اذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً اذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء اذ كنا معه في الجبل المقدس » (٢ بط ١ : ١٦ _ ١٨) ٠

أما الرسول يعقوب فان ذكرى التجلي لم تبرح ذهنه لذلك وقد تمعن في المجد السماوي استخف بالأرض والأرضيات واعتبر العذاب بل حتى الموت ربحاً في سبيل الايمان بالمسيح وربح المسيح فكان أول شهيد بين الرسل ٠ ولا غرو فمن يفتكر في السماء ويطمح الى السكنى مع المسيح يهون عليه بذل حياته في سبيل المسيح ٠ وبهذا الصدد يقول كاتب الرسالة الى العبرانيين : « ان المسيح ذاته وضع نصب عينيه سرور السماء فتحمل الصليب » (عب ١٢ : ٣) وما سرور السماء هذا الا « ما أعده الله للذين يحبونه ، ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر ٠٠٠ » (١ كو ٢ : ٩) وقد رأت أعين التلاميذ الثلاثة جزءاً منه ، وسمعت آذانهم صوت الآب فشهدوا بذلك وكانت شهاداتهم حقاً ٠ ولم يغب عن أذهانهم ذلك المشهد العجيب فكانوا يتوقون لبلوغ الكمال المسيحي لينالوا المجد الذي كان التجلي مثالاً له ٠

☐ دروس تعلمناها من حادثة التجلي :

حقيقة الخلود والحياة الأبدية :

كانت الخرافات الوثنية قد تسربت الى صلب الديانة اليهودية فشوهت بعض العقائد حتى ان بعض الفرق اليهودية

أنكر عقيدة الخلود ، والحياة الأبدية ، وأخذ برأي القائلين : لنأكل ونشرب فغداً نموت ، ومن جملة هؤلاء، الصدوقيون الذين أنكروا خلود الروح ، والقيامة العامة ، فكانت حادثة التجلي خير درس للرسل الثلاثة الذين سيكونون فيما بعد قادة روحيين ومعلمين بارزين في الكنيسة المسيحية ، فقد شاهدوا موسى حياً وتبينوا أن هناك حياة بعد الموت وأن روح موسى خالدة لم تمت · ولا عجب فقد أفحم الرب يسوع الصدوقيين بقوله : « وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل · أنا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ليس الله اله أموات بل اله أحياء » (مت ٢٢ : ٣١ و ٣٢) · والرسل لا ينسون هذا أبداً ، وقد جاءت حادثة التجلي برهاناً عملياً لاثبات حقيقة خلود الروح ، اذ رأوا بأم أعينهم موسى وسمعوه يكلم الرب يسوع ، وهم يعلمون أن موسى قد مات قبل ألف وخمسمائة سنة ودفن في جبل نبو ، وأخفي قبره عن شعبه ·

كما اتضح للرسل الثلاثة أن الأبرار المنتقلين الى العالم الآخر يعرفون بعضهم بعضاً معرفة تامة ، ويعلمون بما يجري على الأرض ، فقد كان موسى وايليا يخاطبان الرب يسوع عن انطلاقه الذي كان عتيداً أن يتممه في أورشليم ، أي عن صلبه وموته الكفاري وقيامته وكأن كل شيء كان واضحاً لديهما ·

وان الرسل الثلاثة برؤيتهم موسى بهيئة جسد ممجد علموا أن بامكان الروح أن تعود لتتحد بجسد ، وهذه الروح المرتبطة بجسد أرضي في هذه الحياة ستتحد بهذا الجسد في الحياة الثانية بعد أن يتحول هذا الجسد الى جسد روحاني ممجد · تماماً كما رأينا الرب يسوع بعد قيامته من بين الأموات،

كيف كان يظهر لتلاميذه في العلية والأبواب مغلقة بل كيف قام من القبر والحجر الكبير موضوع على باب القبر • وبهذا الخصوص يطرح الرسول بولس سؤالاً قائلاً : « كيف يُقام الأموات وبأي جسم يأتون ؟ » (١ كو ١٥ : ٣٥ _ ٤٤) • وجواب ذلك أننا سنكون على شبه هيئة المسيح التي ظهر بها على جبل التجلي ، أي على شبه جسده الممجد •

ولكن لا بد من أن نذكر أن ربنا يسوع المسيح في مجيئه الثاني سيظهر بصورة أروع جداً مما ظهر بها في التجلي ، فهنا تجلى بصورة بسيطة ليتمكن تلاميذه من رؤيته • أما في النهاية فسيأتي بمجد أبيه مع ملائكته القديسين • وبما أن أجسادنا ستكون على شبه جسده الممجد فاننا سنتمكن من رؤيته وجهاً لوجه • بعد أن يسمع جميع من في القبور صوته فيقوم الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة ، وسيجلس على كرسي مجده ليدين الأحياء والأموات •

والدرس الخالد الذي تعلمه التلاميذ الثلاثة وعلينا أن نتعلمه نحن أيضاً من التجلي هو أن لا اكليل مجد دون اكليل شوك ، ولا قيامة دون موت ، ولا نعيم مع المسيح دون تحمل الآلام في سبيله • فنحن كثيراً ما نتوق الى حياة السعادة الأبدية ونرغب في أن ننالها دون أي جهد أو تعب، كما رغب في ذلك بطرس وهو على الجبل فقال للرب : « يا رب جيد أن نكون ههنا • فان شئت نصنع هنا ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة » (مت ١٧ : ٤) • ويقول مرقس وهو يذكر قول بطرس « لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به » (مر ٩ : ٦) • لأنه لو علم لميَّز أنه ليس بالامكان أبداً نيل المجد دون احتمال

الآلام ٠ وليس بالامكان أن نرث ملكوت الله دون أن نسعى للحصول عليه بالايمان والأعمال الصالحة ٠ ولا يمكن أن نعزل تابور عن الجلجلة ، والتجلي عن الصلب والموت ، فاذا أردنا آن نملك مع المسيح علينا أن ندخل من الباب الضيق ، ونسير في الطريق الصعبة « لأننا بضيقات كثيرة ينبغي لنا أن ندخل ملكوت الله » (أع ١٤ : ٢١) « ومن أصدق ما يقال أننَّا ان متنا مع المسيح فسنحيا معه ، وان صبرنا فسنملك معه ، وان أنكرناه فسينكرنا هو أيضاً » (٢ تي ٢ : ١١) ٠

فلنتصور دائماً تجلي الرب على الجبل ، ونسمع صوت الآب يأمرنا بطاعة ابنه الحبيب فنسعى لبلوغ الكمال الانجيلي وقمة الفضائل المسيحية ونسلك بموجب أوامره الالهية لنتمجد معه في الحياة الأبدية ٠

★ ★ ★

صفحات مشرقة من تاريخ الأدب السرياني *
في القرن السادس للميلاد

□ العصر الذهبي للأدب السرياني :

يعتبر القرن السادس للميلاد القلب النابض لعصر السريان الذهبي(١) ، لوفرة الانتاج الأدبي فيه ، وجودة العطاء العلمي وتنوعه ، وكثرة العلماء الأعلام ، والأدباء اللامعين ، والشعراء المفلقين ، وانتشار المدارس في طول بلاد الشرق وعرضها ، وتأسيس المكتبات الزاخرة بآلاف المخطوطات في شتى فنون العلم والمعرفة ·

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الأدب السرياني أدب ديني مسيحي المنبت ، كنسي المنشأ(٢) · وخواصه اما كتابية تعنى

---

* نشرت أولا في مجلة مجمع اللغة السريانية ـ بغداد عام ١٩٧٨ م وفي المجلة البطريركية في دمشق عام ١٩٨٣ ·

١ ـ بدأ العصر الذهبي للأدب السرياني في القرن الرابع للميلاد وامتد الى القرن الثامن ، ثم خمدت جذوته ثلاثة قرون ، وسطع نوره ثانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر · (اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك أفرام الأول برصوم · الطبعة الثالثة بغداد ١٩٧٦ ص ١٨٧ وعصر السريان الذهبي للفيكنت فيليب دي طرزي ـ بيروت ١٩٤٦ ص ٥ عن روبنس دوفال : الآداب السريانية قسم ٢ ص ٣٣٧ والأب لابور : المسيحية في الدولة الفارسية ص ٢٧١ واللمعة الشهية في نحو السريانية للمطران ، اقليميس يوسف داود ١ : ٢٠١ ـ ٢٠٣) ·

٢ ـ روبنس دوفال ، مقدمة كتاب في تاريخ الآداب السريانية ـ عربت ونشرت في مجلة الحكمة ـ القدس سنة ١٩٢٩ ص ٤٦٤ ·

بدراسة الكتاب المقدس وشرحه وتفسيره ، واما طقسية تهتم بتنظيم العبادة ، واما لاهوتية وجدلية تحاول تثبيت العقائد الدينية ، واما تاريخية تدون وقائع التاريخ الديني والمدني القديمين والمعاصرين • واما نقلية تنقل اليها أسفار الكتاب المقدس من لغاته الأصلية ، وتترجم شتى العلوم من اليونانية وغيرها من اللغات كاللاتينية والفارسية •

وأغلب من وصلت الينا مصنفاتهم هم من رجال الكنيسة، كما أن جلَّ المدارس السريانية أسست في الأديرة والكنائس • فصانعو العصر الذهبي للعلوم والآداب السريانية اذن هم من رجال الكنيسة • ولذلك لا يستكمل بحثنا دون القاء نظرة فاحصة وسريعة على أحوال الكنيسة والعالم الشرقي في ذلك العصر ، لنتعرف على التربة التي نبت فيها الأدب السرياني والمناخ الذي ساعد على نموه واعطائه الثمار الناضجة •

□ الحال السياسية والتنافر المذهبي :

كانت بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وآسية الصغرى تنوء تحت وطأة الحكم البيزنطي • أما بلاد العراق فقد كانت تحت الحكم الفارسي • وكانت الدولة الفارسية تنازع الدولة البيزنطية السيادة على الشرق(٣) وكانت الحروب قائمة بين الدولتين باستمرار حتى الربع الأخير من القرن السادس •

كما اشتد النزاع المذهبي بين الفرق المسيحية ، فالقرن السادس هو فترة تنافرات مذهبية جاءت نتيجة للشقاق الذي صدع جوانب الكنيسة المسيحية على أثر مجمع افسس

---

٣ ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين للدكتور فيليب حتي ـ بيروت ١٩٥٨ الجزء الأول ص ٤١٣ •

عام ٤٣١ م، ومجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م، وتفاقم الخلف حتى بدا تأثيره السيء في أوائل القرن السادس على اللغة السريانية نفسها اذ انقسمت من حيث لفظها وخطها الى قسمين يعرفان تقليدياً بالغربي والشرقي نسبة الى مواطن الشعوب التي كانت تتكلمها • ويعتبر نهر الفرات ، على وجه التقريب ، محوراً يفصل بين هذين الطرازين • فما كان واقعاً في شرقه اتبع أهلوه اللفظ والخط الشرقي ، وما كان في غربه ، اتبعوا اللفظ والخط الغربي • وبتعبير آخر ، ان غرب نهر الفرات كان يشمل بلاد الشام ، وشرقه كان يشمل بلاد ما بين النهرين والعراق وأذربيجان • على أن هذا التوزيع الجغرافي لا يستقيم في كل الأحوال • فانه يستثنى من القسم الشرقي الشعب العراقي السرياني الأرثوذكسي(٤) الذي يتبع التقليد الغربي •

وسنقتصر في بحثنا هذا على دراسة بعض العلماء والأدباء من أتباع التقليد الغربي وهم السريان الأرثوذكس •

□ امبراطور بيزنطية يضطهد الكنيسة :

عندما جلس يوسطينوس الأول على عرش الامبراطورية البيزنطية عام ٥١٨ م أثار اضطهاداً عنيفاً ضد الكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنائس المتحدة معها بالايمان(٥) فغادر مار سويريوس بطريرك أنطاكية مقر كرسيه والتجأ الى مصر حيث أقام زهاء عشرين سنة بدير الكنيسة السريانية بنوابه ومراسلته • ولم يقوَ الاضطهاد على ايقاف نشاطه الأدبي والديني ، بل حفزه على الكتابة فخلف لنا مؤلفات جمّة

---

٤ ـ اللؤلؤ المنثور ص ١٦ •

٥ ـ ذخيرة الأذهان للقس بطرس نصري الكلداني (الموصل ١٩٠٥ مج ١ ص ٢٢١) عن يوسف شمعون السمعاني (المكتبة الشرقية باللاتينية مج ٢ مقالة ٤٧ـ٥٣) •

وضعها باليونانيـــة ومنهـــا نقلت الى السريانيـــة(٦) • ونفي مار فيلوكسينوس المنبجي واستشهد مخنوقاً بالدخان ، وهكــذا امتلأت السجون برجال الكنيسة السريانية • ووسع يوسطينوس شقة الخلاف المذهبي واستغله في الســيطرة على مصر وبــلاد الشام وسلب غلاتهما •

ومات يوسطينوس سنة ٥٢٧ م فورثه على عرش بيزنطية ابن أخته يوسطينيان ومعه تيودورة(٧) زوجتـــه وكانت هـــذه سريانية أرثوذكسية فعطفت على رجالات كنيستها ولكنها لـــم

---

٦ ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٣٩ و ٢٤٠ عن التاريـــخ الكنسي للعلامـة المفـــريان مـــار غريغوريوس يوحنـــا ابن العبـــري بالسريانيـــة مج ١ في ترجمـــة مار سويريوس •

٧ ـ ولدت تيودورة في منبج الواقعة بين حلب والرها في مطلع القرن السادس للميلاد ووالدها قسيس سرياني أرثوذكسي ، وكانت تتحلى بجمال الجســم والنفس • فخطبها يوسطينيان حين مر بمنبج وهو في طريقه الى محاربة الفرس • واعدا اياها أن لا يجبرها على تغيير ايمانها ، وتم زواجه منها ، وارتقت معه عرش المملكة البيزنطية سنة ٥٢٧ ومنحها الامبراطور صلاحيات واسعة فشاركتـــه الحكم • وكانت حكيمة شجاعة أنقذته من دسائس أعدائه ووطدت دعائم حكمه ، وخلدت أمجاداً لامبراطوريته ، الأمر الذي لم يستطع انكاره حتى ألد أعـدائها وفي مقدمتهم بروكوبيوس المؤرخ الذي رغم محاولته تشويه تاريخها لـــم يتمكـــن من اخفاء نور جهادها العظيم وحكمتها السامية فاعترف بذلك • وبهذا تظهـــر حقيقة فضيلتها وأصالتها التي صارت شوكة في أعين حسادها • وانتقلت الى جوار ربها عـــام ٥٦٥ م (كتاب المثال الســرياني في ترجمة وأخبار القـــديس مار يعقوب البرادعي السرياني بقلم الراهب يوحنـــا دولباني مطـــران ماردين بعدئذ ، المطبعة السريانية ـ بوينس ايرس ١٩٤٢ • وكتاب تيودورة للملفـــان المطران بولس بهنام ـ الموصل ١٩٥٦ عن تاريخ الراهب القرتميني الســرياني طبعة لوفان ١٩٥٣ ص ١٩٢ وتاريخ الرهاوي السرياني م ١ ص ١٩١ و ١٩٢ و ٢٠٠ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٧٨ ودائرة المعارف البريطانيـــة الطبعة ١١ مج ٢٦ ص ٧٦٤) •

تتمكن من ايقاف الاضطهاد لأسباب سياسية وادارية حيث اتهم أتباع عقيدة المجمع الخليقدوني زوجها بالتحيز للمنفيين(٨) انصياعاً لرغبتها ٠

لم يقوَ الاضطهاد العنيف على ايقاف نشاط السريان الروحي ، الذين لم يكتفوا بالدفاع عن عقيدتهم الدينية داخل حدود المملكة البيزنطية بل حملوها لغتهم السريانية الى بلاد بعيدة ، من ذلك أن الامبراطورة تيودورة اختارت القس يوليان السرياني الذي كان يخدم لدى البطريرك الاسكندري ، وأرسلته الى أثيوبيا (الحبشة) فنصر الأحباش : ملكاً وشعباً(٩) وتمسكت كنيسة أثيوبيا بالعقيدة الأرثوذكسية وهي متحدة بشركة الايمان الواحد مع الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية ٠ كما أن تأثير اللغة السريانية ظاهر في اللغة الأمهرية ، اللغة الطقسية لكنيسة اثيوبيا الأرثوذكسية ، اذ قد اقتبست الأخيرة كلمات سريانية ومصطلحات دينية لا تحصر ٠ كما انها لا تزال تستعمل أنافورا (كتاب القداس) من وضع مار يعقوب السروجي ملفان الكنيسة السريانية المتوفى سنة ٥٢١ م ٠

وكان السريان قد أوصلوا بشارة الانجيل المقدس واللغة السريانية وطقسهم الديني الأنطاكي الى بلاد الهند منذ صدر النصرانية ، وواصلوا ارسال البعثات في القرون التالية ، ولا يزال تأثير الأدب السرياني الطقسي ظاهراً هناك ، كما ان الكنيسة السريانية في الهند لم تزل تستعمل الى جانب لغاتها المحلية اللغة السريانية والألحان السريانية في طقوسها الدينية

---

٨ ـ تيودورة ـ للملفان المطران بولس بهنام ص ٨ ٠

٩ ـ التاريخ الكنسي لابن العبري بالسريانية مج١ في ترجمة البطريرك سرجيس التلي ٠

ويخضع زهاء مليونين من الهنود للكرسي الرسولي الأنطاكي للسريان الأرثوذكس ٠

□ مار يعقوب البرادعي :

لمع في سماء الكنيسة السريانية في القرن السادس مجاهد رسولي كبير هو مار يعقوب البرادعي(١٠) : ولد في بلدة (تل موزل)(١١) ، واسم أبيه القس ثيوفيلس ابن معنو ٠ ودرس وترهب في دير فسيلتا المجاور لبلدته ، ورسم كاهناً ، واشتهر بالزهد والتقى ٠ ولقب بالبرادعي لاتشاحه بثوب رث يشابه البردعة في سذاجته وخشونته ٠ وكان غيوراً على الايمان فتوجه والراهب سرجيس الى القسطنطينية للدفاع عن العقيدة، وذلك سنة ٥٢٨ ومكثا هناك خمس عشرة سنة بضيافة الملكة تيودورة ٠ وفي تلك الفترة قدم الى القسطنطينية الحارث بن جبلة ملك الغساسنة العرب وطلب من الملكة تيودورة ارسال أساقفة الى المقاطعات الخاضعة للامبراطورية البيزنطية ٠ فطلبت الملكة من ثيودوسيوس البطريرك الاسكندري المنفي في القسطنطينية ، فقام هو وأنتيموس بطريرك القسطنطينية وبعض الآباء برسامة يعقوب البرادعي مطراناً على الرها وبلاد الشام وآسيا ، والراهب تيودور العربي مطراناً على

١٠- تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية طبعة باريس ١٨٩٩ ص ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٩ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٦٣ - ٣٦٩ والتاريخ الكنسي لابن العبري بالسريانية مج ١ في ترجمة البطريركين سرجيس التلي وبولس ٠ أما تفصيل ترجمة مار يعقوب ففي كتاب (المثال السرياني) للراهب يوحنا دولباني (مطران ماردين بعدئذ ، المطبعة السريانية بوينس ايرس ١٩٤٢) ٠

١١- بلدة في تركية تعرف اليوم باسم (ويران شهر) وهي مركز قائمقامية تابعة لولاية اورفا (الرها) ٠

العرب ومركزه بصرى(١٢) وكان ذلك سنة ٥٤٣ أو ٥٤٤ م ٠ فشمر مار يعقوب عن ساعد الجد وأخذ يتنقل سيراً على قدميه بسرعة فائقة وعجيبة ، متنكراً ، متخفياً ، لأن السلطات البيزنطية كانت تلاحقه ٠ فطاف بلاد الشام وأرمينية وآسية الصغرى وقبرص ورودوس وخيوس ومصر والنوبة والحبشة وبلاد ما بين النهرين وفارس وغيرها ٠ وكان قد اهتم برسامة أسقفين اشتركا معه برسامة سبعة وعشرين أسقفاً طبقاً للقانون الكنسي ، وثبت أبناء الكنيسة السريانية على الايمان الذي أقرته المجامع المسكونية الثلاثة وهي : مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ ، ومجمع قسطنطينية المنعقد عام ٣٨١ ، ومجمع افسس المنعقد عام ٤٣١ ورسم آلاف الكهنة والشمامسة ٠ وهكذا توطدت أركان الكنيسة السريانية بفضل هذا المجاهد الرسولي الكبير فنعتها أعداؤها بغضاً وحنقاً باسم اليعقوبية ، وهي مع افتخارها بيعقوب البرادعي تستنكر النعت الدخيل لأن يعقوب لم يؤسسها ولم تتسلم منه عقيدة جديدة أو مذهباً جديداً انما كان هذا الرجل البار أحد أبطالها الذين ثبتوا أبناءها على ايمانها الذي انحدر اليها من الرسل ، ووقفوا بوجه الظلم البيزنطي ، وطغيان المضلين ٠ قال روبنس دوفال المستشرق الفرنسي في كتابه (الأدب السرياني) : « ان اسم اليعقوبية هو من وضع يوناني أطلقه خصوم يعقوب على حزبه ٠ أما هم فيسمون أنفسهم باسم الأرثوذكس(١٣) » ٠

١٢ـ من مدن سورية محافظة درعا ٠

١٣ـ مقالة للراهب يوحنا دولباني (مطران ماردين بعدئذ) في مجلة الحكمة ـ القدس ١٩٢٩ ص ٤٦٦ وكتاب اقامة الدليل على استمرار الاسم الأصيل واستنكار النعت الدخيل للعلاّمة الأرخدياقون نعمة الله دنو ـ الموصل ١٩٤٩ وكتاب الأدب السرياني لروبنس دوفال المستشرق الفرنسي ، المطبوع سنة ١٩٠٧ ص ٣٠٦ وكتاب الحقائق الجلية في الأبحاث التاريخية الأدبية والفلسفية للعلاّمة البطريرك يعقوب الثالث ٠ دمشق ١٩٧٢ ص ٢٦ ـ ٣٠ و ١١٧ ـ ١١٨ ٠

وهكذا وطّد مار يعقوب أركان الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، وانتقل الى جوار ربه بشيخوخة صالحة ، في دير مار رومانس المعروف بدير قسيون بمصر ، وهو في طريقه الى الاسكندرية لزيارة دميان بطريركها ، وكانت وفاته في ٣٠ تموز عام ٥٧٨ م(١٤) ودفن هناك • وفي سنة ٦٢٢ م نقل جثمانه من هناك الى دير فسيلتا المجاور لبلدة تل موزل بهمة زكا مطران هذه البلدة •

وكان مار يعقوب عالماً جليلا حالت الخدمة الرسولية دون غزارة انتاجه الأدبي ، وقد وصل الينا من مؤلفاته نافورا (كتاب قداس) نشر رينودوت ترجمتها اللاتينية • ومما يعرف له رسائل متفرقة كتبها باليونانية ووصلت الينا ترجمتها السريانية • وينسب اليه شرح للعقيدة انتهى الينا نصه العربي وترجمته الحبشية ، كما وضع ترتيلة لعيد البشارة(١٥) •

ولم تنته اضطهادات المملكة البيزنطية للكنيسة السريانية الا بتحرير العرب بلاد المشرق من حكم البيزنطيين في النصف الأول من القرن السابع للميلاد(١٦) •

١٤ـ في ٣٠ تموز عام ١٩٧٨ أقامت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم مهرجانات ضخمة بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة عشرة لمجاورة مار يعقوب ربه ، بناء على الأمر البطريركي السامي الذي أعلنه قداسة البطريرك الأنطاكي مار أغناطيوس يعقوب الثالث بمنشوره البطريركي في ١٩٧٨/٢/٢٨ •

١٥ـ تاريخ الأدب السرياني من نشأته الى العصر الحاضر تأليف دكتور مراد كامل ودكتور محمد البكري ودكتورة زاكية محمد رشدي • القاهرة ١٩٧٤ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ •

١٦ـ ذخيرة الأذهان للقس بطرس نصري الكلداني ـ الموصل ١٩٠٥ مج ١ ص ٢٢١ عن يوسف شمعون السمعاني الماروني ـ المكتبة الشرقية باللاتينية مج ٢ مقالة ٤٧ ـ ٥٣ •

□ المدارس السريانية ومكتباتها :

اشتهر السريان بمدارسهم التي أسسوها في الأديرة والكنائس • في القرى والمدن التي استوطنوها ، قال في ذلك البحاثة أحمد أمين ما يلي : « كان للسريان في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم السريانية واليونانية ••• وكانت هذه المدارس يتبعها مكتبات ••• وكان في الأديار السريانية شيء كثير لا من الكتب المترجمة في الآداب النصرانية وحدها بل من الكتب المترجمة من مؤلفات أرسطو وجالينوس وأبقراط ، لأن هؤلاء كانوا محور الدائرة العلمية في ذلك العصر ، وكان السريان نقلة الثقافة اليونانية الى الامبراطورية الفارسية »(١٧) • كما نقلوها في العصر العباسي الى العرب •

وكانت مواد الدراسة في هذه المدارس لاهوتية على الغالب، واستعانوا بالفلسفة اليونانية على اثبات الحقائق الدينية ، واهتموا الى جانب اللاهوت والفلسفة بعلوم الطب والفلك والرياضيات والطبيعيات والتاريخ والآداب وغيرها •

وكانت اللغة السريانية لغة البلاد في ذلك العصر(١٨) اللغة الرسمية للمعاهد السريانية ، فهي لغة الكنيسة والأدب والتجارة في آن واحد • الى جانب اليونانية التي كان يتكلمها الشعب اليوناني في المدن الكبيرة • وكان السريان يعرفون عدة لغات دائماً فان الذين اهتموا منهم بالمحاماة درسوا اللغة اللاتينية ، أما الذين عكفوا على دراسة الفلسفة فتعلموا اليونانية ، ولكن بقيتهم وخاصة أولئك الذين وجدوا خارج المراكز ذات الصفة العالمية فانهم تمسكوا بلغتهم الوطنية ، اللغة السريانية • ذكر

١٧ـ ضحى الاسلام لأحمد أمين (٢ : ٥٩ ـ ٦٠) •

١٨ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي (١ : ٤٠٩) •

البطريرك يوحنا فم الذهب المتوفى سنة ٤٠٧ م باحدى عظاته في أنطاكية أن أغلب الذين كانوا ينصتون اليه من الكهنة والشعب لا يتمكنون من فهم عظاته باليونانية لأن لغتهم هي السريانية ٠

واشتهرت الأديرة السريانية بمدارسها الزاهرة، وانتشرت حول مدينة أنطاكية من ذلك مدارس دير مار باسوس ، ودير تلعدا ، والجب الخارجي ٠ كما اكتظت على جبل الرها ، وطور عبدين ونصيبين ، ورأس العين وغيرها ٠ واشتهرت منها في القرن السادس خاصة مدرسة قنسرين التي أنشأها سنة ٥٣٠ م يوحنا بن أفتونيا المتوفى سنة ٥٣٨ مؤسس دير قنسرين نفسه على الضفة الشرقية لنهر الفرات ازاء مدينة جرابلس ٠ واهتم بها كثيراً فصارت أكبر مدرسة لاهوتية سريانية في ذلك العصر ، وحتى أوائل القرن التاسع ، وبقي الدير عامراً الى أواسط القرن الثالث عشر(١٩) ٠ وتخرج في تلك المدرسة علماء أعلام ، منهم ساويرا سابوخت في القرن السابع للميلاد الذي على يده ، في ما يقال ، وصلت الأرقام الهندية الى العرب(٢٠) ٠ ووضع مؤلفات فلسفية وفلكية قيِّمة ٠

واكتظت الأديرة ومدارسها بالخطاطين الذين أغنوا الأديرة والكنائس بالمجلدات الضخمة ، فتكونت المكتبات السريانية وانتشرت في كل مكان ، ومن أشهرها مكتبة دير والدة الله في وادي النطرون بمصر ، الذي يدعى أيضاً بدير السريان ، وهو عامر ٠ وتزهو اليوم مكتبات الشرق والغرب

١٩ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٠ ٠

٢٠ـ عصر السريان الذهبي لطرازي ص ٨ عن مجلة المشرق (١٨١١ ص ٢٣٩) ٠

بالمخطوطات السريانية التي جاءتها من مكتبة هذا الدير لوفرتها، ونفاستها ، وقدمها ، حيث يرتقي عهد بعضها الى القرنين الخامس والسادس للميلاد . وقد حفظ لنا الدهر من مخطوطات القرن السادس مخطوطتين للكتاب المقدس ، الأولى في مكتبة الفاتيكان كتبت سنة ٥٤٨ والثانية في مكتبة فلورنسة خطها سنة ٥٨٦ م الربان رابولا ، ولذلك تدعى ب (انجيل رابولا) ، وتتخلل هذه المخطوطة ست وعشرون صورة ملونة(٢١) .

□ ترجمة الكتاب المقدس وبعض العلوم الى السريانية :

وفي القرن السادس بدأ علماء السريان الأرثوذكس ينقلون بعض العلوم عن اليونانية . وجاء ذلك نتيجة حتمية للنزاع المذهبي فيما بينهم وبين اليونان البيزنطيين ، وحاجة السريان الى نقل مؤلفات الآباء القدامى والمعاصرين الذين كتبوا بغير السريانية ، فتمازجت الحضارة السريانية بحضارات أخرى ، واغتنت اللغة السريانية ، بل بلغت أوجها . قال في ذلك العلاّمة البطريرك أفرام الأول برصوم ما يلي : « بلغ الآدب السرياني في القرن السادس أرقى الدرجات في الفن والبلاغة ... وكانت اللغة تختال مزدهرة بلفظها الرصين وجلبابها الناصع وأسلوبها القديم » .

وكان الكتاب المقدس ، بعهديه ، موضع اهتمام علماء السريان ، وكانوا قبل القرن السادس يعتمدون خاصة نسخة الترجمة البسيطة (فشيطتا) وسميت كذلك لترك البلاغة في ترجمتها ، وهذه الترجمة جرت على يد جماعة من اليهود

٢١ـ عصر السريان الذهبي لطرزي ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ عن فهرست مخطوطات فلورنسة رقم ١ .

المتنصرين في القرن الأول للميلاد . وحوت أسفار العهدين كلها ما عدا رسالتي مار يوحنا الثانية والثالثة ، ورسالة مار بطرس الثانية ، ورسالة مار يهوذا · فقدم لنا القرن السادس ترجمة سريانية جديدة لأسفار العهد الجديد سميت ب (الفيلوكسينية) وقد تمت عام ٥٠٥ م على يد الخوري بوليقر بولس بعناية مار فيلوكسينوس المنبجي المتوفى سنة ٥٢٢ م ونسخها نادرة اليوم ، كما ترجم شمعون رئيس دير ليقين في أوائل القرن السادس سفر المزامير الى السريانية ، وتناول علماء السريان الكتاب المقدس شرحاً وتفسيراً ، فتركوا لنا في هذا الباب كنوزاً ثمينة ·

☐ علماء السريان وأدباؤهم في القرن السادس :

بانتشار المدارس السريانية ، وتهافت طلاب العلم عليها · لمع للسريان في القرن السادس علماء يشار اليهم بالبنان ، وأدباء أفذاذ ولاهوتيون قديرون وفلاسفة كبار ، ومؤرخون ثقات ، وشعراء فطاحل ، اشتهر أغلبهم في شتى أبواب المعرفة ، لذلك رأينا أن نترجم في هذه العجالة لنخبة منهم ، على سبيل المثال لا الحصر ، ونعدد أهم ما وضعوه من مصنفات ·

☐ المؤرخون :

لمؤرخي السريان في هذه الحقبة فضل كبير في تدوين حوادث التاريخ المدني العام والخاص ، والتاريخ الديني الكنسي ، ولا سيما ما جرى في القرنين الخامس والسادس · وأشهر هؤلاء المؤرخين هم :

١ ـ يوحنا الأفسسي (ت : ٥٨٧) :

من أشهر مؤرخي السريان وأكثرهم فضلا ، ولد في بلدة (اكـل) من ولايـة آمد حوالي سـنة ٥٠٧ م ودرس في ديـر يوحنا الأورطي في شمالي آمـد ، وترهب وتروض على يـد النساك ودوّن أخبارهم ، واضطهد وشرد معهم، وفي سنة ٥٤٢ م أوفده القيصـر يوسطنيانس لتبشير الوثنيين في ولايـات آسيا الصغرى وقاريا وفروجيـا ولوديا وحـوالي سنة ٥٥٨ رسمه يعقوب البـرادعي مطـراناً لأفسس فنسب اليهـا والى آسـيا الصغرى. فأقام زهاء تسع وعشرين سنة ونصَّر زهاء ثمانين ألفاً وبنى لهم الكنائس والأديرة . وعـام ٥٧١ أذاقـه القيصـر يوسطينوس الثاني صنوف العذاب في السجون والمنفى وانتقل الى جوار ربـه في حدود سـنة ٥٨٦ أو ٥٨٧ م ونعت بمنصِّر الوثنيين ، ومكسر الأصنام ومؤلف تواريخ البيعة « ألَّف تاريخاً كنسياً في ثلاثة مجلدات قوام كل منها ستة أبواب الأول والثاني من عهد يوليوس قيصر حتى سنة ٥٧١ وضمن الثالث أخبـار الكنيسة والعالم من سنة ٥٧١ حتى سنة ٥٨٥ ويقـع في ٤١٨ صفحة(٢٢) . وهو أقدم تاريخ لمؤرخ سرياني أرثوذكسي انتهى الينا . ان المجلد الأول مفقود فيما نعهد . والثاني وقد نقل برمته تقريباً الى التاريخ الذي ألَّفـه الراهب الزوقنينـي عام ٧٧٥ م ونشرت منه شذرات على حدة . والثالث موجـود باستثناءصفحات قليلة سقطت منه وتوجدمنه نسخة خطية فريدة ترقى الى القرن السابع(٢٣) وقد نشر هذا المجلد ونقل الـى

٢٢ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية ص ٣٤١ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٧ والتاريخ الكنسي لابن العبري بالسريانية مج ١ في ترجمة البطريرك سرجيس التلـي . والدؤلؤ المنثور ص ٢٦٤ و ٢٦٥ و ١٢٧ و ١٢٨ .

٢٣ـ خزانة المتحف البريطاني بلندن عدد ١٤٦٤٠ .

لغات أوربية · كما ألّف مار يوحنا سير النساك الشرقيين الذين تحادث مع معظمهم وله رسائل شتى ذات أهمية تاريخية ·

٢ ـ زكريا الفصيح : توفي بعد سنة ٥٣٦ م :

ولد في غزة ودرس علمي النحو والبيان في مدرسة الاسكندرية وفي سنة ٥١٦ م كتب باليونانية سيرة زميله وخدينه البطريرك مار سويريوس ، تتضمن أحواله منذ ولادته حتى جلوسه على الكرسي الأنطاكي ثم نقلت هذه السيرة الى السريانية(٢٤) وقد رسم سنة ٥٢٧ م أسقفاً على جزيرة مدللي ·

أهم مؤلفاته تاريخ ديني مدني مسهب من سنة ٤٥٠ ـ ٤٩١ م وضعه باليونانية وترجم الى السريانية بشيء من التلخيص ، وفقد الأصل اليوناني وبقيت الترجمة السريانية · نقله مار ميخائيل الكبير (ت ١١٩٩) الى كتابه التاريخ الديني المدني العام · كما كتب زكريا سيرة أشعيا الناسك وبطرس أسقف مايوما(٢٥) وثاودورس أسقف انصنا(٢٦) وتوفي بعد سنة ٥٣٦(٢٧) ·

٣ ـ المؤرخ السرياني المجهول :

عاش في غضون القرن السادس ، وله تاريخ يتناول الفترة التي بين ١٣١ ق·م الى ٥٤٠ م(٢٨) ·

٢٤ـ ونقلها (كوجنر) الى الفرنسية وطبعها ·

٢٥ـ مايوما : ميناء خرب بقرب غزة على سيف بحر الروم (اللؤلؤ المنثور ص٥١٩)·

٢٦ـ أنصنا : مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل (معجم البلدان : لياقوت الحموي ١ : ٣٨١ طبعة ليبسك) ·

٢٧ـ لخصنا ترجمته من اللؤلؤ المنثور ص ٢٥٤ و ٢٥٥ ·

٢٨ـ اللؤلؤ المنثور ص ١٢٧ ·

□ اللاهوتيـون :

اشتد في هذه الحقبة النزاع المذهبي كما ذكرنا آنفـاً ، وظهر فيها لاهوتيون قديرون وضعوا المجلدات القيمة في كل أقسام علم اللاهوت منهم :

١ ـ مار فيلوكسينوس المنبجي (ت ٥٢٢ م) :

ولد في بلدة تحل من كورة باجرمي ـ محافظة السليمانية ـ بالعراق ، قبيل منتصف القـرن الخامس للميـلاد ، واسـمه السرياني (أخسنويو) أي (غريب) وسمي فيلوكسينوس لدى رسامته مطراناً • وهو اسم يوناني معناه (محب الغربة) درس في دير قرتمين(٢٩) ، ومدرسة الرها ودير تلعدا(٣٠) ترهـب ورسم كاهناً ثم مطراناً لمنبج(٣١) عام ٤٨٥ م نفي عام ٥١٨ م الى فيلبوني في ثراقية ثم غنغرة حيث استشهد مخنوقاً بالدخان عـام ٥٢٢ م(٣٢) •

وصل الينا من مؤلفاتـه التفسيرية شروحه على الأناجيل في مخطوطتين من القرن السادس في المتحف البريطاني • وكان قد اهتم بنقل العهد الجديد من اليونانية الى السريانية عـلى يد الخوري بوليقربوس ، وعرف بالنقل الفيلوكسيني ، وقيـل نقل العهد القديم أيضاً الى السريانية •

٢٩ـ يقع شرقي مديات وهو من أشهر أديار طور عبدين في تركيا ، ولا يزال عامراً•

٣٠ـ يقع في جنوبي جبل سمعان وشمالي قريـة تلعدا في كورة أنطاكية وقد خـرب •

٣١ـ كانت مدينة كبيرة تقع في شمال شرقي حلب ـ سورية وهي اليوم بليدة صغيرة •

٣٢ـ تفصيل ترجمته في كتـاب (الأحاجي في جهاد القديس فيلوكسينوس المنبجي) للبطريرك العلامة مار أغناطيوس يعقـوب الثالث • دمشق ١٩٧٠ وتاريـخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية ص ٢٥٨ و ٢٦١ و ٢٦٤ و ٢٦٦ والتاريخ الكنسي لابن العبري بالسريانية الجزء الأول في ترجمة البطريرك فلابينوس وترجمـة بولس •

وكان المترجم لاهوتياً من المرتبة الأولى ومؤلفاته في هذا الباب كثيرة منها كتاب في التثليث والتجسد في ثلاث مقالات(٣٣) ضد الخلقيدونيين • كما كتب عشر مقالات وسبعة وعشرين فصلا ضد النساطرة وغيرهم وله ثلاث ليتورجيات وطقس عماد ورسائل وعونيثات وقوانين للرهبان(٣٤) •

أما كتابه الموسوم ب (طريق الكمال) فهو درة مؤلفاته الأدبية الروحية دبجه في أوائل القرن السادس للميلاد بلغة سريانية نقية تتجلى فيها مقدرته الأدبية(٣٥) •

قال بشأنه ، الدكاترة كامل والبكري ورشدي في كتابهم الأدب السرياني(٣٦) ما يلي : « ٠٠٠٠ ومع ان اكسنايا كان رجل كفاح وجهاد فانه كان الى جانب ذلك ، آديباً ، نابهاً وكاتباً رقيق العبارة والسريان يعدونه في المرتبة الأولى من كتَّابهم • ومع ان السمعاني لم يترك فرصة للحط من قدره ، الا أنه كان مع ذلك مضطراً الى أن يعترف بأنه من خيرة كتَّاب السريان » •

٢ ـ مار سويريوس الأنطاكي (ت ٥٣٨ م) :

ولد نحو سنة ٤٥٩ في سوزوبليس من ولاية بيسيدية ودرس النحو والبيان في الاسكندرية باليونانية واللاتينية ،

٣٣ـ طبعه وشالد منقولا الى اللاتينية عام ١٩٠٨ •

٣٤ـ مجلة المشرق الموصلية للراهب الملفان بولس بهنام (المطران بعدئذ) سنة ١٩٤٦ ص ٧٠١ و ٧٠٢ •

٣٥ـ نقله المستشرق واليس بج الى الانكليزية ونشره مع النص السرياني في لندن عام ١٨٩٤ معتمدا على مخطوطات عديدة يرجع تاريخ أقدمها الى القرن السادس للميلاد محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني • ونشر مجمع اللغة السريانية في بغداد النص السرياني عام ١٩٧٨ •

٣٦ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤ م ص ١٨٤ •

والفقه والفلسفة في بيروت فتبحر بكل هذه العلوم . وترهب في دير رومانس في بلدة مايوما بفلسطين ، ورسم كاهناً ، وأنشأ ديراً ، واشتهر بالزهد ، والدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية . رحل الى القسطنطينية بمئتي راهب عام ٥٠٨ للدفاع عن المعتقد ، ومكث فيها زهاء ثلاث سنوات . ولما عزل فلبيانس الثاني بطريرك أنطاكية انتخب مار سويريوس ورسم بطريركاً لأنطاكية وذلك عام ٥١٢ وفي اضطهاد يوسطينوس الأول للكنيسة الأرثوذكسية سنة ٥١٨ هرب مار سويريوس الى مصر ومكث فيها عشرين سنة يدبر الكنيسة بنوابه ومراسلته(٣٧) ووضع مؤلفات جمة باليونانية كانت تترجم حالا الى السريانية وتنشر وهي دينية وجدلية وطقسية وتفسيرية وخطب . وكان يوسطينان الامبراطور البيزنطي قد أمر بحرقها وتشديد العقاب على من يستنسخها أو يحوزها فلم يبق منها باليونانية الا النزر اليسير ولكنها حفظت بترجماتها السريانية وأشهرها(٣٨) : ثلاثة عشر كتاباً قيماً لاهوتياً وجدلياً . ومئتان وتسعة وخمسون معنيثاً(٣٩) في روح الشهداء والقديسين دخلت أغلبها الطقس البيعي وتنشد في الآحاد والأعياد . وله مئة وخمس وعشرون عظة تسمى بـ (خطب المنابر) بين طويلة وقصيرة جمعت قديماً

٣٧- تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية ص ٢٦٠ - ٢٦٥ و ٢٧٨ و ٣٠٨ والتاريخ الكنسي لابن العبري بالسريانية مج ١ في ترجمة مار سويريوس . وكتاب نفح العبير أو سيرة البطريرك مار سويريوس الكبير للعلامة البطريرك مار أغناطيوس يعقوب الثالث - دمشق ١٩٧٠ وكتاب خمائل الريحان أو أرثوذكسية مار يعقوب السروجي الملفان للراهب الملفان بولس بهنام (المطران بعدئذ) الموصل ١٩٤٩ ص ١٠١ - ١٠٤ .

٣٨- تفصيل مؤلفاته في اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٠ - ٢٤٩ و ٢٣٣ و ٢٣٤ .

٣٩- المعنيث نشيد روحي يستهل بآياته من الكتاب المقدس . جمعها معانيث وهي من استنباط مار سويروس .

في ثلاثة وعشرين مجلداً لم يصلنا منها سوى مجلدين ضخمين وهي لاهوتية ، وشرعية ، وتاريخية ، وادارية ٠

ومما حملنا على وضع مؤلفات مار سويريوس في عداد التراث السرياني ، هو أنها نقلت الى السريانية بأسلوب بليغ على يد المطران بولس الذي رسم مطراناً على الرقة في الربع الأول من القرن السادس وكان متبحراً باللغتين اليونانية والسريانية وحين اضطهد يوسطينوس الأول رجال الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، غادر المطران بولس مركز أبرشيته الى الرها سنة ٥١٩ واهتم بنقل أغلب مصنفات مار سويريوس الى السريانية فدعي بمترجم الكتب ، وكثير من هذه المصنفات قد ترجم الى لغات أوربية ونشر فيها ٠

٣ ـ مار شمعون الارشمي (ت ٥٤٠ م) :

كان عالماً جليلا ، سمي بالمجادل ، واشتهر بالدفاع عن حق الكنيسة الأرثوذكسية وتثبيت أتباعها على التمسك بعقيدتها ٠ رسم أسقفاً على بلدة بيت ارشم الواقعة على ضفة نهر دجلة بالقرب من المدائن ، قبيل سنة ٥٠٣ م ونصَّر في حيرة النعمان خلقاً كثيراً وشيد لهم كبار القوم فيهم كنيسة ، كما تلمذ ثلاثة من زعماء المجوس استشهدوا في سبيل الايمان ٠ أوفده القيصر انسطاس سفيراً الى ملك الفرس فأزال الشدة عن المؤمنين ٠ وسجن بأمر ملك الفرس سبع سنين في نصيبين رحل الى القسطنطينية ثلاثاً وكانت المرة الثالثة لمقابلة الملكة تيودورة فوافته المنية هناك شيخاً طاعناً بالسن في نحو سنة ٥٤٠ م ٠

وضع مار شمعون مؤلفات شتى لاهوتية ، ورسائل عديدة أنفذها الى المؤمنين في بعض الأماكن٠ وصل الينا منها ليتورجية

(كتاب القداس) ورسالة كتبها سنة ٥١١ م بسط فيها أخبار برصوما النصيبيني وانتشار النسطرة في بلاد فارس وغلق مدرسة الرها · وهي أقدم مستند لهذين الحدثين(٤٠) ورسالة ثانية أنفذها سنة ٥٢٤ م من الحيرة الى شمعون رئيس دير الجبول(٤١) وفيها يفصل أخبار استشهاد المسيحيين الحميريين(٤٢) الذين قتلهم مسروق(٤٣) ملك اليمن اليهودي قبل كتابة الرسالة بسنة واحدة نشر جويدي المستشرق الايطالي في رومية سنة ١٨٨١ م الجزء الأكبر من هذه الرسالة كما

٤٠- تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية ص ٢٦٠ و ٢٦٢ - ٢٦٤ وتاريخ الأدب السرياني للدكاترة كامل والبكري ورشدي ص ١٨٨ - ١٩٠ واللؤلؤ المنثور ص ٢٥١ و ٢٥٢ ·

٤١- الجبول : موضع يقع جنوب شرقي حلب (سورية) بالقرب من نهر الفرات اشتهر بممالحه ·

٤٢- الحميريون هم عرب نجران النصارى اضطهدهم مسروق اليهودي (٥١٥ - ٥٢٤) الذي تولى اليمن وأراد تهويدهم فأبوا وجاهروا بالثبات على دينهم ، وبقيادة شيخهم الحارث نهضوا مدافعين عن أنفسهم ولما لم ينل منهم الطاغية مأربا خدعهم بوعود كاذبة ثم غدر بهم وأعمل فيهم السيوف والسهام وحفر أخاديد أضرمها نارا وألقى فيها جمهورا منهم فاستشهد الشيخ الحارث وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال (الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للبطريرك العلاّمة أفرام الأول برصوم - حمص ١٩٤٠ ص ٢٨٢ ومقال له في كتاب الشهداء الحميريين نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٨ ص ٣ وكتاب الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية للبطريرك العلاّمة يعقوب الثالث دمشق ١٩٦٦ وذخيرة الأذهان للقس بطرس نصري ، الموصل ١٩٠٥ مج ١ ص ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ وخمائل الريحان للراهب الملفان بولس بهنام (المطران بعدئذ) - الموصل ١٩٤٩ ص ٤٣) ·

٤٣- عرف هذا الطاغية اليهودي في المصادر السريانية باسم « مسروق » أما في قصة القديس الحارث اليونانية فباسم (دونأس) ولدى المؤرخين العرب باسم « ذي النواس » أو « ذي نواس » (الشهداء الحميريون العرب للبطريرك العلاّمة يعقوب الثالث ص ١١٧) ·

نشرها المستشرق السويدي اكسل موبرج سنة ١٩٢٤ مترجمة الى الانكليزية · ونشرها السمعاني مع الرسالة الأولى في مكتبته الشرقية · وهناك رسالة أخرى للأرشمي نشر دراسة عنها قداسة البطريرك العلاّمة مار أغناطيوس يعقوب الثالث في كتابه (الشهداء الحميريون العرب) قال في المقدمة : « في خزانتنا البطريركية ، مخطوطة سريانية ضخمة من القرن الثاني عشر ··· وقد لفتت نظرنا ما بين ورقتي ٤٢١ ـ ٤٢٥ قصة عنوانها « قصة أي شهادة الطوباويين الحميريين الذين تكللوا في مدينة نجران » فطالعناها فألفيناها مشتملة على رسالة ثانية لمار شمعون الأرشمي أنفذها في تموز سنة ٥٢٤ من حيرة جبلة ملك الغساسنة الى شمعون رئيس دير الجبول في سورية الشمالية ، أي بعد بضعة أشهر من كتابة الرسالة الأولى اليه من حيرة النعمان مضيفاً الى ما جاء في الأولى أخباراً جديدة قيمة استقى بعضاً من حديث بعض النجرانيين الذين شهدوا شهادة مواطنيهم ونقل الباقي عن رسائل وردت اليه من نجران · » ····

☐ الفلاسفة :

توغل السريان في دراسة الفلسفة واستعانوا بها على اثبات الحقائق الدينية خاصة في فترة النزاع المذهبي ، وقد تبعوا فلسفة أرسطو وعرفوا منه المنطق ومن منطقه المقولات العشر · وتبعوا الفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية بحكمها التهذيبية وتعرفوا على الأفلاطونية الجديدة الداعية الى الزهد بالدنيا · وأشهر الفلاسفة السريان في القرن السادس هم :

١ ـ اسطيفان بن صوديلي (ت ٥١٠ م) :

ولد في النصف الثاني من القرن الخامس سريانياً

أرثوذكسياً ، ورحل في شبابه الى مصر طلباً للعلم ، فلقنه رجل اسمه يوحنا مذهب (البانثئست) وهو وحدانية الوجود آي ان الاله الواحد هو كل الكائنات وان كل طبيعة مساوية في الجوهر للذات الالهية والجوهر الالهي(٤٤) · وعاد من الاسكندرية الى الرها · وشرع ينكر أبدية عذاب جهنم · ويقول ان الخطـاة يعودون بعد تطهيرهم الى الله مفسراً آية الرسول بولس « كي يكون الله الكل في الكل » (١ كو ١٥ : ٢٨) بما يوافـق آراءه · ففند مار فيلوكسينوس المنبجي آراءه هذه برسالة أنفذها الى ابراهيم وأريسنتوس قسيسي الرها · وكذلك دحض مار يعقوب السروجي ضلالة ابن صوديلي فحرم هذا وطرده من الرها فقصد فلسطين ووجد هناك رهباناً على مذهب اوريجانس عاش معهم وكان يراسل تلاميذه في الرها وتوفي في أواخر القرن السادس ·

وضع بلغة سريانية بليغة كتاباً في موضوع أسرار الكنيسة، دس فيه آراءه الفلسفية متبعاً الفلسفة الأفلاطونية الجديـدة الداعية الى الزهد بالدنيا ونسب الكتاب الى ايرثاوس آستاذ ديونيسيوس الاريوباغي · كتب البطريرك قرياقوس (ت ٨١٧) عنه قائلاً : « ان الكتاب المنحول الى ايرثاوس ليس له ويحسبه بعضهم من وضع ابن صوديلي المبتدع(٤٥)» وقد شرح البطريرك تيودوسيوس (٨٨٧ ـ ٨٩٦ م) هذا الكتاب كما شرحه المفريان ابن العبري (ت ١٢٨٦ م) مثمنين آراءه في التصوف والنسك والزهـــد ·

٤٤ـ الأحاجي في جهـاد القديس مـار فيلوكسينوس المنبجي للبطريرك العلامـة مار أغناطيوس يعقوب الثالث · دمشق ١٩٧٠ ص ١٢٣ واللؤلؤ المنثـور ص ٢١٦ و ٢١٧ ·

٤٥ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢١٧ ·

ولابن صوديلي أيضاً شروح رمزية على المزامير يوجد نبذ منها في المتحف البريطاني يعود تاريخها الى القرنين التاسع والعاشر • وله أيضاً شروح صوفية على الكتاب المقدس مفقودة. ورسائل(٤٦) •

٢ ـ سرجيس الراسعيني (ت ٥٣٦) :

امام عصره في الطب والمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية وهو أول النقلة من اليوناني الى السرياني لدى السريان الغربيين • وقد تبحر باللسانين ودرس الفلسفتين الارسطاطالية **والأفلاطونية الجديدة في** الاسكندرية • وصار قسيساً سريانياً أرثوذكسياً في مدينة رأس العين الواقعة على منابع نهر الخابور في الجزيرة بسورية • ولعل ولادته كانت فيها • وتقلب في المذهب الديني ، ومات في أنطاكية سنة **٥٣٦** م •

أشهر مؤلفاته مقالات أصلية في المنطق سبعة أجزاء ، ومقالة دينية في السلب والايجاب ، وفي أسباب الخليقة وفقاً لتعليم الرسل ، وفي الأجناس والأنواع والأفراد بحسب مبادىء أرسطو ، وكتاب في الأدوية البسيطة ، وكتاب في غاية أرسطاطاليس بأسرها • وقد نقل من اليوناني الى السرياني ايساغوجي برفيريوس الصوري . ومقولات أرسطو وكون العالم، ومقالته في النفس خمسة فصول وبعض تآليف جالينوس • وكتاب ديونيسيوس الاريوباغي وكتب له مقدمة بليغة •(٤٧)

٤٦ـ تاريخ الأدب السرياني للدكاترة كامل والبكري ورشدي ص ١٩١ ـ ١٩٢ عن كتاب اسطيفان بن صوديلي المتصوف السرياني وكتاب هيروتيوس للمستشرق فروز نجهام سنة ١٨٨٦ •

٤٧ـ مجلة المشرق الموصلية سنة ١٩٤٦ ص ٧٠٥ عن دائرة المعارف البريطانية واللؤلؤ المنثور ص ٢٣٥ و ٢٣٦ •

٣ ـ مار احوادمه[٤٨] (ت ٧٥٥) :

لاهوتي قدير ، وفيلسوف كبير ٠ ولد في مدينة (بلد)[٤٩] ورسمه كريستفورس جاثليق أرمن (٥٣٨ ـ ٥٤٥) أسقفاً على أبرشية باعربايا المجاورة لسنجار في العراق ونشر بشارة الانجيل في ديار ربيعة ونصّر خلقاً كثيراً ورافقهم في حلهم وترحالهم في الصحارى ، وبنى لهم ديرين وكنائس ، وسام لهم قسوساً ورهباناً ٠ كما نصّر أميراً من البيت الفارسي المالك فاعتقله كسرى أنوشروان وأمر بقطع رأسه في ٢ آب سنة ٥٧٥ م. ودفن جثمانه في بلدة قرونتا المجاورة لتكريت ٠

كتب بلغة سريانية بليغة ، مؤلفات لاهوتية وفلسفية قيمة ، منها كتاب الحدود ومقالات في الحرية الدينية ، والقضاء والقدر ، والنفس والانسان باعتباره عالماً صغيراً ، وفي تركيب الانسان من جسد ونفس ٠ وقد ألّف على الأغلب كتاباً في النحو على طريقة النحو اليوناني لم يصل الينا[٥٠] ٠

٤٨ـ ان اسم (احوادمه) سرياني مركب معناه (أخو أمه) أي يشبه أمه ٠ والأسماء المركبة في السريانية مستعملة مثل (احودابوي) أي (أخو أبيه) ، ولا يعني هذا الاسم آخذ أبيه كما لا يعني (اسم احودامه) آخذ أمه كما افترى بعضهم عنه فحاكوا حوله أسطورة يرفضها العقل الراجح ويمجها الذوق السليم ٠ وكما فعل غيرهم بالنسبة الى العلاّمة المفريان ابن العبري فقالوا ان أباه يهودي ، وحيث انه يلقب بأبي الفرج قالوا ان له ابنا اسمه فرج ٠ وليس لابن العبري ولا لاحودامه وغيرهما من ذنب سوى كونهم من آباء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فيرى المغرضون نورهم ظلاما لمرض في عيونهم ٠

٤٩ـ مدينة قديمة تقع على ضفة نهر دجلة من غربيه فوق الموصل وتبعد عنها سبعة فراسخ ، تدعى أطلالها اليوم « اسكي موصل » ٠

٥٠ـ التاريخ الكنسي لابن العبري بالسريانية ج ٢ ترجمة المفريان احوادمه ٠ ومجلة المشرق الموصلية سنة ١٩٤٦ ص ٣٦٤ واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٥ و ٢٦٠ والأدب السرياني للدكاترة كامل والبكري ورشدي ص ١٩٥ و ١٩٦ ٠

□ **الشعراء :**

برز للسريان في القرن السادس شعراء مفلقون يشار اليهم بالبنان في مقدمتهم الملفان يعقوب السروجي الذي يعد خدنا لافرام السرياني (ت ٣٧٣ م) وكلاهما يتصدر الطبقة الأولى بين شعراء السريان كافة ٠

١ ـ مار يعقوب السروجي الملفان (ت ٥٢١ م) :

ولد في قرية (كورتم) من قرى سروج على ضفة الفرات سنة ٤٥١ م وكان أبوه قسيساً ٠

درس في مدارس الرها فتعمق في علم الكتاب المقدس وتفسيره والعلوم الفلسفية واللاهوتية واللغوية ٠ وترهب ورسم قسيساً ثم قلد رتبة زائر لبلدة حورا من عمل مدينة سروج وفي سنة ٥١٩ رسم أسقفاً لأبرشية بطنان سروج وانتقل الى جوار ربه في ٢٩ تشرين الثاني سنة ٥٢١ م وهو في السبعين من عمره وعيدت له الكنيسة ٠

يعد مار يعقوب السروجي أمير الشعراء السريان بلا منازع ، بكثرة الانتاج وجودته ٠ قال الشعر في صباه ، ولما ذاع صيته اختبره خمسة أساقفة في بيعة بطنان سروج ، حيث ارتجل قصيدته الأولى في مركبة حزقيال ومطلعها ما ترجمته : « أيها العلي الجالس على المركبة الفائقة كل وصف ، ألهمني لأذيع في الأرض مصرحاً بأنك لا تدرك » وأقروا بملفنته ، وعظم مواهبه ، وأوصوه أن يكتب كل ما ينظم من ميامر ٠ ويقول ابن العبري ان سبعين كاتباً كانوا يكتبون قصائده ، وقد جمعت فبلغت (٧٦٠) قصيدة فُقدَ أغلبها ولم يبق منها سوى (٣٠٠) قصيدة وهي في القمة لغة وَبياناً وبلاغة وسلاسة ومعنى ، أولها

في مركبة حزقيال وآخرها في الجلجلة وكلها على البحر الاثني عشري الذي استنبطه وعرف بالسروجي نسبة اليه ويذكر مار ميخائيل الكبير (ت ١١٩٩ م) الذي جمع ميامر السروجي كلها : « ان مار سويريوس قد سمع عن مار يعقوب السروجي وفحص أشعاره فأثنى عليه »(٥١) ولعل هذه الأشعار ترجمت الى اليونانية لهذه الغاية .

وللسروجي أسلوب شيق في نظم قصائده فهو يفتتحها بديباجة رائعة يقدم بها الشكر لله ويستمد العون الالهي ثم يتدفق كالسيل العرم بالمعاني السامية ويحلق بأجواء الخيال يشرح ويفسر ، وقد تبلغ أبيات قصيدته مئات الأبيات فهو لايمل ولا يكل ، وينتهي بخاتمة بديعة تشعر وأنت تقرؤها بأنك قد وصلت الى الميناء بعد رحلة رائعة في أجواء القصيد البديع . أما موضوع قصائده العصماء فهو شرح أشهر حوادث الكتاب المقدس بعهديه ، والفضائل المسيحية ، ومدح العذراء والأنبياء والرسل والشهداء وله في القيامة والتوبة . وقد دخلت أشعاره الطقس البيعي . نشر له الراهب بولس بيجان مئتي ميمر أي قصيدة . وقد ترجمت قصائده الى الحبشية كما نقلت الى العربية بترجمة ركيكة .

وللسروجي رسائل ، ونثره غاية بالبلاغة . وصلت الينا منها ثلاث وأربعون رسالة في ثلاثة مصاحف بلندن يعود تاريخ كتابتها الى القرن السابع . وقد نشرت سنة ١٩٣٧ في ٣١٦ صفحة ومن جملة رسائله هذه رسالة أنفذها الى الحميريين وهم

٥١- تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية ص ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٨ والتاريخ الكنسي لابن العبري بالسريانية ج ١ ترجمة البطريرك مار سويريوس واللؤلؤ المنثور ص ٣٩٥ .

عرب نجران النصارى يواسيهم فيها المحنة التي أصابتهم باضطهاد الملك اليهودي مسروق لهم واستشهاد جمع غفير منهم على يد هذا الطاغية ٠

وله ليترجيتان للقداس وترانيم وأناشيد للأعياد ومواعظ ٠ وكتب سيرتي الناسكين دانيال الجلشي وحنينا ، كما انه شرح مئات اوغريس الستمائة بحسب رأي ابن العبري (ت ١٢٨٦ م)(٥٢) ٠

٢ ـ شمعون الفخاري (ت ٥١٤ م) :

كان شمعون شماساً في قرية كيشير في كورة أنطاكية ، وكان فاخورياً ينظم الأناشيد الدينية السريانية في أثناء صنعه الأواني الخزفية فتأتي بلغتها عذبة ، على لحن استنبطه فسُمِّي ب (القوقويو) أي اللحن الفخاري ٠ وقد زاره الملفان مار يعقوب السروجي (ت ٥٢١ م) في حانوته واستمع الى ترانيمه وأطرى عمله هذا وحثه على المواظبة ، كما أخذ ببعض هذه الأناشيد ٠ واطلع البطريرك مار سويريوس (ت٥٣٨ م) عليها بعد أن نُقل شيء منها الى اليونانية وأثنى عليه ٠ واقتدت بشمعون نخبة طيبة ممن اتقى الله مثله ، كانوا يعملون معه في صنع الفخار ونظم النشائد الروحية ٠

أما موضوع أناشيد شمعون فهو ميلاد السيد المسيح والمعجزات التي اجترحها ومدح أمه العذراء مريم ، وفي الصليب

٥٢ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٢٥ وتفصيل ترجمته وجدول مؤلفاته في كتاب « هبة الايمان أو الملفان مار يعقوب السروجي أسقف بطنان» للعلامة البطريرك مار أغناطيوس يعقوب الثالث ـ طبعة دمشق سنة ١٩٧١ وكتاب خمائل الريحان أو أرثوذكسية مار يعقوب السروجي الملفان للراهب بولس بهنام ـ الموصل ١٩٤٩ والكنز الثمين للقس جبرائيل القرداحي ـ روما ٠ ص ١٣ ٠

والقيامة والأنبياء والقديسين والموتى والتوبة وقد دخلت بعضها الطقس البيعي كما كتب شمعون أبياتاً بألحان أخرى وصل الينا منها ٢٨ بيتاً من القرن الثامن محفوظة في لندن(٥٣) .

☐ الخاتمة :

ان هؤلاء الشعراء المفلقين والأدباء البلغاء ، والمؤرخين الأعلام ، واللاهوتيين القديرين ، والفلاسفة الكبار ، صنعوا الأمجاد الخالدة للغة السريانية وآدابها ، بما تركوه للأجيال من تراث ثمين في مضمار العلم والمعرفة ، فأناروا الطريق لمن جاء بعدهم في خدمة الانسانية وتوفير السعادة لها . فحق للقرن السادس للميلاد أن يدعى القلب النابض لعصر السريان الذهبي .

★ ★ ★

٥٣ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية ص ٢٦١ واللؤلؤ المنثور ص ٢١٧ و ٢١٨ وتاريخ الأدب السرياني للدكاترة كامل والبكري ورشدي ص ٢٠٢ .

المسيح آتٍ*

□ المقدمة :

تعتبر حقيقة مجيء الرب يسوع المسيح ثانية ، عقيدة مسيحية سمحة ، تسلمتها الكنيسة المقدسة من الرب يسوع ذاته. فقد أوضحها له المجد لرسله الأطهار في مناسبات عديدة . وغدت هذه العقيدة سبب عزاء للمؤمنين ، في تحملهم الاضطهادات العنيفة في القرون الأولى للميلاد ، ذلك أن هؤلاء المؤمنين وضعوا رجاءهم في المسيح يسوع الذي أحبهم وفداهم بدمه الكريم ، وأرسلهم الى العالم لينشروا بشارته الانجيلية ووعدهم بأن يكون معهم حتى انقضاء الدهر ، وانه ولئن غادرهم بالجسد اذ صعد الى السماء فسيأتي ثانية ليأخذهم اليه ويكافئهم عن أتعابهم في خدمته . وحيّوا بعضهم بعضاً بالعبارة السريانية الآرامية التي يذكرها الرسول بولس في الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس (١٦ : ٢٢) وهي « ماران أثا » أي الرب آت . وبهذه العبارة شجع المؤمنون بعضهم بعضاً على تحمل المشقات والاصطبار على الضيقات والاستمرار بالجهاد ، فان الرب آت لا محالة ليجازي كل واحد حسب عمله (مت ١٦ : ٢٧) .

واعتادت الكنيسة تذكير المؤمنين بهذه العقيدة الايمانية أثناء تقديم الذبيحة الالهية ، حيث تناجي الرب قائلة : « يارب

★ نشرت في المجلة البطريركية ـ عدد نيسان ١٩٨٤ .

اننا نذكر موتك ، معترفين بقيامتك ومنتظرين مجيئك الثاني فارحمنا جميعاً » والكنيسة بهذا تكمل أيضاً وصية الرسول بولس القائل : « فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخبِرون بموت الرب الى أن يجيء » (١ كو ١١:٢٦) ٠

والكنيسة المقدسة منذ بدئها وحتى اليوم ، تقف على أصابع أقدام الانتظار شاخصة الى السماء منتظرة عودة الرب يسوع المسيح ليأخذها اليه ، فهي عروسه الطاهرة النقية التي اقتناها بدمه الكريم وستُزف اليه في مجيئه الثاني لتملك معه في السماء الى الأبد ٠

□ المجيء الأول :

قال كاتب الرسالة الى العبرانيين : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ٠ كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين » (عب ١ : ١) ٠

كان موضوع كلام الله مع أولئك الآباء والأنبياء ، وعداً صادقاً بمجيء ابنه الحبيب ـ نسل المرأة ـ ليسحق رأس الحية الدهرية ابليس وينقذ البشرية من ربقة الخطية ويخلصها من الموت الأبدي ٠ وقد قطع الله هذا العهد مع أبوينا الأولين آدم وحواء أولاً ثم مع بقية الآباء الصالحين ، والأنبياء الصادقين مروراً بابراهيم واسحق ويعقوب ، وعبوراً بأشعيا ودانيال وملاخي وسمعان الشيخ ٠ ولم يتمكن أحد من أولئك الآباء والأنبياء أن يوصل الفترة الزمنية ما بين اعطاء الوعد واتمامه ٠ فماتوا جميعاً ، ويقول فيهم الكتاب المقدس : « في الايمان مات هؤلاء أجمعون ولم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » ٠

(عب ١١ : ١٣) وفي ملء الزمن أرسل الله ابنه فتجسد . وبتجسده أكمل النبوات التي قيلت عنه قبل تجسده بقرون عديدة وفدى البشرية بموته على الصليب ودفنه وقيامته في اليوم الثالث ممجداً .

وبعد قيامته بأربعين يوماً ، أخذ تلاميذه الى جبل الزيتون القريب من بيت‌عنيا « وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد الى السماء » (لو ٢٤ : ٥١) .

كان قد أشار الى صعوده بقوله لتلاميذه : « ليس أحد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي في السماء » (يو ٣ : ١٣) وقال في كفر ناحوم « أهذا يعثركم فكيف اذا رأيتم ابن البشر صاعداً الى حيث كان أولاً » (يو ٦ : ٦٢) كما صرح أيضاً لتلاميذه عن صعوده الى السماء ليعد لهم مكاناً (يو ١٤ : ١ ـ ٣) .

وقد قام من القبر بجسده الذي أخذه من العذراء مريم والذي فيه صلب ومات ودفن في القبر الجديد وقد تمجد هذا الجسد بقوته الالهية فقام من القبر ممجداً، وهذا الجسد الممجَّد المتَّحد بالنفس البشرية هو ذاته صعد الى السماء وجلس عن يمين الاله الآب ، ولا غرو فقد وصفه الرسول بولس بقوله « وبالاجماع عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر في الجسد ، تبرر في الروح تراءى لملائكة كُرز به بين الأمم ، أو مِنَ به في العالم رُفع في المجد » (١ تي ٣ : ١٦) فقد صعد « فوق جميع السموات » (أف ٤ : ١٠) وهو الآن في يمين الله اذ قد مضى الى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له (١ بط ٣ : ٢٢)، أي أعطاه الآب السلطة المطلقة على الكائنات ، وأخضع أعداءه لسلطانه .

□ المجيء الثـاني :

يصف البشير لوقا حادث صعود الرب الى السماء بقوله : « وأخرجهم (أي رسله الأحد عشر) خارجاً الى بيت عنيا . ورفع يديه وباركهم . وفيما هو يباركهم انفرد عنهـم وأُصعد الى السماء » (لو ٢٤ : ٥٠ و ٥١) « وهم ينظرون . وأخذته سحابة عن أعينهم . وفيما كانوا يشخصون الى السماء وهـو منطلق اذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض ، وقالا أيها الرجال الجليليّون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء . ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتمـوه منطلقاً الى السماء . (أع ١ : ٩ ـ ١١) « فسجدوا له ورجعوا الى أورشليم بفرح عظيم » (لو ٢٤ : ٥٢) .

كانت الدواعي الموجبة لفرح الرسل حينئذ بشارة الملاكين بعودة الرب يسوع ثانية الى العالم .

□ علامات المجيء الثـاني :

قبل صلب الرب يسوع وموته بثلاثة أيام ، كان له المجد ، خارجاً من الهيكل وتلاميذه حوله ، وكانت أعمال ترميم الهيكل وتزيينه قائمة على قدم وساق ، وسحرت عقول التلاميذ بهذه الزينة البديعة والحجارة الحسنة والتحـف الثمينة ، فلفتـوا انتباه الرب الى ذلك ، فقال لهم : « هذه التي ترونها سـتأتي أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض » (لو ٢١ : ٥ و ٦ ومت ٢٤ : ٢) فاضطربت قلوبهم ، وكادوا يهلكون هلعاً وجزعاً ذلك أنهم كانوا قد توارثوا عن آبائهم خرافة مآلها أن مصير العالم متعلق بمصير الهيكل .

وصعد بهم الرب بعدئذ الى جبل الزيتون ، وفيما هـو

جالس ، وكان الهيكل يُرى من بعيد بجماله الفتان الذي خلب الألباب ، فتقدم اليه أربعة من الرسل هم بطرس ويوحنا ويعقوب واندراوس ، وسألوه قائلين : « قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟ فأجابهم يسوع وقال لهم أنظروا لا يضلكم أحد . فان كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويُضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . أنظروا لا ترتاعوا . لأنه لا بد أن تكون هذه كلها ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذ يسلمونكم الى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً . ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين . ولكن الذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى .

فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال . والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً . والذي في الحقل فلا يرجع الى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام . وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت . لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون . ولو لم تقصَّر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام . حينئذ ان قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون

آيات عظيمة وعجائب حتى يُضلوا لو أمكن المختارين أيضاً . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم ، فان قالوا لكم ها هو في البرية فلا تخرجوا . ها هو في المخادع فلا تصدقوا . لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الانسان . لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور .

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الانسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات الى أقصائها ... » (مت ٢٤ : ٣ ـ ٣١) .

يدلي الرب بهذه الكلمات ببيانات مهمة ويعلن نبوات صادقة متناولاً بالدرس حادثتين : الأولى هي حادثة خراب الهيكل ، والثانية حادثة مجيء الرب ثانية ونهاية العالم .

☐ خراب الهيكل والمدينة المقدسة :

وقد تمت نبوات الرب عن الهيكل بحذافيرها بعد أن أدلى بها بأربعين عاماً . ذلك ان اليهود كانوا يظنون أن المسيح الذي سيظهر لهم يكون زمنياً دنيوياً يخلصهم من استعمار الرومان ، فلم يؤمنوا بالرب يسوع ـ الذي مملكته ليست من هذا العالم ـ وقام لهم بحسب نبوة الرب يسوع مسحاء كذبة وأنبياء أدعياء دجالون . وتوالت الثورات وكثرت الاضطرابات التي أفرغت صبر الامبراطور الروماني ، فأرسل الى المدينة المقدسة حملة قوية مؤلفة من ثلاثين ألف محارب يقودها تيطس . فلما طلب

تيطس من رؤساء اليهود التسليم رفضوا فبدأ بالهجوم ، وحاصر المدينة المقدسة وأحاطها بسور جديد فأهلك بذلك سكانها جوعاً. وكانت المجاعة كبرى وفاضحة بحيث جعلت الأمهات يبعن أولادهن للذبح وأكلت بعضهن أولادهن في جنون الجوع . وبعد حرب دامية دامت سبعة أشهر دخل تيطس الى المدينة وكان حريصاً على بقاء الهيكل كأثر ثمين بفخامة بنائه وشهرته التاريخية . لكن أحد أفراد جيشه واسمه (ترنتيوس روفس) عصى أمر مولاه وأضرم النار في الهيكل فلما رآه تيطس خراباً أمر باكمال تخريبه بنقض حجارته بعضها عن بعض وفلاحة ساحته لمحو أثره ، كما خربت المدينة أيضاً بسكانها . وتمت بذلك نبوة ارميا القائل « ان صهيون تُفلح كحقل وتصير أورشليم خرِبَاً وجبل البيت شوامخ وعر » (ار ٢٦ : ١٨) وقول الرب عن المدينة : « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها .. هوذا بيتكم يترك لكم خرابا .. لأني أقول لكم انكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب » (مت ٢٣ : ٣٧ ـ ٣٩) . وقوله له المجد عن الهيكل وحجارته « هذه التي ترونها ستأتي أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض » (لو ٢١ : ٦ ومت ٢٤ : ٢) .

وقد فصل أخبار حادثة خراب الهيكل ، وخراب المدينة ، المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي شاهد ذلك بأم عينه وهو لئن كان عدواً للمسيحية ، ولكنه خدم المسيحية من حيث لا يدري لأنه أثبت صحة نبوة السيد المسيح .

أما المسيحيون فبناء على نبوة الرب وشرحه العلامات التي تحدث قبل خراب المدينة والهيكل خاصة وجود رجسة الخراب

أي النسر الروماني وتمثاله في المحل المقدس ، أي في الهيكل ، وبناء على أمر الرب بقوله : « ولما تحدث هذه الأمـور فالذي في اليهودية فليهرب الى الجبال والذي على السطح لا ينزل الى البيت ولا يدخل ليأخذ من البيت شيئاً والذي في الحقل لا يرجع الى الوراء ليأخذ ثوبه ٠٠ ويل للحبالى والمرضعات في تلـك الأيام ، وصلّوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت ٠٠ » (مت ٢٤ : ١٦ ـ ٢٠) فأتبـاع الرب ، قبل حصار المدينـة هربوا الى بلدة وثنية يقال لها فلَّة (بلاّ) بقرب ضفة الأردن اليسرى وتخلصوا من الهلاك ٠

أما وصية الرب : « أن يصلوا لئـلا يكون هروبهـم في شتاء أو سبت » فذلك ان السفر في الشتاء صعب في تلك الأيام. أما السبت فلأن شريعة الفريسيين كانت تحرّم على اليهـود أن يمشوا يوم السبت أكثر من ألفي خطوة فهربهم في ذلك اليوم كان من شأنه أن يزيد على هول الموقف خوفهـم من التـورط بالخطية وهم على قاب قوسين أو أدنى من الموت ٠

أما عن المجيء الثاني ونهاية العالم القائم الآن ، فسيسبق ذلك أيضاً ما سبق خراب الهيكل والمدينة المقدسة من ضيقات ومجاعات وزلازل واضطرابات في أماكن عديدة في العـالم ٠ وتقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة « ولكن ليس المنتهـى بعـد » ٠

وسيسلم الأخ أخاه للموت والأب ابنه ٠٠٠ وسيكون أتباع الرب مبغضين من الناس من أجل اسمه ٠٠٠

☐ المسـيح الدجـّال :

كما سيظهر الأنبياء الكذبة كقول الرب بنبوته : « ستأتي مسحاء كذبة وأنبياء كذبـة ويأتون الآيـات والعجائب فـلا

تصدقوهم » (مت ٢٤ : ٢٤) وآخر هؤلاء الأنبياء الكذبة سيظهر المسيح الدجال الذي سيخدع الكثيرين بمعجزاته الشيطانية ، ويقول فيه الرسول بولس « الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قواه وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة الاثم في الهالكين . لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا . لأجل هذا سيرسل الله اليهم عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سرّوا بالاثم » (٢ تس ٢:٩ ـ ١٢). والمسيح الدجال هذا هو المقاوم الذي يتعجرف متكبراً على الاله « حتى انه يجلس في هيكل الله كاله ، مظهراً نفسه أنه اله » (٢ تس ٢ : ٤) . « ويعطي روحاً لصورة الوحش حتى تتكلم صورة الوحش ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يقتلون » (رؤ ١٣ : ١٥) .

وسيكون على أتباع الرب الذين لم يسجدوا لصورة الوحش «ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » (مت ٢٤ : ٣١ و ٣٢) .

ومن جملة المختارين ، الشاهدان اللذان نقرأ عنهما في سفر الرؤيا وهما من رتبة الأنبياء وسيظهران ويقاومان المسيح الدجال « وان كان أحد يريد أن يؤذيهما تخرج نار من فمهما وتأكل أعداءهما ، وان كان أحد يريد أن يؤذيهما لا بد أن يقتل » (رؤ ١١ : ٥) . والسلطان الذي يعطى لهما في صنع آيات ومعجزات « ومتى تمما شهادتهما بالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حرباً ويغلبهما ويقتلهما وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة .. وينظر الناس من الشعوب والقبائل والألسنة جثتيهما ثلاثة أيام ونصف ولا يدعون جثتيهما توضعان في القبور ويشمت بهما الساكنون على الأرض

ويهللون ويرسلون هدايا بعضهم لبعض لأن هذين النبيين كانا قد عذبا الساكنين على الأرض ٠٠٠ وبعد الثلاثة الأيام والنصف يدخل فيهما روح حياة من الله فيقفان على أرجلهما ويقع خوف عظيم على الذين كانوا ينظرونهما ويسمعون صوتاً عظيماً من السماء قائلاً لهما ، اصعدا الى ههنا فيصعدان الى السماء في السحابة وينظرهما أعداؤهما » (رؤ ١١ : ١١ و ١٢) ٠ ويقول بعضهم ان هذين النبيين الشاهدين هما ايليا وأخنوخ اللذان لم يذوقا الموت بعد ٠ اذ لم يوجد أخنوخ لأن الله آخذه الى عنده ٠ كما ان ايليا صعد الى السماء بمركبة نارية ٠

☐ مجي الرب فُجاءة :

ويوصينا الرب ألاّ نفتش عنه في البراري والقفار « لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الانسان ٠ لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور ٠ وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع ، وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ٠ ويبصرون ابن الانسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير » (مت ٢٤ : ٢٨ ـ ٣٠) ٠

فتزعزع قوات السماء يفقدها توازنها ، واذا فقد التوازن بين الأجرام السماوية تزول قوة الجاذبية فيها فتتساقط ، وكما يقول الرسول بطرس : « ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها ٠ فبما أن هذه كلها تنحل أي اناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى ٠ منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب الذي به تنحل السموات

ملتهبة والعناصر محترقة تذوب · ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر » (٢ بط ٣ : ١٠ ـ ١٣) ·

وسيأتي الرب يسوع على متن السحب كما رآه التلاميذ صاعداً الى السماء حيث أخفته سحابة منيرة عن عيونهم · والسحابة علامة للظهور الالهي فمن السحابة كلم الله موسى وسحابة ملأت هيكل سليمان وسحابة ظللت يسوع على جبل التجلي ·

حينئذ يسمع الأموات صوت ابن الله فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٩) « حينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت الى غلبة · أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟ » (١ كو ١٥ : ٥٤ و ٥٥) وفي هذه اللحظة يختطف الأبرار المُقامون من الأموات وكذلك الأحياء المتغيرون يُخطفون جميعاً مع الرب أيضاً في السحب وسيصعد هذا الموكب العظيم الى السماء بقيادة الرب يسوع الذي كتب عنه أنه « آت بأبناء كثيرين الى المجد » (عب ٢ : ١٠) وسيقول « ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله » (عب ٢٠ : ١٣) ويقول للآب « الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد » (يو ١٧ : ١٢) ·

□ **المنتهى :**

ويتبع المجيء الثاني المنتهى · هذا ما نفهمه من نص سؤال الرسل للرب يسوع « قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر » (مت ٢٤ : ٣) فيتبع مجيء السيد المسيح ثانية منتهى الدهر ، أي نهاية العالم القائم (١ كو ١٥ : ٢٤) وهذه النهاية هي انقضاء ملك المسيح كفادٍ

للعالم ، ونهاية كل شيء بحسب تعبير الرسول بطرس (١ بط ٤ : ٧) ٠

☐ القيامة العامة الواحدة :

يخبرنا الكتاب المقدس بأن الأموات سيقومون جميعاً في منتهى الدهر أي ان نفوسهم ستتحد بأجسامهم وهذه القيامة هي القيامة العامة الواحدة الوحيدة التي لا ثانية لها ٠ وهي قيامة الأموات كافة : الأبرار فيهم والأشرار ٠ على حد قول الرسول بولس « ولي رجاء بالله في ما هم أيضاً ينتظرون انه سوف تكون قيامة للأموات الأبرار والأثمة » (اع ٢٤ : ١٥) ويقول صاحب الرؤيا عن الرب يسوع : « هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه ، وينوح عليه جميع قبائل الأرض » (رؤ ١ : ٧) ٠ فاذ ستنظره كل عين حتى عيون الذين طعنوه لا بد من أن تكون القيامة شاملة جميع الناس بجميع طبقاتهم واتجاهاتهم الصالحين والطالحين وهذا واضح أيضاً من قول الرب يسوع القائل : « لا تتعجبوا من هذا فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٩) ولا يسبق الأحياء الأموات في القيامة العامة ، على حد قول الرسول بولس : « فاننا نقول لكم هذا بكلمة الرب اننا نحن الأحياء الباقين الى مجيء الرب لا نسبق الراقدين ٠ لأن الرب نفسه بهتاف ، بصوت رئيس الملائكة وبوق الله ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً ٠ ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء ، وهكذا نكون كل حين مع الرب » (١ تس ٤ : ١٥ ـ ١٧) ٠ فبقول الرسول « الأموات في المسيح

سيقومون أولا » (اتس ٤ : ١٦) لا يعني أنه توجد قيامتان الأولى للأموات والثانية للأحياء ·

فلا يوجد الا قيامة واحدة عامة ، لا يسبق فيها الأحياء الأموات ، بل الأموات في المسيح يقومون أولا ثم يخطفون مع الأحياء لملاقاة الرب في الجو ·

أما قول الرسول بولس « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته · لعلي أبلغ الى قيامة الأموات · وليس آني قد نلت أو صرت كاملاً ولكنني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع » (في ٣ : ١١ و ١٢) · فالرسول يعني « بقيامة الأموات » قيامة من الموت الأدبي ، فالتعبير مجازي ولا غرو فقد استعمل الرب يسوع هذا التعبير ذاته عن قيامة الانسان مع الموت الأدبي بقوله : « الحق الحق أقول لكم انه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » (يو ٥ : ٢٥) ·

□ معنى الملك ألف سنة :

يعتقد بعضهم أنه عند مجيء ربنا يسوع المسيح ثانية ستكون قيامة بالجسد خاصة للأبرار والذين استشهدوا من أجل اسمه له المجد وسيملكون معه ملكاً أرضياً سعيداً لمدة ألف سنة في المدينة المقدسة · مستندين بذلك الى آية صاحب الرؤيا عن الأبرار « فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة » (رؤ ٢٠ : ٤) · وان بداية الألف سنة هي موت المسيح الدجال وازالة دولته ، وحينئذ يقوم الأبرار من الموت بأجساد روحية باقية غير فانية ولا متألمة وتتحد بها نفوسهم ويملكون مع المسيح ألف سنة ملكاً أرضياً سعيداً ، وان الشيطان يكون معتقلاً

في هذه المدة • وان هذا الملك تصحبه التصرفات العادية كالحرث والنسل ، وان في هذا الوقت يتم قول أشعيا « يسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي •• » (اش ١١ : ٦ ـ ٩) كما كان في جنة عدن وسفينة نوح •

وقد اعتقد بذلك بابياس الراعي أسقف هيروبوليس بآسيا الصغرى سنة (١١٠ ـ ٢١٦ م) وايريناوس أسقف ليون الذي نبغ سنة (١٧٠ م) واعتبرت الكنيسة رأييهما مخالفين لما تسلمته من الرسل عن الرب يسوع الذي قال لبيلاطس : « مملكتي ليست من هذا العالم ، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلَّم الى اليهود •• » (يو ١٨ : ٣٦) وان الطابع العام لمملكة السيد المسيح هو الطابع الروحي الذي فيه يملك على القلوب ، ولذلك فقول صاحب الرؤيا يفسَّر لا حرفياً بل مجازياً ويعني نشر الانجيل المقدس في أقطار العالم وسيطرته على قلوب الشعوب وتأثيره فيهم • وقد رفض آباؤنا السريان التفسير الحرفي لما ورد في سفر الرؤيا عن الملك الألفي وهكذا فعل كبار آباء الكنيسة في القرون الأولى ، منهم القديس غريغوريوس الكبير في القرن الرابع الذي تكلم عن ذلك باسهاب •

وأخذ آباء الكنائس الرسولية وعلماؤها كافة برأي المُلك الروحي ما عدا بعض علماء من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الشقيقة وفي مقدمتهم العلاّمة ابن كاتب قيصر الذي عاصر أولاد العسال في القرن الثالث عشر للميلاد وقَبِل واياهم برأي الملك الألفي الحرفي بل تطرف كثيراً حتى انه أخَذ بنظرية تعيين سنة مجيء الرب ثانية • وهذه النظرية تحدد سنة (١٩٩٦) لبدء الدولة الدجالية (ومدتها ثلاث سنين ونصف) حسب سفر

الرؤيا (١٣ : ٥ و ٦) بالتفسير الحرفي • وفي نحو سنة ٢٠٠٠ م سيأتي المسيح ثانية وهذه السنة هي بداية ملكه الألفي (كذا) •

ان تحديد موعد المجيء الثاني للسيد المسيح يضاد فكرة الله التي جعلت القصد الرئيسي من الكلام عن المجيء الثاني تنبيه المؤمنين واعدادهم لاستقبال الرب بمجيئه الثاني (انظر ٢ تس ٢ : ١ ـ ٢) •

لقد حاول العديدون مثل العالم القبطي الكبير ابن كاتب قيصر ، تعيين سنة مجيء الرب ثانية وفشلوا فشلاً ذريعاً • فالرب يسوع لم يضع بسلطاننا معرفة موعد مجيئه •• وهو لئن أعطانا بعض علامات مجيئه ، انما يريد أن نكون دائماً مستعدين للقائه ، بقوله : « اسهروا اذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم • واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب • لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الانسان » (مت ٢٤ : ٤٢ ـ ٤٤) « اسهروا وصلّوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت » (مر ١٣ : ٣٣) • وبناء على هذه الوصية كان الرسل مستعدين دائماً للقاء الرب ، حتى ان الرسول بولس ظن أن الرب يأتي والرسول بولس ما يزال على قيد الحياة ، لذلك قال : « ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب » (اتس ٤ : ١٧) •

واذا فسرنا « الملك الألفي » حرفياً سنصطدم بحقيقة ما سيحدث في مجيء الرب ، فان السماء والأرض ستنحلان عند ظهوره له المجد ، فلا يوجد له مكان على الأرض ليملك ان آتى ليملك ملكاً دنيوياً ، وهذا يؤيده الرسول بطرس بقوله : « ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السموات

بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها · فبما ان هذه كلها تنحل أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب الذي به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب » (٢ بط ٣ : ١٠ ـ ١٢) · وكما سبق وقلنا فان القيامة العامة هي واحدة · ونكرر هنا قول الرب القائل : « لا تتعجبوا من هذا فانه ستأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٧ و ٢٩) ·

□ الدينونة العامة الواحدة :

لا تنال نفوس الأبرار الثواب وتدخل السماء ، كما لا تنال نفوس الأشرار العقاب وتهبط الى الجحيم حالا بعد الموت · بل تنتظر النفوس كافة يوم القيامة لتتحد بأجسادها فتنال ما تستحقه بعدالة : امَّا الثواب وامَّا العقاب · ذلك ان عدل الله لا يسمح أن تنال النفس وحدها السعادة أو العذاب طالما جسدها قد شاركها عمل الخير أو الشر في الحياة الدنيا · النفوس خالدة لا تموت ، وتبقى نفوس الصالحين بعد انفصالها عن أجسادها سعيدة بعربون المجد الى يوم القيامة في الفردوس مع نفس اللص التائب الذي وعده الرب على الصليب بأن يكون معه في ذلك اليوم في الفردوس ، والفردوس هو غير الملكوت الذي سيرثه الأبرار في السماء بعد الدينونة · وكذلك تبقى نفوس الأشرار محفوظة في الهاوية وتشعر بخوف ورعدة مما ستناله من العذاب بعد الدينونة في جهنم ويؤنبها الضمير على ما اقترفته من آثام ··

ولا يقضى بالسعادة الأبدية ، ولا بالعذاب الأبدي ، اذن

الا في يوم الدينونة العظيم حيث تكون النفوس قد اتحدت بأجسادها .

ولو كانت النفوس تنال السعادة الكاملة أو العذاب الكامل قبل الدينونة العامة لما كانت الحاجة الى القيامة العامة . ولكن عدالة الله اقتضت أن تتحد النفوس بأجسادها ثم يقف الانسان بنفسه وجسده أمام منبر المسيح ليدان على أعماله وأقواله وأفكاره ويصدر عليه الحكم الأخير بالنعيم أو العذاب . وهذا واضح من أقوال الكتاب المقدس . فقد قال صاحب الرؤيا على لسان الرب يسوع : « ها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله » (رؤ ٢٢ : ١٢) . وقال الرب « فان ابن الانسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله » (مت ١٦ : ٢٧) «ومتى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته ... فيمضي الأشرار الى عذاب أبدي ، والأبرار الى حياة أبدية » (مت ٢٥ : ٣١ ـ ٤٦) .

فلا ينال الأبرار الثواب ولا الأشرار العقاب الا بعد القيامة العامة والدينونة العامة ، واصدار الحكم على كل انسان . وبهذا الصدد يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في تفسير آية الرسول بولس (٢ كو ٤ : ١٣ و ١٤) « فان لنا روح الايمان نفسه » ما يأتي : « ان بولس يقول انه لم ينل الاكليل بعد هو ولا أحد آخر غيره من الذين أرضوا الله منذ الابتداء

ولا ينالونه أيضاً حتى يوافي كل العتيدين أن يكملوا حتى الانقضاء ثم يثبت القديس انه من الواجب أن يصير الأمر على هذه الصفة ليزيد الصديقين طرباً وتهليلا من حيث انهم كلهم اخوة وجميعهم واحد ٠ وفرح الواحد منهم يصيب الآخر حتى ان الآب السماوي يفرح عند ذلك فرحاً زائداً بسروره بأولاده كلهم مجتمعين الى واحد ٠٠٠٠ فاعتبروا أنتم الأهمية الكائنة بأن ابراهيم الخليل وبولس الرسول مقيمان بانتظاركم حتى تكملوا أنتم أيضاً ليمكنهم أن ينالوا عند ذلك الثواب لأن الآب سبق فقال لهم انه ان لم توافوا أنتم أيضاً لا يعطيهم ذلك »(١) ٠

☐ السماء الجديدة أو الحياة الأبدية :

يقول يوحنا في رؤياه : « ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع ٠ ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله ، وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم ٠ ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا » (رؤ ٢٠ : ١١ و ١٢) ٠ وقال الرسول بطرس « ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر » (٢ بط ٣ : ١٣) ٠

لا يمكننا أن ندرك بعقولنا البشرية ما هية هذه السموات، وأن نحدد موقعها ونعرف ما تحويه من كائنات روحية ٠ وكل ما نعرفه عنها هو ما سمح الله باعلانه بالوحي الالهي ومنه نعلم أن السماء هي حالة السعادة الدائمة مع الله وملائكته وهي أيضاً

---

١ ـ المطهر تحت المجهر بقلم دلوار شنودة المنفلوطي أسيوط ١٩٤٧ ص ٩٠ و ٩٢ ٠

حالة المجد السامق والقداسة التامة والسلطة المطلقة . فمن يرث السماء يرث الحياة الأبدية التي وصفها الرسول بولس بقوله : « ما لم ترَ عين وما لم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه » (١ كو ٢ : ٩) .

فالسماء بالنسبة الى المؤمنين الصالحين هي المكان الذي يعده ابن الله لهم اتماماً لوعده لتلاميذه بقوله : « أنا أمضي لأعد لكم مكاناً وان مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم اليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً » (يو ١٤ : ٣) وحيث المسيح في السماء فالحالة حالة مجد لا يفنى ، وصاحب الرؤيا رأى أولئك المنتصرين مع الرب ويصفهم بقوله : « قد غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الخروف من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم. لن يجوعوا بعدُ ولن يعطشوا بعدُ ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم » (رؤ ٧ : ١٤ ـ ١٧) .

ولما جادل اسطيفانس اليونانيين ، وقد حنقوا عليه بقلوبهم وصرّوا بأسنانهم : « وأما هو فشخص الى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله ، فقال : ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الانسان قائماً عن يمين الله » (اع ٧ : ٥٤ ـ ٥٦) .

والكلام عن اليمين واليسار كلام مجازي ، اذ ان الله تعالى روح محض لا يحده مكان ، وموجود في كل مكان ، فلا يفهم الكلام حرفيا بل يكنى باليمين عن مكان المجد والسلطة وعن اليسار بعكس ذلك . وهذا هو المفهوم من قول صاحب المزامير

« وقال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » (أع ٢ : ٣٤ و ٣٥) فيعني قول الآب السماوي لابنه الحبيب : لك أعطي السلطان والمجد فتخضع لك أعداؤك ٠

ووعد الرب المؤمنين قائلاً : « من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا وجلست مع أبي في عرشه » (رؤ ٣ : ٢١) هذا هو الميراث الذي لا يفنى ولا يضمحل المحفوظ في السموات لأجلنا (١ بط ١ : ٤) ٠

وسيكون الأبرار في السماء كملائكة الله (مت ٢٢ : ٣٠) وسيضيئون نوراً ومجداً كقول الكتاب « حينئذ يضيء الصديقون كالشمس في ملكوت أبيهم » (مت ٣ : ٤٣) ٠

ويقول الرسول بولس « ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (في ٣ : ٢٠ و ٢١) وهو يريد بجسد مجده هيئته في وقت تجلّيه حيث قيل « ان هيئته تغيرت وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور » (مت ١٧ : ٢) ففي السماء سنكون بملء قامة المسيح شباناً كاملي السن كاملي الصفات ، كاملين في الجمال ، كاملين في القوة ، كاملين في المعرفة ، وهكذا تعاد الينا صورة الله التي كانت لنا يوم خلقنا الله على صورته كمثاله ٠

وفي السماء سيلتقي الأتقياء الرب يسوع ، وسيعرف المؤمنون بعضهم بعضاً كما عرف التلاميذ موسى وايليا على جبل التجلي ٠ ويلتقي المؤمنون الآباء والأنبياء والقديسين والأتقياء والشهداء والرسل الأطهار والأقارب والأصدقاء والأحباء ٠ فما أسعد الحياة الأبدية في السماء ٠

□ عقـاب الأشرار :

قال الرب يسوع « فيمضي هؤلاء (الأشرار) الى عذاب أبدي والأبرار الى حيوة أبدية » (مت ٢٥ : ٤٦) وقال الرسول بولس : « بَيِّنَـــة على قضاء الله العادل انكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضا اذ هو عادل عند الله ، ان الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقا • واياكم الذين تتضايقون راحـة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوتـه • في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح • الذين سيعاقبون بهلاك أبدي مـن وجه الرب ومن مجد قوته » (٢ تس ١ : ٥ ـ ٩) •

فقد أنذر الله الخاطىء ، بوسـائل عـديدة ، وسبل شتى ليتوب ويعود اليه تعالى • فاذا لم يرعو فعقابه الأبدي صارم ، بهذا الصدد يقول الرسول بولس للخاطىء : « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسـب أعماله » (رو ٢ : ٥ و ٦) « فهو ذا لطف الله وصرامته ، أمـا الصرامة فعلى الذين سقطوا ، وأمـا اللطف فلك ان ثبتّ في اللطف ، والا فأنت أيضـاً ستقطـع » (رو ١١ : ٢٢) وقـال الرسول بطرس ان الله « يحفظ الأثمة الى يوم الدين معاقبـين » (٢ بط ٢ : ٩) •

□ تفاوت العقـاب :

« وسـيجازي (الرب) كـل واحـد حسـب أعمـالـه » (رو ٢ : ٥ و ٦) فيتوقف عقاب الانسان على قـدر معرفتـه وتمييزه بين الخير والشر والحق والضلال • فاليهود الذين لم يؤمنوا بالرب يسوع ينالون عقاباً صارماً ، لذلك قال عنهم

له لمجد « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية ٠ أما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم » (يو ١٥ : ٢٢) ٠ وقد حكم الرب بأن خطية اليهود عظيمة حيث قال لبيلاطس « الذي أسلمني اليك له خطية أعظم » (يو ١٩ : ١١) ٠ وقال للكتبة والفريسيين : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلاتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم » (مت ٢٣ : ١٤) ٠ كما أعطى الويل لكورزين وبيت صيدا وقال « ان صور وصيدا تكون حالتهما أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما » (مت ١١ : ٢٠ ـ ٢٤) فخطية العارف اذن كبيرة وان صغرت ٠

☐ جهنم :

قال الرب يسوع « هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم في آتون النار ٠ هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»(مت١٣:٤٩و٥٠) ٠

ان أتون النار هذا يدعوه الرب يسوع في موضع آخر (جهنم) ويعتبر هذا المكان محلاً للعقاب الأبدي بقوله لتلاميذه : « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ٠٠ بل بالحري خافوا من الذي بعدما يقتل له سلطان أن يلقي في جهنم ، نعم أقول لكم من هذا خافوا » (لو ١٢ : ٤ ـ ٦) ٠ وقال الرب أيضاً : « من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم » (مت ٥ : ٢٢) ٠

وقد أعدت جهنم لابليس وملائكته الذين لم يحفظوا رئاستهم بل سقطوا من نعمة الله فحفظهم مقيدين « بقيود آبدية تحت الظلام » (يهوذا ٦) ويقول عنهم الرسول بطرس « في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم محروسين للقضاء »

(٢ بط ٢ : ٢٤) . ويقول الرب يوم الدين للأشرار « اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته » (مت ٢٥ : ٤١) .

كما أضحت جهنم المكان الأبدي لكل من يختار لنفسه ابليس الهاً له فيخضع لأوامره ويعصي بذلك أوامر الله . وان الأبالسة يعرفون مصيرهم لذلك قالوا للرب مرة : « ما لنا ولك يا يسوع ابن الله ، أجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا » (مت ٨ : ٢٩) .

وقد دعا الرب العذاب الأبدي ظلاماً بقوله عن الأشرار : « يطرحون الى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت ٨ : ١٢) كما دعاه دينونة بقوله : « كيف تهربون من دينونة جهنم » (مت ٢٣ : ٣٣) و « يخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٩) . كما يسميه هلاكاً بقوله : « الذين نهايتهم الهلاك » (في ٣ : ١٩) « والذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته » (٢ تس ١ : ٩) كما يدعوه ناراً بقوله للأشرار « اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته » (مت ٢٥ : ٤١) « ويطرحونهم في أتون النار » (مت ١٣ : ٤٢) وجاء في سفر الرؤيا عن هؤلاء الطالحين ان « نصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت » (رؤ ٢١ : ٨) « وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طرح في بحيرة النار » (رؤ ٢٠ : ١٥) .

وهذه الألفاظ هي صفات وتسميات حقيقية للمكان الذي أعده الله لعذاب الأشرار عذاباً أبدياً . ولو اعتبرت تلك الألفاظ مستعارة لدلت على أن العذاب أشد وأقوى وأقسى مما نتصوره .

وقد وصفت السعادة بكونها أبدية في السماء ، وبهذا الصدد يقول الكتاب « يملك الرب الى الدهر والأبد » (خر ١٥ : ١٨) « أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة الى الأبد والى أبد الآبدين » (دا ٧ : ١٨) « والفاهمون يضيئون كالكواكب الى الأبد » (دا ١٢ : ٣) ٠

كما وصف العذاب أيضاً بكونه أبدياً فجاء في سفر الرؤيا: « يصعد دخان عذابهم الى أبد الآبدين » (رؤ ١٤ : ١١) « وسيعذبون نهاراً وليلاً الى أبد الآبدين » (رؤ ٢٠ : ١٠) وقال الرسول يهوذا : « حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام » (يهوذا ٦) وقال الرب « يمضي هؤلاء (الأشرار) الى عذاب أبدي » (مت ٢٥ : ٤٦) و « نار أبدية » (مت ١٨ : ٨) ومن هذه الآيات نفهم أيضاً أنه لا يوجد للثواب والعقاب سوى مكانين ، لا ثالث لهما وهما النعيم الدائم في السماء المكان الذي يثاب فيه الأبرار متنعمين الى الأبد ، والجحيم الذي يتعذب فيه الأشرار كعقاب لهم أبدي ٠

☐ موقفنا من مجيء الرب يسوع ثانية :

يقف الناس من حقيقة المجيء الثاني مواقف عديدة فقسم لا يؤمنون بالحقائق الالهية كافة، أولئك وصفهم صاحب المزامير بالجهل بقوله : « وقال الجاهل في قلبه ليس اله » (مز ١٤ : ١)، ودينونتهم صارمة ، ومثلهم الغافلون غير المبالين أولئك الذين قال فيهم الرب : « كما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الانسان ، كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون الى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع » (لو ١٧ : ٢٦ و ٢٧) ٠ كان نوح طيلة مدة صنعه الفلك يعظ قومه ليتوبوا ، وينذرهم بأن الله سيغرقهم

بطوفان عام ولكنهم لم يبالوا بكلامه ، وعدم مبالاتهم لم تمنع الطوفان ، فحالما دخل نوح الفلك جاء الطوفان وأخذ الجميع ، كذلك في مجيء الرب ثانية لا يمنع عدم مبالاة الناس بهذه الحقيقة الالهية من مجيء الرب ، وستنظره كل عين ، وينوح الذين طعنوه ··· ولات ساعة مندم ·

وقوم يستهزئون لدى سماعهم هذه الحقائق السامية فهم منهمكون بجمع المال ، والتمرغ بالشهوات ، وقد سبق الرسول بطرس وتنبأ عنهم بقوله : « عالمين هذا أولاً سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه · لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باق هكذا من بدء الخليقة » (٢ بط ٣ : ٣ و ٤) وتشبه حال هؤلاء ما جرى لجيل لوط الذين قال فيهم الرب يسوع : « كذلك أيضاً كما كان في أيام لوط يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون · ولكن اليوم الذي فيه خرج لوط من سدوم أمطر ناراً وكبريتاً من السماء فأهلك الجميع » (لو ١٧ : ٢٨). فلوط كان يسكن في سدوم يوم بلغت شرور أهلها الى السماء ، فغضب الرب عليهم فأرسل ملاكين لينذرا لوطاً ليخرج من المدينة لأن الرب مهلك المدينة وأهلها · فصدق لوط الرسالة وقبلها ، وأخبر أختانه ، وطلب اليهم ليرافقوه ولكنه صار كمازح في أعينهم . فتركهم وغادر المدينة ، واذا بالنار والكبريت تحول المدينة وأهلها الى رماد أسود ·· فحالة الناس أيام نوح ولوط تشبه حالتهم أيام مجيء الرب يسوع ثانية ، بل تشبه حالة أغلب الناس في أيامنا هذه التي اتصفت بالاستهتار بالحقائق الالهية ·

أما القسم الأخير من الناس ، وهم قلة ، فهم المنتظرون مجيء الرب بشوق عظيم ، ويمثلهم بذلك صاحب الرؤيا الرسول

يوحنا الذي يستهل رؤياه بقوله : « هوذا يأتي (المسيح) مع السحاب وستنظره كل عين » (رؤ ١ : ٧) ويختم رؤياه بقوله على لسان الرب : « أنا آتي سريعاً » ويوحنا يجيب الرب بشوق وايمان : « آمين تعال أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢ : ٢٠) ٠

هؤلاء أناس يمثلون السماء على الأرض ، فقلوبهم في السماء ، وكنوزهم في السماء (مت ٦ : ٢١) وسيرتهم في السموات التي منها أيضاً ينتظرون مخلصاً هو الرب يسوع المسيح (في ٣ : ٢٠) على حد قول الرسول بولس ٠ لذلك سرجهم ، كالعذارى الحكيمات ، موقدة ، وزيتهم في آنيتهم مترع ٠ وكالأمناء المجتهدين يتاجرون بالوزنات وهم من الرابحين ، وعندما يأتي سيدهم سيخطفون معه في الجو ، ليرثوا معه ملكوته السماوي ٠

★ ★ ★

القِيَم الدينية وتنظيم الأسرة *

□ السيد المسيح يهتم برفاهية الانسان :

من الحقائق الجلية أن السيد المسيح قد اهتم بتوفير الرفاهية والسعادة للانسان ، وكما يعلمنا آباء الكنيسة ان الله قد خلق الأرض وما عليها والجنة بما فيها لاسعاد الانسان ككل روحاً وجسداً ، لذلك يقول الكتاب « أنتم هياكل الله وروح الله حال فيكم ، ألا تعلمون أن أجسادكم هي هياكل الروح القدس » .

□ السيد المسيح يهتم بالأسرة :

وقد شمل هذا الاهتمام الانسان فرداً وجماعة ، فرآينا السيد المسيح يكلم السامرية على البئر ليمنحها الخلاص ، ويخاطب زكا العشار وهو على الجميزة ليدخل بيته ويعطي الخلاص لذلك البيت كما قال « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » كما لم تخرج الأسرة من دائرة اهتمامه الالهي ، فقد تحدث عن الروابط بين المرأة والرجل وأكد أنهما بالزواج يصيران جسداً واحداً كما أعطى مكانة مرموقة للمرأة وأزال عنها الغبن الذي

★ المحاضرة التي ألقاها المؤلف في الحلقة الدراسية عن المسألة السكانية ورفاهية المواطن العربي التي عقدها مجلس كنائس الشرق الأوسط في الاسكندرية ما بين ٨ ـ ١٤ حزيران ١٩٧٥ ونشرت في المجلة البطريركية العدد ١٢٦ عام ١٩٧٥ وفي كتيب بعنوان « تنظيم الأسرة ـ وجهات نظر مسيحية » طبعة لجنة الأسرة في أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية في بطريركية الأقباط الأرثوذكس في القاهرة عام ١٩٧٦ .

كانت تعيش فيه في اليهودية ، فقد كان اليهودي يقف أمام ربه في كل صباح مصلياً قائلا « أشكرك اللهم لأنك لم تخلقني بهيمة ولا امرأة » وأقام المساواة بين الرجل والمرأة « ليس ذكر ولا أنثى الكل واحد في المسيح » ان الله خلق حواء واحدة لآدم واحد لتكون معينة له ، لذلك فان الكنيسة شددت على قصر الزواج بواحدة ، وهذا ما آكده السيد المسيح حيث قال « ويكون كلاهما جسداً واحداً » كما صان حقوق المرأة بقوله لليهود « ان موسى من أجل قساوة قلوبكم اذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هكذا وأقول لكم ان من طلق امرأته الا لسبب الزنى وتزوج بأخرى يزني » (مت ١٩ : ٨ و ٩) ٠

وقد شارك السيد المسيح الناس في مشاعرهم فحضر عرس قانا الجليل وقدس الزواج كما حضر الى قرية بيت عنيا ليعزي مريم ومرتا وأقام لعازر أخاهما من الموت ٠ واهتم بالجماهير الجائعة فقدم لها طعاماً بمعجزة تكثير الخبز ووصفه الكتاب بقوله « كان يجول في المدن يصنع خيراً » وأخيراً فدى البشرية بتقديم نفسه كفارة عنها ، وأطاع حتى الموت موت الصليب « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » ٠

□ الكنيسة الأولى تهتم بالانسان :

وقد حملت الكنيسة الأولى صليبه وتبعته في طريق نكران الذات والتضحية في سبيل الآخرين ، لذلك أرسلت كنيسة أنطاكية اسعافاً مادياً الى كنيسة أورشليم التي كانت تعاني المجاعة مثلما يذكر سفر أعمال الرسل ٠

ويثبت التاريخ الكنسي أن الكنيسة في كل أجيالها كانت تشيد دوراً لايواء الغرباء وتضميد الجرحى والاعتناء بالمرضى

والشيوخ ، كما اهتمت بتعليم الناس وتثقيفهم ليس بالثقافة الدينية وحسب بل أيضاً بالعلوم العامة كالطب والفلك والفلسفة والتاريخ واللغة وغيرها ٠

فالدين لا يقتصر على خلاص الروح ، انما يتعداها الى الاعتناء بالجسد لأنه يعتني بالانسان ككل ٠

وفي عصرنا هذا ، تواجه الكنيسة مشكلة ما يسمى « بتنظيم الأسرة » ويبرز أمامها هذا السؤال الكبير : أيهما أفضل للأسرة أن تضم عدداً كبيراً من الأفراد يعجز حياله الأبوان عن توفير الحياة المريحة لهم ، أم تكتفي بعدد قليل منهم تعتني بتربية أجسادهم ونفوسهم تربية سليمة ٠٠٠ ولا بد للكنيسة من أن تحدد موقفها من ذلك ، فدورها الفعال في تكوين الأسرة المسيحية يلزمها الشعور بالمسؤولية لاسعاد أفرادها قدر المستطاع. وهنا يجب أن نشير الى الغاية الأولى للزواج ٠

□ الغاية المنشودة من الزواج المسيحي :

ان الجواب المتوقع هو ان الزواج يهدف الى حفظ النوع ، ولكن الله عندما خلق آدم قال : « ليس جيداً أن يكون آدم وحده » فخلق له حواء معينة له ٠ فحواء خلقت لاعانة آدم ، وبعبارة أخرى لاسعاده ٠ كما اننا نفهم من آية الرسول بولس القائلة « الزواج أفضل من التحرق » ان الغاية من الزواج ليست فقط انجاب النسل بل هي أيضاً الحفظ من الخطيئة وهذا ما أوضحه الرسول في قوله « ولكن بسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل ، ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل ، وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة ٠ لا يسلب أحدكم الآخر الا أن يكون على موافقة الى

حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم » (١ كو ٧ : ٢ ـ ٥).

كما يجب ألا ننسى أن الزواج المسيحي يسمو عن الجسد فهو شركة روحية بين الرجل والمرأة مبنية على المحبة المسيحية الخالصة لذلك يوصي الرسول بولس قائلا : أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها » وأوصى المرأة قائلا « أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب » ...

والحب في الزواج الناجح أمر لازم وهو مصدر التضحية ونكران الذات في الأسرة .

☐ وجوب اهتمام كنيسة اليوم بالأسرة :

انطلاقاً من هذا المبدأ ، وشعوراً منا بالمسؤولية الروحية والاجتماعية ، من مسألة تنظيم الأسرة ، ولتوفير المناخ الملائم لراحة ضمير الوالدين وحتى لا يقفا موقفاً سالباً تجاه المسؤولية الوالدية الخطيرة ، نقول ان على الكنيسة أن تتمثل بالسامري الصالح فتنقذ الساقط بين اللصوص وتضمد جراحاته وتحمله الى الفندق وتعتني به ولا تكون كالكاهن واللاوي اللذين رآياه يتخبط في دمائه ويئن من شدة آلامه ولكنهما تركاه دون أن يمدا له يد المساعدة . فاذا عانت الأسرة الآلام والمتاعب والضيقات نفسياً وجسدياً ووقفت الكنيسة ازاء ذلك موقف المتفرج تكون قد شابهت الكتبة والفريسيين الذين قد أعطاهم السيد المسيح الويل لأنهم يضعون أحمالا ثقيلة على كواهل الناس ولا يزيحونها بأصبعهم .

ان سعينا واهتمامنا في موضوع تنظيم الأسرة ، لا يعنيان

عدم ايماننا بقدرة الله سبحانه وتعالى على سد أعواز البشرية . فقد أوصانا قائلا « لا تهتموا لأجسادكم بما تأكلون .. أليس الجسد أفضل من الطعام » ولكننا لا بد من أن نفرق بين اتكالنا على الله وبين التواكل ، فان الاتكال على الله يرتبط بالسعي والجهد الايجابي من قبل الانسان .

☐ المسؤولية الوالدية وتنظيم الأسرة :

اننا نقصد بتنظيم الأسرة اتاحة الفرصة للوالدين ليلدوا أولادهم ليس بالجسد فحسب « المولود من الجسد جسد هو » بل بالروح أيضاً « المولود من الروح روح هو » لكي يصيروا أولاد الله وليخدموا وطنهم مثلما يليق بالمؤمن الصالح ، ولكي يقولوا بالشكر « ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله » (عب ٢ : ٣) .

☐ تنظيم الأسرة ووسائل منع الحمل :

وحيث ان الزواج لا يهدف الى انجاب النسل فقط ، بل أيضاً الى الحفظ من الخطيئة كما قلنا سابقاً ، وحيث اننا نسعى الى ايجاد الأسرة السليمة الصالحة والأسرة هي خلية المجتمع ، لذلك لا نرى أي حرج على الزوجين من استعمال وسائل منع الحمل عند الضرورة سعياً الى تنظيم الأسرة .

ان بعض السلطات الروحية ، تجيز أن يمتنع الرجل عن الاجتماع بالمرأة في الأيام التي تكون فيها المرأة مهيأة للاخصاب ليتحاشى انجاب النسل حيث تموت البويضة المهيأة للاخصاب . فاذا كان ذلك كذلك فما هو المانع من استخدام وسيلة آخرى لبلوغ هذه الغاية بالذات أي جعل البويضة غير قابلة للاخصاب؟ عجبي لأولئك الذين يقيمون الدنيا ولا يقعدونها ضد استعمال

موانع الحمل معتبرين ذلك تدخلا في أمور الله وهم في الوقت نفسه يسمحون بل يوصون باستعمال الأدوية التي تعالج العقم وتقوي الغريزة التناسلية ، ولا يعتبرون عملهم هذا تدخلا في شؤونه تعالى • فاذا سمحنا لأنفسنا بوصف أدوية تقوية النسل جاز لنا حتماً وصف أدوية مضادة أي لمنع الحمل وبعبارة أفضل لتنظيم النسل من أجل صحة الأم وصحة الطفل نفسه بتوفير فترة متباعدة بين المواليد لتتاح الفرصة للوالدين لتربية الطفل جسداً وروحاً « لينمو بالقامة والنعمة لدى الله والناس » •

☐ الاجهاض قتل :

أما فيما يتصل بموضوع الاجهاض ، فان الأمر يستلزم معرفة بدء تكوين الجنين في بطن أمه باتحاد الروح فيه • فقد قال أرسطو « ان الروح تدخل الجنين الذكر حين يكون عمره أربعين يوماً ، وفي الجنين الأنثى حين يكون عمره تسعين يوماً » والى ذلك استند بعض آباء الكنيسة ففسروا عبارة « من صدم امرأة حبلى يدفع اذا حدث اجهاض ولم تحصل أذية ، وأما اذا حصلت أذية فيجب أن تؤخذ نفس بنفس » (خر ٢١ : ٢٢ ، ٥٣) فحدد الآباء « الأذية » بأن يكون الجنين كاملا أثناء الصدمة والاجهاض ، وعدم الأذية هو عدم تكامل الجنين •

☐ الجنين في بطن أمه نفس حية :

ونحن نرى أن هذا من اختصاص الأطباء فهم أقدر على تحديد الزمن الذي فيه يتكون الجنين في بطن أمه ، ومن الكتاب المقدس نستدل على أن للجنين المتكامل في بطن أمه نفساً حية ، فالكتاب يشير الى بعض الأنبياء بأنهم امتلؤوا بالروح القدس من بطون أمهاتهم ، فقد قال الملاك لزكريا عن يوحنا المعمدان

« ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) ان اليصابات أم يوحنا قالت للعذراء مريم عندما زارتها « فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني » (لو ١ : ٤٤) فارتكاضه دليل على أنه انسان كامل التكوين روحاً وجسداً ، ودليل على انفعاله بالبهجة ، وكان عمره في أحشاء أمه يومئذ ستة أشهر فقط · من هنا نرى ان الاجهاض يعتبر قتلا طالما كان الجنين مكتملا وذا نفس حية ، ولا يجوز الاجهاض الا في حالة تعرض الأم لخطر الموت بسبب وجود الجنين في أحشائها · وتقرير هذا الأمر نضعه بين أيدي الأطباء · أما السماح بالاجهاض في هذه الحالة ، من الوجهة اللاهوتية ، فيدخل في باب الدفاع عن النفس حيث ان الأم تدافع عن نفسها ازاء جنينها الذي انقلب وجوده في أحشائها الى خطر يهدد حياتها ، علماً بأنها ان لم تتخلص منه تعرضت واياه للموت ·

☐ اتخاذ الكنيسة موقفاً ايجابياً :

وفي الختام لا بد من أن نشير الى الدور الذي يجب على الكنيسة أن تمارسه في موضوع تنظيم دراسات دينية علمية وافية مستعينة بذوي الاختصاص كما فعل مجلس كنائس الشرق الأوسط في حلقته الدراسية هذه لكي تتخذ موقفاً ايجابياً صريحاً يريح ضمائر المؤمنين ويسعدهم في حياتهم الزوجية ، كما تحتاج الى حملة اعلامية مكثفة هادفة عن طريق الاذاعة والوعظ والكتابة والنشر والى تعليم النشء وتبصيره بضرورة تنظيم الأسرة تحقيقاً لرفاهيتهم وشعوراً منهم بالمسؤولية ازاء المسألة السكانية في العالم ·

أول كتاب طُبِعَ بالسريانية *

في أواسط القرن السادس عشر للميلاد ، أرسل البطريرك الأنطاكي مار أغناطيوس عبد الله اسطيفان (١٥٢٠_١٥٥٧ +) القس موسى ابن القس اسحق الصوري(١) الى النمسا، وبوساطة أستاذ القانون الكنسي، المستشرق العلاّمة يوحنا بدمانستاديوس الذي كان يجيد اللغة السريانية(٢) اهتم بطبع أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس لأول مرة باللغة السريانية طبقاً لنص الترجمة البسيطة(٣) وذلك على نفقة فردينا ندوس (١٥٠٣ _ ١٥٦٤ م) ملك رومانيا وجرمانيا وهنغاريا وبوهيميا ورئيس رؤساء النمسا الشرقية والغربية يومذاك ،

★ نشر أولا في مجلة مجمع اللغة السريانية في بغداد المجلد الثاني سنة ١٩٧٦ ٠

١ ـ الصور بلدة تقع بقرب ماردين في تركيا ٠

٢ ـ كان يجيد أيضا العبرية واليونانية واللاتينية والبلغارية ولغات أخرى بجانب الألمانية لغة بلاده ٠

٣ ـ نقل جماعة من اليهود المتنصرين أسفار الكتاب المقدس الى السريانية في القرن الأول أو صدر المئة الثانية للميلاد على الأرجح ، وسميت تلك الترجمة (فشيطتا) أي البسيطة لترك البلاغة في نقلها وتضمنت هذه الترجمة أسفار العهد الجديد كلها باستثناء رسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس ورسالة يهوذا ٠ (انظر اللؤلؤ المنثور للبطريرك أفرام الأول برصوم ، الطبعة الثانية حلب ١٩٥٦ ص ٥٧ و ٥٨) ٠

الذي بذل المال الكثير لهذه الغاية الشريفة · وتم ذلك في فيينا سنة ١٥٥٥ م ·

وقد طبع الكتاب بالقلم السرياني الغربي(٤) وحروفه دقيقة طريفة · أما رؤوس المواضيع فقد كتبت بالخط الاسطرنجيلي القديم · واستعملت فيه الحركات السريانية الخمس بجانب التنقيط ، كضوابط لغوية تساعد على القراءة الصحيحة · وقد تخلل صفحاته صور ونقوش جميلة جداً لعلامة الصليب وغيرها زادتها روعة وجمالاً ·

ويذكر الناشر انه قد استند في طبع الكتاب الى مخطوطتين سريانيتين قديمتين(٥) بعد تحقيق وتدقيق · ولا يبعد أن تكون الصور والنقوش قد أخذت من المخطوطتين المذكورتين أعلاه ·

يحتوي الكتاب على الأسفار التالية أسماؤها من العهد الجديد من الكتاب المقدس بحسب ترتيبها في الترجمة البسيطة وهي :

---

٤ ـ الخط السرياني الغربي وضع في القرن التاسع للميلاد واستعمل بجانب الخط الاسطرنجيلي حتى القرن الثاني عشر حيث غلب استعماله على الاسطرنجيلي واختص الأخير بتزيين رؤوس الفصول · ويقول البطريرك أفرام الأول برصوم في كتابه اللؤلؤ المنثور ص ٣٦ عن الخط الغربي ما يلي : « وأرى أنه القلم المسمى السرطا وبه كنا (نحن السريان الغربيين) نكتب الترسل ولم نزل عليه » ·

٥ ـ مما يؤسف له أن الناشر لم يذكر تاريخ المخطوطتين بالضبط واكتفى بقوله « مخطوطتين سريانيتين قديمتين » ·

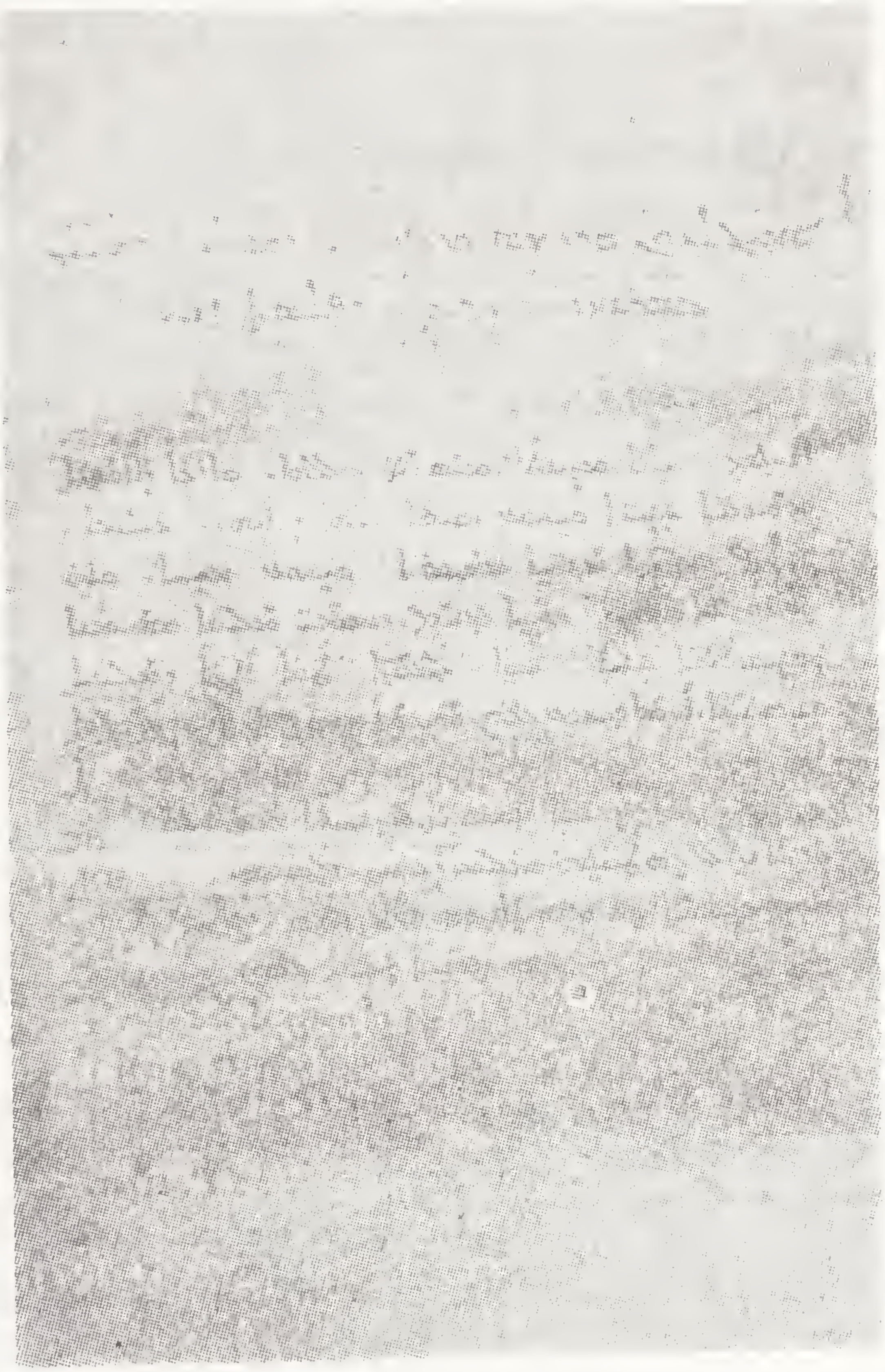

الصفحة الاولى من الكتاب عنوان انجيل متى وتاريخ طبع الكتاب

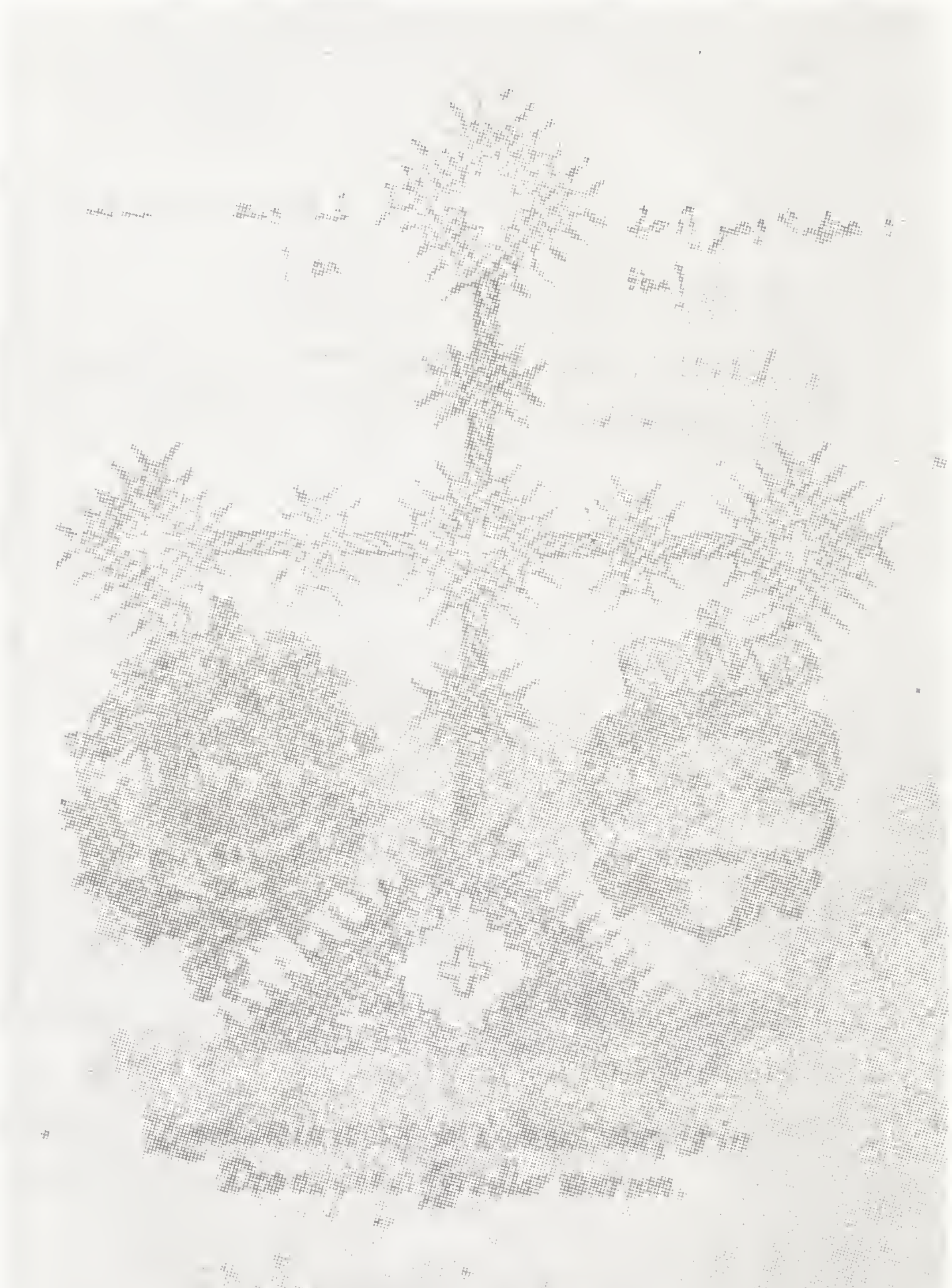

■ صورة الصليب المقدس ■

١ ـ انجيـل متى ٠
٢ ـ انجيـل مرقس ٠
٣ ـ انجيـل لوقـا ٠
٤ ـ انجيـل يوحنـا ٠
٥ ـ رسالة يعقوب الرسـول ٠
٦ ـ رسالة بطرس الرسول(٦) ٠
٧ ـ رسالة يوحنا الرسول(٧) ٠
٨ ـ سفر أعمال الرسـل ٠
٩ ـ رسالة الرسول بولس الى أهل رومية ٠
١٠ـ رسالتاه الى أهل كورنثوس الأولى والثانية ٠
١١ـ رسالته الى أهل غلاطية ٠
١٢ـ رسالته الى أهل أفسس ٠
١٣ـ رسالته الى أهل فيلبي ٠
١٤ـ رسالته الى أهل كولوسي ٠
١٥و١٦ـ رسالتاه الى أهل تسالونيكي الأولى والثانية٠
١٧و١٨ـ رسالتاه الى تيموثاوس الأولى والثانية ٠
١٩ـ رسالته الى تيطس ٠
٢٠ـ رسالته الى فليمـون ٠
٢١ـ الرسالة الى العبرانيـين(٨) ٠

---

٦ ـ وهي الرسالة الأولى لبطرس أما الثانية فغير موجودة في الترجمة البسيطة ٠
٧ ـ وهي الرسالة الأولى ليوحنا أما الثانية والثالثـة فغير موجودتين في الترجمـة البسيطة ٠ وكذلك لا وجود لرسالة يهوذا فيها ٠
٨ ـ أما سفر رؤيا يوحنا الرسول فلم يطبع ٠

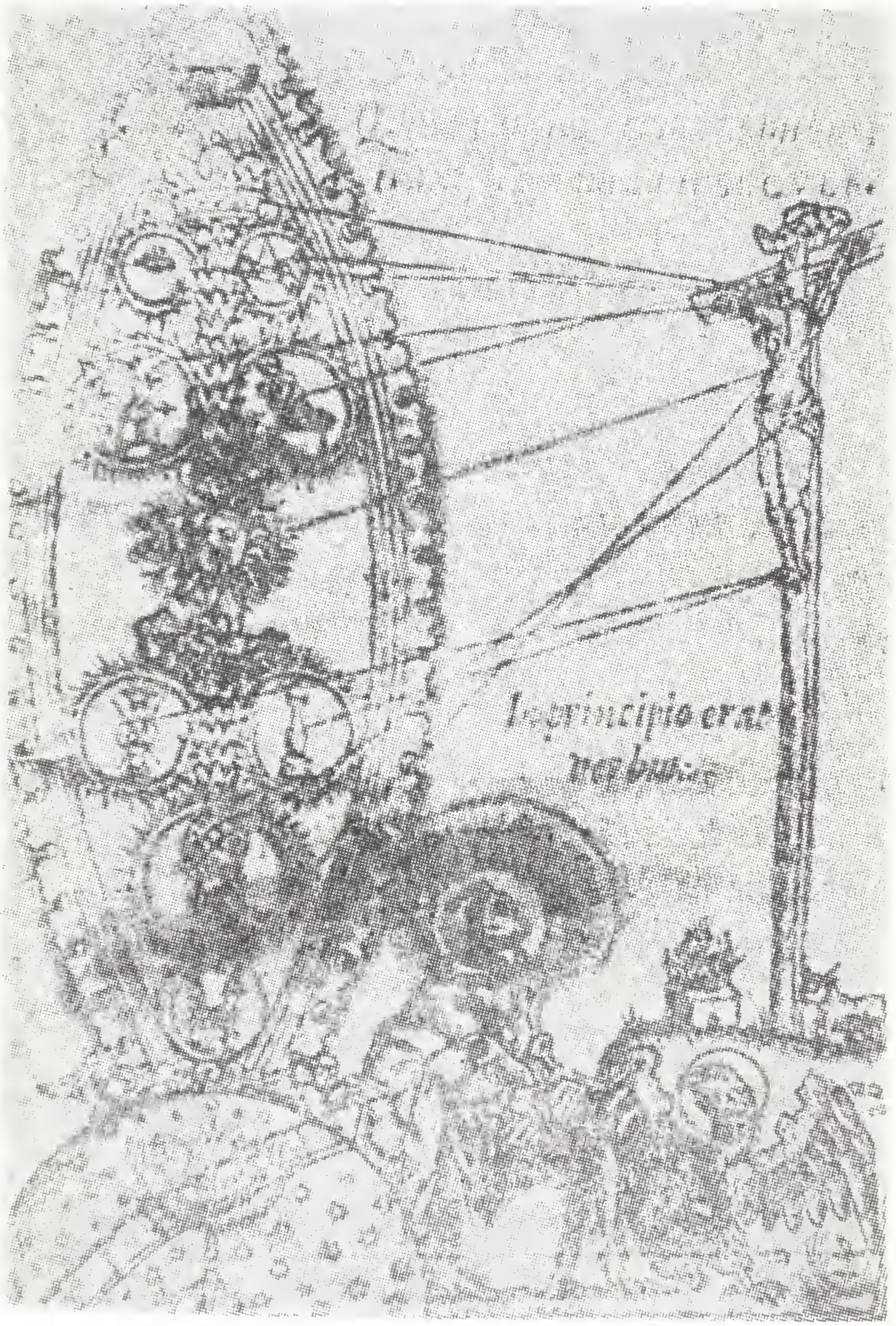

■ صورة يوحنا الانجيلي يتأمل بالمصلوب ■

■ يسوع في حضن أمه بعد انزاله عن الصليب ■

وقسمت أسفار الكتاب فصولا تتلى عادة في الكنيسة السريانية . في بدء القداس . أيام الآحاد والأعياد على مدار السنة . بما يطابق موضوع الأحد والعيد · وقد وضح ذلك في بدء الكتاب حيث طبع بالسريانية جدول بتعيين قراءات فصول كل سفر من الأسفار المطبوعة ، مع المناسبة التي خصص الفصل لها . على مدار السنة . كما طبعت ترجمة لاتينية لهذا الجدول ·

ويضم الكتاب بين دفتيه (٢٩٠) ورقة ، وطوله (٢٠ر٥) سنتمتراً في عرض (١٤) سنتمترا في سمك (٥ر٥) سنتمتراً . وعدد أسطر الصفحة الواحدة (٢٦) سطراً . وطول السطر الواحد (٨ر٥) سنتمتراً ·

ويعتبر هذا الكتاب تحفة من تحف فن الطباعة وهو أول كتاب سرياني ينشر بالطبع · وقد نفدت طبعته ولم يبق منه في العالم سوى نسخ تعد على الأصابع ·

★ ★ ★

فهرس

ص

- توطئة ٥
- الكتاب المقدس ٧
- القديسة مريم العذراء في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ٣٠
- مار توما الرسول ٦١
- الانسان الذي جاء الى يسوع ليلا ٨٠
- تجلّي الرب يسوع ١٠٠
- صفحات مشرقة من تاريخ الأدب السرياني
في القرن السادس للميلاد ١١٦
- المسيح آت ١٤٣
- القيم الدينية وتنظيم الأسرة ١٦٩
- أول كتاب طبع بالسريانية ١٧٦

مصابيح على الطريق

ܠܡܦ̈ܐܕܐ ܕܥܠ ܐܘܪܚܐ

تأليف

مار أغناطيوس زكا الأول عيواص

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

للسريان الأرثوذكس